

محمد عبد المنعم خفاجى

مع الشعراء المعاصرين

١٩٥٦

محمد عبد المنعم خفاجي

مع الشعراء المعاصرين

١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المطبعة المنيرية

المقدمة

- ١ -

عند ما نتحدث عن الشعر المعاصر نتحدث عن مواهب كثيرة قتلها الحرمان والألم ومرارة العيش ، وعن ملكات لاتريد الحياة أن تعاونها على الوصول إلى القارىء فى صحيفة أومجلة أوكتاب ، ولا يسمح لها الزمن المادى بالتنفس فى نطاق الروحية الصادقة ، أو الحرية المدوية فى الأعماق .

إن الشعر فن الجمال والحياة معا ، ولا يمكن أن نفصل بين قيمته الجمالية ورسالته الهادفة ، فاذا لم يكن الشعر قد استوفى حظه من الجمال ، أولم يكن قد أدى الشاعر به رسالة ما ، فإنه لا يمكن أن يحيا فى أعماق نفوسنا ، وفى طوايا جوانحنا ، إننا نؤمن بحرية الشاعر ، وندعه يتنفس حراطليقا من كل قيد ، لأن روح الفن رسالة وهدف ، وشعور عميق بالثورة المنطوية عليها اليوم .

وإن الشعر المصرى المعاصر لم يتخلف عن أداء رسالته فى الحياة ، فقد حمل الدعوة إلى النهضة والتقدم والكفاح والحرية ، وأداها كاملة دون خوف أو إحجام . وهو جدير بإقبال الشباب من الشعراء عليه ، وتمثلهم لأهدافه ومنازعه ونواحيه الفنية ، وليس فى مدارس الشعر العربى اليوم مدرسة كاملة تضارع مدرسة الشعراء المصريين المعاصرين .

- ٢ -

والشعر المعاصر لم يتخلف عن حمل رسالة التجديد ، وقد ظهرت فيه مدارس عديدة منذ البارودى حتى اليوم : من مدرسة البارودى الكلاسيكية ، ومدرسة شوقى وحافظ ومحرم التى تنتمى إلى الكلاسيكية الجديدة ، ومدرسة مطران وشكرى والعقاد والمازنى ، ومدرسة أبولو الرومانسية التى كان رائدها أحمد زكى أبو شادى ومدارس الرمزيين والسيرياليزم والواقعيين ، إلى مدارس أخرى عديدة ، فهو لم يتخلف عن حمل رسالة التجديد ، متبعاً فى ذلك خطوات الشعر الأوربى الحديث ،

— ٤ —

والشعر الأوربى الذى سادته نزعة جديدة سميت نزعة القرن العشرين ، قدسار فى طريق التجديدفى كل نواحيه ، وكان من أولى تيارات التجديد «الرمزية الفرنسية» ، التى تجلى أثرها واضحا فى دواوين الشعراء ، ثم عقبها « حركة المستقبلية » التى كانت تعمل على تحرير الشعر تحريرا تامامن كل تقليد ، ثم حركة الطليعة التى كانت وسطا بين التأثر بالتراث القديم وبين مبالغات جماعة المستقبليين ، ثم حركة الكلاسيكية الجديدة ، ثم تيار الواقعية السحرية ، ثم حركة السريالزم الفرنسية ، ثم عاد الشعر إلى حركة جديدة هى الشعر الغامض المغلق ، ثم « الواقعية الليريكية » أى العودة إلى الشعر على الطريقة الانسانية ، وإلى الشعور بالتضامن الليريكى بين الناس ، الذى هو بعيد كل البعد عن تلك الالتواءات ، التى تزداد برودة وإبهاما كل يوم ، والتى يحار فيها الآن الشعراء الغامضون .

ثورات عديدة متنقلة مستمرة لا تقف عند حد فى الشعر الأوربى ، يقابلها كذلك ثورة فى الشعر العربى المعاصر دون ماوقوف عن فهم التجديد ، أوعجزعن مجاراة الحياة فى أسمى ابتكارها وخلقها . وإن انصرف الناس عن قراءة الشعر والإقبال عليه وتشجيعه ، كأنه فن لاصلة له بالحياة ، وترف يستغنى عنه الناس ، ولا يحتاج اليه أحد .

ومع ذلك فإن عبقرية الشاعر وموهبته تفرضه على الناس فرضا ، وتجعله مثار الحديث والدراسة والنقد .

ولابد أن تساند عبقرية الشاعرالفنية رسالة يؤمن بها ، وتجعل الناس يعرفونه بها ، ويستدلون منها على شاعريته ، ويجعلونها عنوانا عليه ، والشعراء الذين يذكرهم الناس اليوم هم أصحاب هذه الرسالات ، أما الفن المحض فلم يعد موضع عناية من الناس ، وإن عنى به النقاد وجعلوه موضع الدراسة .

— ٣ —

إن الشعر شـــعر فى أية لغة بأحاسيسه وارتعاشاته ، وومضاته وخيالاته ، وبحقائقه الأزلية ومثالياته ، سواء منه الشعر المتجرد ، أوالمرسل ، أوالحر ، أوالرمزى ، أوالسريالى ، أوالرومانسى ، وسواها ، فليس من العدالة فى النقد أن نتحكم فى حرية الشاعر ، أوأن نحاربه الابداع فى شتى صوره ، إنما نحارب السطحية

والعامية ، ولا نريد من الشاعر إلا أن يكون مخلصا ، يهدى إلى الناس عصارة قلبه ، ونفثات روحه .

والإيمان بهذا المذهب الفنى فى الشعر لا يتنافى مع تقدير الشعر الكلاسيكى القديم أو المجدد ، ولا ماعداه من فن أصيل ، والحرية للشعر والشاعر ألزم شىء ، ومن ثم فإن الشعر المتمتع بحريته الفنية والفكرية هو الرائد لحركات الاصلاح والتسامى والتطهير .

وحب الحرية أصيل فى أعماق نفوس الشعراء ، ومن ثم تجد كثيراً منهم يهب حياته للدفاع عن حرية بلاده ، لأنها جزء من حريته ، وفى الأزمات القومية والسياسية ، تجد الشعر يترنم بأناشيد الحرية ، ويوقظ فى النفوس الغافية حبها ، ويكافح من أجل الانتصار لمبادىء الحرية والفدائية المثلى ، التى تقود الأمة إلى المجد والكرامة والعزة .

والشعر المصرى المعاصر شعر تكمن فيه روح الفدائية والبطولة والحرية ، لأن الحياة تغرس فى نفوس الشعراء هذه النزعة ، الحياة بما يختلف عليها من آمال وآلام ، واستبداد وديمقراطية ، وحب للحرية وتطلع إليها .

— ٤ —

وفى مصر تقام ندوات للشعر . وإن كانت محدودة الطابع فى أحيان كثيرة ، ولعل أبرز ندوة شعرية تقوم بانتظام فى القاهرة ، هى ندوة الشاعر المصرى خالد الجرنوسى .

ومن بين شعراء هذه الندوة طائفة من الشاعرات المصريات الموهوبات ، فى مقدمتهن جليلة رضا صاحبة « اللحن الباكى » والألحان الجديدة القوية ، والشاعرة زينب حسين . وفيها كذلك من الشعراء :

عبد الله شمس الدين صاحب ديوان « أصداء الحرية » وخليل جرجس خليل ، وإبراهيم عيسى ، ورشدى ماهر ، واليوزباشى محمد على أحمد ، وسواهم .

ومن هذه الندوات الشعرية ندوة المجمع العربى الذى ترؤسه الشاعرة المصرية الموهوبة جميلة العلايلى ، وتتخذ مجلتها « الأهداف » منبرا لدعوتها منذ سنوات طوال ، وندوة الشبان المسلمين الشعرية ويشرف عليها الشاعر الصوفى محمود جبر .

وتسود فى الشعر المصرى المعاصر نزعات كثيرة ، من بينها نزعة القومية ، والنزعة الوطنية ، ونزعة الحرية ، ونزعات أخرى عديدة .

ولكن الأغلب على الشعر المصرى المعاصر سيادة نزعة التحرير والدعوة إلى الحرية فى أوسع نطاق ، وللشعراء المصريين فى هذا الباب كثير من شعر الحرية الذى نظموه إبان الجهاد الوطنى ضد الاحتلال ، ثم الجهاد العربى ضد إسرائيل ، ونذكر فى هذا الباب الدكتور أحمد زكى أبا شادى ، الذى كان شعره منذ عام ١٩٤٢ حتى وفاته عام ١٩٥٥ مملوءا بشعر الحرية ، ومن شعره فى ذلك الجانب قصيدته « نداء الحرية » التى نظمها أيام معركة القنال عام ١٩٥١ ، وقال فيها :

بوركت ياشعب (الكنانة) ثائرا ... حرا ، وياوطن البطولة قاهرا
أزجى إليك تحيتى من خاطر ... دام ، ومن قلب يذوب شواعرا
يأبى النفاق ولا يبوح بغير ما ... جعل الحياة نفائسا وذخائرا
ليس الصديق هو المقرب وحده ... ولرب مهجور يظن المهاجرا
إبدأ بنفسك مصلحا ومقوما ... فتكون أقدر حين تلقى الفاجرا
إن كان غيبنى (العتاة) فهجتى ... لك أين كنت مكافحا ومناصرا
آبى مساومة الطغاة وإن أذق ... شر الأذاة مواليا لك ذاكرا
من علم (الأسد العجوز) وقد مضت ... أيامه ألا يكون مغاذرا ؟
ليس المغامر والموفق واحداً ... فمن التدهور ما يكون مغامرا
إن كان يعوزنا السلاح فربما ... خلق الاباء بنا السلاح الباترا !
وحش للاستعمار يمعن شره ... باسم الحضارة والتقدم ساخرا
وكأنما حسب العقول نفاية ... للناس ، أو بعض الهواجس دائرا
هل يصلح المذياع من آثامه ... حين الرصاص يصيح أرعن كافرا ؟
حين الفظائع قد خطبن بألسن ... للنار واعتلت الجراح منابرا ؟

حين الأساطير التى يدلى بهـــا سبت بصائر للورى وسرائرا ؟
حين الخرائب صارخات حـوله مثل اليتامى لا تمثـــل عامرا ؟
حين التحكم فى الحقوق ونهبهــا مثل الوعود الضائعات طوائرا ؟
إن كان حسن الظن ذنبا أولا فيه ، فكيف يعد ذنبا آخرا ؟
هو غاية الاجـرام للوطن الذى عانى وعانى من أذاه خسائرا
لن يمنح الوطن المفدى صفحه لفتى يخادع أو يخادع صابرا
ويرى بالاستعمار بعض خلاصه هل كان الاستعمار إلا جائرا ؟
يفتن فى سفك الدماء ، وإنهـا لأعـــز ماخلق الإباء الثائرا
ياليتنى كنت الفداء وإن أكن أعطى أعز نهاى فكراً سائرا
وأبيت من شيخوختى اسقامها فوهبت صدق هواى لحنا شاعرا
ماكان من شيم الأسود تسفل فهو (ابن آوى) كيف قال مكابرا
قرن من التغرير عــلم نشأنا أن يحذروه مفاوضا ومشاورا
الغادر السفاح ، (نافارين) لم تبرح تحدث عنــه عهدا غادرا
حذرا بنى وطنى ! فذاك عدوكم مهما تقلب فى المظاهر ماكرا
لا تمنحوه سوى القطيعة وحدها فمن القطيعة ما يكون الزاجرا
أو ما يكون به الخلاص ليومكم وغد نؤمل فيه بعثا باهرا !
حذرا بنى وطنى ! وكونوا وحـدة فعـالة ، لاضجة وحناجرا !
ليست سلامتكم مجالا هينـــا إن السلامة قد تكون مخاطرا
لاتأسفوا ـ مهما حزنتم ـ للألى ذهبوا الضحايا فى (القناة) حرائرا
حمل الأديم من النجيع وصية تبقى لأحقـاب تدوم ذواكرا
ويظل يسألنـــا المزيد تطهرا من رجس ماضينا ، ويرشد حائرا
خلوا التغنى بالجــدود وفضلهم مهما تلألأ روعـــة ومفاخرا
فهو الغنى بذاتـــه عن ذكره إلا ليلهم غافيــا أو ساهرا
وخذوا بأسباب لمنعة حاضر إن الحقيقة ما تمثل حاضرا
كونوا من الشهداء فى إعجازكم بثباتكم ، لاتجعلوه الغابرا

لا عذر بعد اليوم عند تهاون إن التفوق لا يطيق معاذرا !

بل إن قصيدة الجرنوسي «حدث فى عصر الرشيد»، وهي من الشعر القصصي الجميل الذي شهر الجرنوسي به، يسجل فيه مفاخر تاريخنا وقوميتنا، لتعد — مع طابعها التصويري — ثورة على التقاليد والأصنام والجهل، ثورة الإنسانية اليقظة على كل ما يؤخر رقيها، ويحول بينها وبين التقدم، يقول الجرنوسي منها:

صاح يحيي بن خالد ليس عدلا: أن تزيلوا، معالم الأهرام
إن فيها لمن يجيء دليلا واعترافا. بعزة الاسلام
فدعوها، كشاهد أبدي فى مدار السنين. والأيام
تشهد الناس أن قوما بنوها أحدثوا فى الحياة أسمى نظام
شيدوا الخلد فى العمارة والذو ق لفن الجمال والالهام
وأتى العرب فاتحين فكانوا فوق من شيدوا البناء السامي
ورثوا الأرض قوة واقتدارا وأقاموا حضارة للانام
واستدار الحديث إذ جاء آت من بلاد (الفرنج) سامي المقام
قال وافيت (شرلمان) مهيبا ملكا راح فى الملوك العظام
ثم ألقيت بالهدايا إليه وهو يثنى على هدايا الامام
ولقد زاغت العقول وطاشت ماحوته الرءوس من أحلام
أن رأوا ساعة تدق وتمشي وهي تحصى الزمان بالانغام!
حسبوا أن للعفاريت فيها همسيات، تدور خلف اللثام!
زعموا أنها أفاعيل جن! أو تخاييل ساحر عزام!
فزعوا كلهم، وخفوا، وخافوا وتلفت ما أراهم أمامي!
مادروا أن للاعاريب علما، باهر النوم، نافذا، كالسهام
وانطوى المجلس الرهيب على الص مت فكان الحديث مسك الختام

ويقول الشاعر خليل جرجس خليل من قصيدته «ثأر الفدائيين» التى ألقاها لأول مرة فى ندوة الشعر الشهرية التى أقامها الشاعر خالد الجرنوسي فى مساء الجمعة ٢٠ من ابريل ١٩٥٦ بقاعة الشبان، وقد كان المؤلف هو المعقب على هذه الندوة:

أغدر .. وشر ، ولا نتقم ؟ بل الثأر مطلبنـا والدم
مضى العهد حين الحمى يستباح ويلقى السـلاح لمن يظلم
وحين الزمام بأيدى الطغاة وأيدى البغـاة وهم نوم
وحين همو كشخوص الرواية قد خدعونا بمـا قدموا
تلهو عن الحادثات الجسام بمـا غنموه وما كوموا
أضاعوا علينا تراث الجدود ولم يستفيقوا ولم يندموا
وما هم من العرب أو يعرب فهذا دخيل وذا أعجـم
ونحن الأعارب من محتـد كريم وأعراقنا أكرم
لنا فى الفخار صحائف بيض ومجد رفيع الذرى قـيم
وأرض يقيم بها المؤمنون ويحيا المسيحى والمسلم
فإن عكرت صفونا عصبة فإنا لفى إثرهـا ننقم
لنـا صيحة كهزيم الرعود إلى هجمة كهجوم الأسود
لنـا عدد كالنجوم عديد إلى عدة كشواظ الحديد
لنـا حاضر فى البـلاد مجيد وماض غنى بذخر مجيـد
أنا العربى ، ومصر العروبة ، والعرب مناء ومنهم جدودى
فأين رجال كمثـل رجالى وأين جنود كمثل جنودى
أباهى بهم كلمـا عيرونى وأزهو بهم إن رأيت نديدى
وأقوى بهم حين ألقى المغير فهم عدتى فى الوغى وعديدى
ولن يهزمونى وهذا كفاحى وهذا سلاحى ، وهذى عمودى
ولن يغلبونى وهذا «الفدائى» يطالب فى ثأره بالمـزيد
ولا وأبى لن تضـام البلاد وتخفض هامتهـا للعبيـد
إذا انطلقت صيحتى بالنـداء إلى من يفدى أجابوا الندا
ونحن على خطة مجمـعون ضربنـا لإنفاذها موعـدا
لقينا العدا كالقضاء المرو ع يوم الطعان .. لقينا العدا

وقد عرف القوم ما يجهلون ... وهم يفجأون بجيش الفدا
نفضنا جميعاً غبار السكون ... فقد بلغ الحلم منا المدى
وقد نفد الصبر !.. إن اصطبارا يطول لأحرى بأن ينفدا
ونحن بعون الإله بخير ... كنار تلظت فلن تخمدا
ولا وأبى ، لن نهادن أعداءنا أو نمد إليهم يدا
وكيف وقد شردوا أهلنا ... وساموهم الخسف والعلقما ؟
وغالوا الصغار وعابوا النساء ... وإن أمعنوا قارفوا المأثما
وخلوا دياراً تداعت وأقوت ... وشبوا بكل حمى مأتما
إذن قد ثأرنا هنالك للأهل ... لليتم للثكل ممن رمى
لنمسح أدمعهم مشهدين ... جعلنا فداء الدموع الدما
وعين بعين وسن بسن ... وقد كان باديهم أظلما
إذن لن تنوح الثواكل بعد ... ولن يعرف الحزن باب الحمى !
فرحى بجيش الفداء رجال ... إذا ما دعوا للوغى أسرعوا
كماة إذا صاح عند الهجوم ... فتاهم أصاخ له المدفع
ويمنى العداة بحرب وضرب ... وثأر شديد اللظى يوجع
ومن لم يؤدب بلين الكلام ... تأدب بالصفع إذا يصفع
وفى الناس من يؤثرون الحقوق ومن ينكرون إذا ضيعوا
ومن يقرئون الكرام السلام ... ويبدون شرا متى ودعوا
كأفعى تهادن عند الصقيع ... فإن أدفأتها يد تصرع
فليس عجيبا إذا ما تبدوا ... بلؤم الطباع هم ، .. أجمع
أليسوا همو لفظات البلاد ... وشذاذ آفاقها .. جمعوا ؟ !
إلام يظنون أنا نمد الـ ... بقاء لهم .. كلهم يرتع ؟ !
لقد خطفوا من طعام اليتيم ... سنجرمهم قبل أن يشبعوا
لا ولن نهادنهم بالسلام ... ودون المذابح لا نقنع !

ويقول محمد فوزى العنتيل من قصيدته « أغنية الحرية » :

طلع الصباح على الربى فترنمى ... باللحن يرقص فى خيال الأنجم :.
يرد الضفاف .. فيستقى من نبعها ... ويذوب بين رؤى الضباب المبهم
ويطير فى قمم السحاب .. وينثنى ... نشوان يركض فى الظلام المعتم
ويدور فى وتر الزمان ملاحما ... حمراء .. تزأر باللهيب المضرم
سخرت من الأيام فانطلقت لظى ... تسم الطغاة الظالمين بميسم ..
هوجاء تعصف فى الربى .. مجنونة ... رعناء تهزأ .. بالحديد .. وبالدم
بالغاصب الجبار صعر خده .. ... بغروره .. وبقيده المتحطم ..
طلع الصباح .. فغردى .. وترنمى ... فنشيدك الوهاج .. يصرخ فى دمى !
سأرد عنك الظالمين بمهجتى ... وأرد عنك العاديات بأسهمى
وأموت .. والنيل المقدس مخدعى ... ونشيدك المحبوب .. يحرق أعظمى
نفنى .. ويفنى كل شىء بعدنا ... زلنى إليك .. وأنت يا مصر اسلمى
طلع الصباح .. فأقدمى .. وتقدمى ... وتنسمى عطر الصباح المنعم ..
إنى أرى عبر السنين .. مواكبا ... تهفو إليك بشوقها المتجسم ..
تتدفق الأنغام فى جنباتها ... ظمأى .. تصفق للنشيد الملهم
وحنينها المشبوب .. فى أحداقها ... حلم .. يرف على الضفاف ويرتمى .. !
أفق ، من الشهداء .. أشرق صبحه ... وضاح فى ليل الجهاد الأقتم ..
أزهاره البيضاء نور جراحه ... ووروده الحمراء .. طيف تبسم
رفت عليك ظلالها .. وعطورها ... وهفا إليك عبيرها .. فتنسمى
فاليوم ذكرى أمة .. تخطو على ... لهب الخطوب .. بثغرها المتبسم
شعب يحطم فى النضال قيوده ... ويذيق جلاديه .. نار .. جهنم
عصفت به آلامه .. فتمردت .. ... فى جنبه .. غصص الشقاء المظلم
وتواثبت فى الضفتين .. أسوده ... ترد المنون .. بكل أروع معلم .. !
اليوم ذكرى الخالدين .. فقبلى .. ... أرواحهم .. وتقدمى .. وتقدمى !
لا تجزعى إن صفقت أنغامهم .. ... لرؤى الغمام .. ونايه المترنم .. !
لا تجزعى إن رف .. فى أحداقهم ... طيف الخلود .. بفجره المتلثم .. !

— ٦ —

وإننا نتمنى أن يفكر الشاعر دائما فى وطنه وبلاده ، ويتعلق بحبها وحب التضحية من أجلها ، ويؤمن بحريتها ورسالتها الكبرى فى خدمة الإنسانية وإيمانه بأنها أصل الحضارة ، ومعلمة الشعوب ، وقائدة الإنسانية فى طريق النهضات القومية والروحية والفكرية والأدبية .

ونريد من الشاعر أن يدرس ويثقف نفسه ويربى ملكاته ، ويقبل على فن الشعر يتذوقه ويتعلم ما غمض عليه منه ، حتى يصبح الشاعر المصرى داعية من دعاة التجديد ، وصاحب مذهب فكرى وأدبى فى الشعر ، ويصبح الشعر مدلولا ، وأكبر قيمة ، وأظهر فاعلية فى الحياة ، وتأثيرا فى المجتمع ، ومعاونة على تقدم الوطن وحريته ونهضته .

— ٧ —

وتجعل الكاتبة الأستاذه نعمات أحمد فؤاد من خصائص الشعر الحديث :

تبلور شخصية الشاعر الحديث الذى فطن إلى مكانه الصحيح من الموكب الانسانى فهو لم يعد مزهوا بالغناء والحداء والاطراء والهجاء ، بل رام منزلة أكرم حين اضطلع بتوجيه الجموع الهادرة بشعره التقدمى .. أصبح قوة دافعة وقدرة لاهبة ، وطاقة معينة ، تحفز وتثير .. الشاعر الحديث يحيا فى دنيا تموج بالحركة والألوان والأحداث ، وهو فيها سائر متطلع متفتح ملهوف الرغبة ، عريض الآمال ، نهم الاحساس ، ظمآن النظر ، طامح الروح ، حار الأشواق .. والحياة بدورها تعكس على هذا السائر المشوق صورها على اختلافها ، فيعكسها فى شعره مستغنيا بما فيها من صدق الواقع وحرارة الصدق ونبض الحياة عن المعارضات الشعرية وصناعة الاسترخاء والتقليد الذى لاحس فيه يدفع ويلون ..

والشعر الحديث كالفن الحديث فى رأيها تلفه حيرة وقلق وشك وعذاب من عمق شعور صاحبه بمرارة الواقع حوله ، تلك المرارة التى يزيدها إظلاما شعوره من ناحية أخرى بتفوقه لهبة الفن ، وتفتحته من ذكاء الفطرة ، ووعيه من نضج

معانى الوطنية والحرية والعدالة فى فكره وضميره ، وقد صور هذا الصراع النفسى للفنان رساما وشاعرا كمال عبد الحليم فى قصيدته « أخوة الفن » (١)

ومن الظاهرات الجديدة فى موضوع الشعر العربى فى رأيها الاحتفاء بالطبيعة حتى لقد ازداد الشعر الحديث قربا من الطبيعة وإحساسا بها وتجاوبا معها ، وحاول الشعراء المحدثون النفاذ إلى أسرارها المبثوثة فى الكون فما يكاد يخلو ديوان من التفاتة اليها أو صلاة فى محرابها ففى «أين المفر»(٢) حديث عن النيل وصلاة العشب والزهرة اليتيمة ، وفى « اضواء ورسوم » (٣) وقصيدة « أشبــاح الليل » وفى « أزهار الذكرى » (٤) غناء بالطبيعة ، فالفرفور والنهر والشجرة والظل والينبوع والقرية وزهرة المشمس صلوات مخلصة فى المحراب الأخضر . وكذلك ابن الليل والغدير الطموح ، وفى «نجوم ورجوم» (٥) لمحات من طبيعة الريف التى استهوت الشعراء المحدثين ، فوقف محمود حسن اسماعيل مستأنيا من الشادوف والثور والسنبلة والنورج (٦) وهو فى ديوانه (أغانى الكوخ) يتجه اتجاها قويا إلى الريف : كوخه وساقيته والنيل .

وكم يعزى سبق الشعر الحديث إلى اتصاله بالشعر الغربى ، فإسماعيل أحمد أدهم فى كتابه « الزهاوى الشاعر » يعزو ظهور المــدرسة الرومانطيقية العربية إلى الاتصال بفكر أوربا ، وإلى أوربا يعزو الجــدة فى أدب المهجر الذى يراه « ليس فيه من العربية إلا الاسم ، وهو فى قوامه وهيكله غربى الروح أوربى الأخيلة » (٧) .

---

(١) ديوان (اصرار) للشاعر كمال عبد الحليم ص ١١و١٢
(٢) ديوان أين المفر للشاعر محمود حسن اسماعيل
(٣) ديوان أضواء ورسوم للشاعر .
(٤) ديوان أزهار الذكرى للأستاذ السحرتى .
(٥) ديوان نجوم ورجوم للشاعر محمد السيد على شحاته .
(٦) ديوان هكذا أغنى .
(٧) كتاب (الزهاوى الشاعر) للأستاذ اسماعيل أحمد أدهم ص ١٥

كما يرى الأستاذ أبو شبكة أن الأدب العربى قد « تأثر فى مجموعة بالأحداث الفكرية التى نفخت فرنسا فى بوقها ، وكتابه «روابط الفكر والروح» يدور كله حول هذه النظرية التى يسوق بين يديها أحداث التاريخ الفرنسى والتيارات الأدبية فى فرنسا كلما خاض فى شأن من شئون الأدب العربى .

ولكنى أرى أن الأدب العربى قد أثرت فيه عوامل شتى : منها عامل الاتصال بالآداب الأخرى لا الأدب الفرنسى وحده ، فان بين شعرائنا وكتابنا خاصة من يجيدون اللغة اللاتينية واللغة الايطالية واللغة الانجليزية واللغة الفرنسية ، وعن طريق هؤلاء اتصل أدب العرب بآداب هذه اللغات ، وطعم بها وخاصة الانجليزية .

والتأثير الأدبى كما يقول أنطون غطاس كرم (١) : « مبهم وأدق من أن ينحصر فى تاريخ معين ، وأوسع من أن يقيد فى أسباب » .

والتأثير الغربى يضم ظاهرة أخرى إلى الظاهرات التى ذكرناها ، هى محاولة بعض الشعراء المحدثين ترجمة قصائد بعينها من اللغات الأخرى . ففى ديوان (اصرار) ترجمة لقصيدة (الجماهير) للشاعر ثيروسيزارفا ليجو (٢)

وفى ديوان (اضواء ورسوم) ترجمة لقصيدة (اضحكوا وامرحوا) للشاعر الانجليزى (جون ماسفيلد) (٣)

وأعجب آخرون منا بأسلوب التعبير فى الأدب الغربى ، فهذه نازك تقرر أن الأسلوب الطريف فى قصيدتها (الجرح الغاضب) (٤) مقتبس مباشرة عن الشاعر الأمريكى (ادجار الآن بو) فى قصيدته البديعة .

---

(١) كتاب « الرمزية والأدب العربى الحديث » لأنطون غطاس كرم ص ١١٥

(٢) ديوان (اصرار) لكمال عبد الحليم ص ٥٢

(٣) ديوان (أضواء ورسوم) لعبد السلام رستم ص ٤٣

(٤) مقدمة ديوان (شظايا ورماد) لنازك الملائكة ص ١٥

مصادر لتراجم الشعراء المعاصرين

وقد ألف عن الشعراء فى مصر كتب عديدة . منها :

١ — كتاب شعراؤنا الضباط تأليف محمد عبد الفتاح إبراهيم .

٢ — كتاب سمير الأدباء لسعد ميخائيل تحدث فيه عن : شوقى ، ومحرم ، وأحمد زكى أبى شادى ، وإسماعيل صبرى . وبركة محمد ، وحافظ ، وحسن كامل الصيرفى ، وخليل مطران ، وعبد الحليم حلمى المصرى ، وعباس محمود العقاد ، وعبد الحميد الرافعى ، وعبد العزيز عتيق ، وعثمان زناتى ، وصالح جودت ، ومحمد جاد الرب ، ومحمد عبد الفتاح إبراهيم ، والبارودى ، ومحمود غنيم ، والمنفلوطى وقد ذكر له عدة قصائد من شعره .

٣ — شعراء العصر وهو جزءان ، وفيه حديث عن البارودى وشوقى وحافظ ابراهيم وأحمد نسيم ، وحفنى ناصف ، ومطران ، وعائشة التيمورية ، وعبد الله فكرى ، ومصطفى نجيب ، وعبد الغفار الأخرس ، وبطرس كرامة ، والرافعى ، والمنفلوطى وعبد الحليم حلمى المصرى ، وولى الدين يكن ، وأحمد الكاشف ، والزهاوى ، والسيد حسن القاياتى ، والكاظمى ، وعثمان زناتى ، وسواهم .

٤ — أشهر مشاهير أدباء الشرق وفيه مختارات لشوقى ، والعقاد ، وطه حسين وكرد على ، ومحمد فريد وجدى ، ومطران ، وعبد الله فكرى ، والأفغانى والشيخ محمد عبده ، وفتحى زغلول ، وعبد الله النديم ، والمنفلوطى .

٥ — من عبقريات نساء القرن التاسع عشر ، تأليف يوسف يعقوب مسكونى وقد تحدث فيه عن عائشة التيمورية ، ووردة اليازجى ، وزينب فواز العاملية .

٦ — شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى لعباس محمود العقاد وقد تحدث فيه عن البارودى ، وصبرى ، وحافظ ، وشوقى ، ومحمد عبد المطلب ، وعبد الله فكرى ، وعلى الليثى ، وعبدالله نديم ، وحفنى ناصف ، ومحمد عثمان جلال ، وعائشة التيمورية .

٧ — الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى وقد قسم الشعراء إلى

مدارس وتحدث عن شعراء كل مدرسة حديثا عميقا خصبا .

٨ — هذا عدا كتب الدراسات الأدبية والنقد والكتب المؤلفة فى تاريخ الأدب الحديث . والعديد من الكتب المؤلفة عن شاعر معاصر أو أكثر من شاعر ، وعدا الدراسات المنشورة فى دواوين الشعراء .

وقد ظهر ديوان مطران الأول عام ١٩٠٨ ، ونشر المازنى ديوانه الأول عام ١٩١٤ ، وديوانه الثانى عام ١٩١٧ ، ونشر أحمد زكى أبو شادي ديوانه « أنداء الفجر » عام ١٩٠٩ ، ونشر شكرى ديوانه الأول « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، ثم أخرج بعده ستة دواوين كاملة آخرها أوراق الخريف الذى نشره عام ١٩١٩ .





التجديد فى شعر أبى شادى

— ١ —

كان ظهور شاعر مصر الدكتور « أحمد زكى أبوشادى » فى الشعر المصرى المعاصر بدء حركة تجديد كبرى شهدتها الأعوام الثلاثون الأخيرة ، من تاريخنا الأدبى والفنى ، تجديد لم يألفه الشعر العربى من قبل ، إذ شمل كل شىء فى جوهرها وروحها ، ومضمونها وأفكارها ، ومعانيها وأخيلتها ، وبنائها وأسلوبها وصياغتها ، وانفعالاتها وتجربتها الشعرية .

والحق أن أباشادى كان مدرسة كاملة فى الشعر المصرى المعاصر ، مدرسة لها أهدافها ومناحيها فى فهم الشعر ورسالته والتجديد فيه ، ويكاد أن يعد بدء المدرسة الحديثة ، التى جانبت التأثر بالقدماء وبلاغتهم ، وثارت على الروح الكلاسيكى السائد عند شعرائنا المعاصرين ، ودعت إلى التجديد فى أوسع نطاق ، وإلى الأصالة فى أبعد حدودها ، وإلى تمثل روح الفن والموهبة فى إنتاج الشاعر .

وإذا كان البارودى قد بعث الشعر العربى الحديث بعد طول رقدته ، وعارض القدماء فى بلاغتهم ، ورجع فى الصياغة إلى أساليبهم ، وجعل الشعر صناعة بيانية أساسها التخيير والتهذيب والتجويد ، فى احتفاء وتأثر بالأقدمين .

وكان شوقى وحافظ ومحرم امتدادا رائعاً لمدرسة البارودى ومذهبه فى الشعر ، من حيث كان شكرى ومطران والمازنى والعقاد يخاصمون نهج البارودى ومدرسته ، ويعيبون احتذاء القدماء فى اتجاهاتهم الفنية ، وينزعون فى نظم القصيدة نحو الفكرة والمعانى والحضارة العصرية الجديدة ، ويتابعهم فى ذلك طائفة من الشعراء .

فإننا نلمح بين هذه التيارات الفنية المتلاطمة ، مدرسة جديدة تظهر فى الشعر المعاصر ، وتمثل مذهبا واضحا فى الأدب والفن والنقد ، وتتأثر تأثرا كاملا بالنزعات والروح الحديثة فى الشعر ، وتدعو إلى مبادئها فى صدق وإخلاص وقوة .

وكان عميد هذه المدرسة هو شاعرنا أبو شادى ، الذى أنشأ عام ١٩٣٢ مجلة أبولو وقصرها على الشعر وتوجيهه ورسالته ، وأعلن جيلا ومدرسة شعراء أبولو التى تعد أظهر مدرسة شعرية فى تاريخنا الأدبى المعاصر ، والتى أحدثت هزة عميقة فى محيط الشعراء ، تستطيع تبين بعض صورها فى الدواوين الشعرية الجديدة ، من أمثال : الينبوع ، وأطياف الربيع ، وفوق العباب لأبى شادى ، ووراء الغمام لإبراهيم ناجى ، والألحان الضائعة لحسن كامل الصيرفى ، والزورق الحالم لمختار الوكيل ، وسواها .

وكان أبو شادى حريصاً على الدعوة لمذهبه فى الشعر فى مجلته ، وفى دراساته ومقدماته التى كتبها لدواوينه ودواوين شعراء مدرسته ، وقد أخذ الناس يقرأون هــذا الشعر الجديد ، ويدرسون خصائصه ، ويهتزون لتأملات أبى شادى ، ووجدانيات ناجى ، وموسيقى الصيرفى ، وغزليات صالح جودت ، وآيات مختار فى الغزل والطبيعة ، وكان من شعراء هذه المدرسة كذلك عبد العزيز عتيق والشابى ، وصار بعد ذلك من أعلام نقادها وشعرائها مصطفى عبد اللطيف السحرتى .

وفاق أبو شادى نظراءه بتعابيره الأسلوبية ، ومعانيه الجديدة ، وأفكاره الأصيلة ، وأخيلته المجنحة ، وآفاقه الشعرية الواسعة ، فى جميع أغراض الشعر الوصفى أو التصويرى ، أو شعر الحالات النفسية ، أو شعر التأملات الصوفية ، والفلسفية .

— ٢ —

وقد عاش أبو شادى ينظم الشعر ويدعو إلى التجديد فيه ، وله حتى وفاته ثلاثة وعشرون ديوانا ، عدا قصصه ومسرحياته العشر ، وهــذا التراث الفنى يعد درة متألقة فى جبين الشعر المعاصر ، وفيه روائع من القصيد ، لم تجد بها قريحة شاعر .

وقد تنوع شعر أبى شادى إلى الشعر الغزلى والوجدانى ، وشعر الطبيعة والتصوف والفلسفة ، والشعر الوطنى والتقدمى ، مما يعد طاقة شعرية خصبة ، واستجابة ذاتية للنزعة الحديثة فى الفكر والأدب ، ويتراوح شعر شاعرنا بين النزعة الرومانسية فى يفوعته وشبابه ، وتظهر فى قصائده الغزلية والطبيعية

والوجدانية والنفسية . وبين النزعة الصوفية والاجتماعية والإنسانية فى كهولته ، والنزعة الواقعية والتقدمية التى تظهر فى شعره منذ أصدر ديوانه «عودة الراعى» عام ١٩٤٢ حتى توفى إلى رحمة الله فى الثانى عشر من إبريل عام ١٩٥٥ ، وقد اتجه بعض تلاميذه إلى المدرسة الواقعية المعبرة عن حقائق الحياة فى صور صادقة من العاطفة والفكر ، ولأبى شادى شعر رمزى ويحسب أنه المؤسس لمذهب الرمزية فى الشعر المعاصر . ولكن الاتجاه السائد فى شعره هو الاتجاه الرومانسى ، وهو بحق رائد المدرسة الرومانسية فى مصر ، وقد برع فى الشعر الوصفى براعة فائقة لدقته فى الوصف وافتنانه ، مع تحليله العميق المشاعر ، ويتميز بين الشعراء بشعره التمثيلى والقصصى إذ كان من أسبق الشعراء إلى النظم فى فنون الأدب التمثيلية والقصصية .

وبجانب هذا لا نغفل روائعه من الشعر العلمى والفلسفى ، وكان أبو شادى يحب الريف والطبيعة حباً صادقا ، ويندمج خياله فى روحهما ، ويعبر بشعره عنهما فى طلاقة وموسيقى وطاقة شعرية ممتازة .

— ٣ —

وقد قاد أبو شادى حركة التجديد فى الشعر الحديث إلى البعث والحياة والنهضة والشمول : بشعره المتحرر ، وعقليته الخصبة ، وثقافته الواسعة فى شعره ، وبعمق شاعريته ، وجمال تصويره ، وبكثرة ما جدد وأنتج فى الشعر الحديث ، ولاعجب فهو شاعر واسع نطاق الفكر ، جبار الخيال ، كثير الصور ، غزير المعانى فياض المادة .

ويعبر شاعرنا عن رأيه فى التجديد فى قصيدته «التجدد[1]» التى يقول فيها :

من كان يشعر دائما بشعورى ... فى الليل أو فى الفجر أو فى النور
ويصاحب الأجرام فى حركاتها ... ويجوز عيش الناس كالمسحور
وجد التجدد دائما إلفاً له ... فى النفس أو فى العالم المسحور
ورأى الحياة بما تجدد دائما ... أسمى من الإفصاح والتعبير

(١) ١٨ ديوان الينبوع .

ثوحى وتوحى دائماً فماذا الذى أوحته يعض جديدها المقدور
لو أنصف الشعراء ماقنعوا بما خلقوه من شعر ومن تصوير
كم فى الحياة تجدد لاينتهى ولكم حقير وهو غير حقير
لاموا شبوب عواطفى وتخيلى وتدفقى بالشعر ملء شعورى
إنما بكون كل شعر بلا حصر وكم من عاجز مغرور

— ٤ —

وعندما نحب أن نعرف خصائص فن الشاعر يكفى أن نقرأ قصيدة من قصائده لنتبين منها سمات الشاعرية فى فنه ومميزاتها ، ولنختر قصيدة مثل قصيدته «الجلاء» التى نظمها ارتجالا فى نيويورك عام ١٩٥٤ حينما عقدت معاهدة الجلاء بين مصر وبريطانيا ، ووجه فى آخرها الخطاب إلى أزهار الخزامى المعدودة رمزا لمصر ، وكانت حديقة منزلة تنتظم بعضها ، وهذه القصيدة مثال لشعر الوطنية الصادق الرائد ، قال فيها الشاعر :

«الجلاء ! الجلاء !» رددت الأصداء بشرى ، ويالها اليوم بشرى
لم يقلها فرد ولا الجيش والشعب ، ولكن كل الذى عد (مصرا)
من ثراها ومن سماها ومن كل الذى أنبتته فنـاً وفكرا
فى نشيد مثل المزامير حلو رنح الأنبياء من قبل دهرا
سمعته الآثار فاهتاج فيهـا عزة والنخيل فاهتز فخرا
وتهادى (النيل) الذى كان من قبل أسيراً إذ أصبح اليوم حرا
والحماة الأبطال من طردوا (الهكسوس) أضحى لهم فتوحا ونصرا
وجيوش الكماة من عهد (رمسيس) أطلوا مهللين وسكرى
ما رأتهم عين ولكن رأتهم مهج بالوفاء للأمس حرى
ورأتهم أحلام جيل وجيل رقصت كالضياء لحنا وشعرا
والخزامى الحية التى مثلت (مصر) جمالا وعبرت عنه عطرا
أنت بعض منها نزيلة بستانى ، فيها نعيد اليوم جهرا
إن نكن نحن كالغريبين لم نبرح بإيمانها المخلد أدرى
غمرتنا منها الحياة على البعد كأن الأثير قد حال غمرا
فانتشينا ، وكل عيد سينسى ، غير عيد لفك أسرى وأسرى !

فهذه القصيدة فوق وحدتها وتجربتها وعاطفتها الوطنية ، ووحى الواقعية السائدة فيها ، تمثل لنا الشاعر وقد وقف يستمد شاعريته من نفسه ، بعيدا عن التقليد والاحتذاء : وكيف كان بارع الصورة ، محيطا فى حنق بكل مايساعد تجربته

وفكرة قصيدته ، فى ثقوب فكرة ، وشرود عاطفة ، وإرهاف احساس ، دون اكتراث باللفظ ، ومع إيثار للمعنى وتجويد فيه ، واعتزاز بالنفس وثقة بالموهبة التى حكمت لها قدرة الشاعر ، ووقوفه على أحدث التيارات فى الفكر والشعر والآداب العالمية .

— ٥ —

وقد تأثر شاعرنا فى مطلع شبابه بآراء مطران التجديدية فى الشعر ، وبما قرأ من أصول الأدب الأفريقى ومذاهب البلاغة والنقد فى لغات الغرب الحديثة ، فوق ما قرأه من أمهات كتب الأدب العربى كالأغانى وسواه ، ولكن النزعة الحديثة فى شعره أكثر ظهوراً من النزعة التقليدية القديمة التى تظهر فى شعر أعـــلام الشعراء المعاصرين .

وكان مطران يجمع بين الروح الحديثة فى الشعر والمحافظة على الأصول القديمة فى اللغة والتعبير . ويصور مطران رأيه فى التجديد فيقول :

أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه البعيد الغور ، الذى هو منبع الابتكار ليحل ذلك التفكير تدريجاً محل الخيال المشتت الذاهب فى تشتت الذهن ضروب المذاهب ، الخيال الذى لا يصدر عن الحقيقة غالباً التى هى مصدر كل جمال ثابت ، إن هناك مجالا للعقل المبتكر ، والفكر المولد ، والتصوير البارع ، مع الخروج عن الابتذال ، ومجاراة أسمى ما تضعه قرائح أعاظم الأدباء فى الغرب ، ويفصل مطران رأيه فى التجديد فى تصدير ديوانه فيقول :

هذا شعر عصرى وفخره أنه عصرى ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر ، هذا شعر ليس ناظمه بعبده ، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح ، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكر جاره ، وشاتم أخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام ، بل ينظر إلى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه . وإلى جملة القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها ، وفى تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصور ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعر الحر ، وتحرى دقة الوصف ، واستيفائه فيه على قدر ، على أنى أصرح أن شعر هذه الطريقة هو شعر المستقبل ، لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً .

وهذا هو بدء مذهب الشعر وفهمه ونقده عند شاعرنا المجدد أبى شادى ، وقد زاد عليه تطور لغته وأخيلته وتعابيره ، وتجاوبه مع الطبيعة وحب الجمال على اختلاف صوره ، وكثيرا من الخصائص الفنية المتميزة التى كان أبو شادى أظهر من دعا اليها .

أخذ عن مطران احترام المذاهب الأدبية المختلفة ، واحترام النقد ، وكراهية الفردية ، وتقديس الشخصية الفنية الحرة ، التى تعد روح شعر أبى شادى ، ولكنه أخذ عن الطبيعة وعن الثقافة الانسانية ، أكثر مما أخذه من إنسان .

ولم يسأم أبو شادى طول حياته من الدعوة إلى الأصالة والفطرة والوحدة التعبيرية ، وإطلاق النفس على سجيتها ، والتناول الفنى السليم للفكرة والموضوع والمعانى ، وكل شعر يطابق هذه الخصائص فهو عنده مقبول جميل كيفما كان قائله ، أو العصر الذى يعيش فيه . ومن ثم لم يمل من الدعوة إلى الحكم على العمل الفنى والقصيدة الشعرية قبل الحكم على الشاعر نفسه ، وقد نشأ أبو شادى على حب الطبع والبساطة فى الشعر منذ نشأته ، ويقول أبو شادى : نحن لا نفهم الشعر إلا أنه شعر قبل كل اعتبار آخر(١) ، ويقول : إن الطلاقة الفنية ، صفة فطرية فى كل فنان موهوب ، وهو إذا بدأ تقليدى النزعة فسرعان ما تعلن شخصيته استقلالها فتتجلى الطلاقة لا فى مناحيه وحدها ، بل فى ديباجته أيضا ، ويقول : لسنا من أنصار الفوضى اللغوية أو النظمية ، ولكننا نعذر الفنان الضليع إذا أبت طبيعته الخالقة أن تقف عند المعايير والمقاييس المقررة(١) وإن كره الابتذال والعامية والسوقية والسطحية جميعا(٢) .

ويؤمن أبو شادى بنزعة التحرر فى الشعر ، التى هى صديقة الأسلوب الشخصى فكل شاعر لا يملك حرية التعبير عن أزماته النفسية ، وعواطفه الشعرية ، وعالمه الوجدانى تعبيرا خالدا مستقلا ، تتجلى فيه براعته الطليقة ، يعد بعيدا عن الكمال الفنى . والتحرر عنصر كبير من عناصر الشاعرية القوية ، وقوامه الصدق ، والسماحة الفطرية ، والبساطة وجرأة التعبير الفنى الذى يعد جزءا أصيلا من العبقرية

---

(١) مقدمة فوق العباب .

(٢) مقدمة الينبوع .

الفنية ، والشعر شعر بطاقته الشعرية .. وكان يرى أن الأناقة التي ترداف للتصنع مرذولة ، لأنها تنافى روح الفن .

وقد سار أبو شادى فى نظم الشعر على منهجه الذى كان يدعو إليه ، فنظم الشعر القصصى ، وكان أول من نظم الشعر التمثيلى فى اللغة العربية ، ولقح شعره بمعانى وأخيلة الشعراء الأوربيين ، وكان أكثر شعرائنا فهما لأصول الشعر والأدب والنقد ، وكان أعظمهم دعوة إلى التجديد ، وكان يحبذ الشعر الحر والمرسل ، وينظم من هذين اللونين قصائد كثيرة ، وتمتاز كثير من قصائده بمعانيها المبتكرة ، وخيالها العربى ، مع العناية بالجو الفنى للألفاظ ، أثرا لإجادته الموسيقى والعزف والتصوير ، كما يتسم شعره فى الغالب بتركيز الأسلوب والوحدة الفنية والانسجام الموسيقى ، ويتحاشى الضرورات إلا إذا استدعاها الجرس الموسيقى ، ومن تأثروا بموسيقاه ، بل وبأخيلته فى عدد من قصائده الشابى وسواه من الشعراء المعاصرين .

وكان أبو شادى يؤمن برسالة « الشعر بالشعر للشعر » كما يقول ، فهو لا يعتمد إلا على القوة الشعرية فى ذاتها لاستهواء المشاعر ، حتى يؤدى الشعر رسالته من إعزاز الخير وتقديس الجمال ، والنهوض بالانسانية ، كما يعبر عن ذلك فى قصيدته « رسالة الشاعر(١) » .

— ٦ —

وقد أبت مدرسة أبولو التى يمثلها شاعرنا الكبير عبادة الأصنام ، واحترمت شخصية كل شاعر وشجعت النقد الأدبى ، واحترمت النقاد سواء كانوا لها أم عليها ، وكانت رسالتها الدعوة إلى الحرية الفكرية والأدبية والفنية ، وإلى تمثيل الشعر خلجات النفوس ، ونبضات الأفئدة ، وتأملات الفكر ، وهزات العواطف والمشاعر والوجدان ، ووقفت مجلة أبولو نفسها على خدمة الشعر العربى المعاصر ، والنهوض به ، والتجديد فى دراسته . وإحياء روح الشعر الأصيل وتهذيبه مما علق به من أوهام التقليد والصنعة والابتذال ، وخدمة فن الشعر ، وخدمة الشعراء

---

(١) ص ٨ فوق العباب .

وتحريرهم من سيطرة الحكام والأحزاب ، والمناسبات الطارئة والحاجات الوقتية الملحة ، والاحتكار الأدبى الممقوت ، وفى هذه المجلة عرفت روائع ناجى والشابى وسواهما من الشعراء المجددين .

— ٧ —

إن جهاد أبى شادى الأدبى ، وآثاره الشعرية لخير دليل على أثره فى النهضة الأدبية المعاصرة ، وفى نمو الروح الفنى فى النظر إلى الشعر ، وفهم مذاهبه ، وتمثل أصوله ، هذا الكفاح الذى تنطق به قصيدة الشاعر « لم ارتحلت » ، ويقول فيها :

سألونى : لم ارتحلت ؟ كأنى ... لم أجبهم بسيرتى نصف قرن
شاديا بالطليق من شعرى البا ... كى ، أغنى لمجدهم ما أغنى
وحياتى لعزهم فى كفاح ... ككفاح الشجاع فى يوم دجن
وتبلغت بالعذاب وبالبؤ ... س مراراً ، وكل حظى التجنى
وكأنى وحدى المسىء يإحسا ... نى لعصرى ، أو أنه لم يسعنى
ما كفاهم أنى لهم ذلك الرا ... ئد يشقى كالراح فى أسر دن
ما كفاهم أنى ارتضيت شقائى ... لى جزاء ، ويهدمون وأبنى
ما كفاهم هذا وهذا فنادوا ... بعقوقى وما رعوا حق سنى
ثم حالوا بين المثالية العلـ ... ـيا لفكرى وبين شعبى وبينى
فترحلت حيث يحترم الأحر ... ار ، حيث الهواء طلق لذهنى
وأظل الوفى رغم اغترابى ... لبلادى ، ما غيبت قط عنى

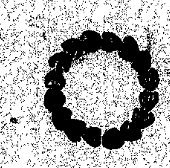
وقد نوه بهذا الجهاد الأدبى ، وبشعره وشاعريته أعلام الشعراء والأدباء والنقاد المعاصرين ، وخرج عنه عشرات الدراسات ، وحسبنا ما يقوله بعض المستشرقين(١) : أبو شادى أعظم شخصية شاعرة عرفتها اللغـــة العربية ، وإذا استثنينا شيخ الأدب خليل مطران فأبو شادى بلا نزاع أسمى شاعر رومانسى فى العالم العربى .

---

(١) مقدمة كتاب « أبو شادى فى الميزان » لمحمد عبد الغفور - ط ١٩٣٣ - وهذه الكلمة للمستشرق اليونانى سقراط اسبيرو .

ويقول الدكتور عبد العزيز عتيق : لا أعتقد أن شاعراً معاصراً غير أبى شادي قد أثر فى الشعر العربى الحديث تأثيره . أو نهض به نهضته ، أو وجهه توجيهه ، أو خدمه بقلمه أو بمجلة أبولو خدمته ، وهو بحق أحد كبار رواد الشعر العربى المعاصر ، وزعيم مدرسة فيه ، لها خصائصها ، واتجاهاتها .

وحسب أبى شادى أنه أظهر نحـــو مائة شاعر هم الذين تزدان بهم نهضتنا الأدبية المعاصرة .



الفن الغنائى فى شعر ناجى

كلما مضت الأيام ، ونضبت المواهب ، وسادت عامية الأذواق ، افتقدنا الشاعر الذى ذهب ولم يعد ، وتلمسنا النور الذى أضاء وانطفأ ، وتمثل لنا ناجى فى قمة مجده ، وعنفوان خلوده ، شاعرا غنائيا فريدا بين شعرائنا المعاصرين ، وموهبة كاملة من الإبداع والخلق والتجديد ، وعبقرية لم تستطع السنون أن تمحو صداها ، هذا الصدى البعيد ، الذى يهتف من أعماق الأبدية ، يذكرنا ـ كلما نسينا ـ بناجى وجهاده الأدبى ، ومنزلته فى الأدب المصرى الحديث .

وقد لا نكاد نجد اليوم شاعراً معاصراً يضارع إبراهيم فى فنه الغنائى ، الذى تميز به عن الشعراء المعاصرين .

ونحن لانخص الفن الغنائى هنا بالشعر الذى ينظم للغناء ، وإنما نعنى به أعم من ذلك ، نعنى به أشهر أقسام الشعر وأسيرها ، مما يقابل الشعر القصصى والتمثيلى ، ومما يعد من باب التعبير المباشر عن العواطف والمشاعر الخاصة ، والذى يجد فيه الشاعر متنفساً لآلامه وأشجانه ، وآماله وأحزانه ، ومجالا لتصوير نفسه ، والتعبير عن ذاته ، والحديث عن وجدانه ، ومما يتسم بالطابع الذاتى ، والأصالة المبتدعة ، والشخصية الملهمة ، والروح الغنائى الأخاذ ، فمداره العاطفة الخالدة ، والذهن المشتعل ، وطابع الذاتية ، والصوفية الحالمة .

وأهم خصائص الشاعر الغنائى ــ كما يقول النقاد ــ أن يعبر لنا فى تجربته الفنية عن لحظة حادة من اللحظات ، أو يعبر عن شىء مرئى فى غير تفصيل ولا تعليق[1] يقيد اللحظة الهاربة ، ويثبتها فى كلماته ، ويعرب عن لمحات شروده وعجبه ودهشة نفسه ، فى موسيقية سابغة متماوجة .

فأصول الفن الغنائى هى : التجربة العميقة الموحية ، والذاتية المعبرة الملهمة ، والموسيقى الشعرية المتدفقة بالحياة والحركة والتصوير ، يضاف إلى ذلك : شعور الشاعر بشخصيته الماثلة فى ذهن القارىء والسامع ، والأسلوب الشعرى الذى يصور

---

(١) لاسل آبر كرومبى : كتاب الشعر وموسيقاه .

فنه الغنائى ، بما يشتمل عليه هذا الأسلوب من : خيال وتناسب ، وتخير فنى للألفاظ والتعابير ، ووحدة واضحة فى القصيد .

وأشهد أن التجربة الشعرية فى فن ناجى الغنائى قوية عالية ، وأنه يبلغ فى أحيان كثيرة غاية التوفيق فى التعبير عن مشاعره وعواطفه ، تعبيراً حيا صادقا ، ولعله كان يشير إلى ذلك فى قوله عن الشعر :

إنما الشعر مزهر قد حكى قصة الأمم
وبأوتاره المنى تتلاقى وتزدحم
هو ناى مرجع لشجى وما كتم
هو أنشودة الحيا ة ، وفيض من النغم
هو آهات شاعر عرف الحب والألم

ويقول ناجى فى مقدمة ديوانه « ليالى القاهرة » : « الشعر عندى هو النافذة التى أطل منها على الحياة ، وأشرف منها على الأبد وما وراء الأبد ، هو الهواء الذى أتنفسه ، وهو البلسم الذى داويت به جراح نفسى عند ماعز الأساة .

ومما أعان على وضوح التجربة الفنية فى شعره أنه كان لا يعرف الزيف فى الشعور ، ولا التقليد فى العاطفة ، فلم يستمد إحساسه بالجمال من إحساس شاعر سواه . .

وانظر كيف يجيد ناجى فى غزله المواءمة بين تجربته وصياغته ، وكيف ينقل تجربته إلى الأذهان نقلا حيا خصبا مؤثرا ، حتى ليخلق هذه التجربة فى عقولنا ، فنرى مايراه ، ونتأثر بما تأثر به ، ونبكى معه حين يبكى لأنه ليس شاعراً وصافا فحسب ، استمع اليه وهو يقول من ملحمة « الأطلال » :

اعطنى حريتى ، أطلق يدى إننى أعطيت ما استبقيت شى
آه من قيدك أدمى معصمى لم أبقيه ؟ وما أبقى على
ما احتفاظى بعهود لم تصنها وإلام الأسر والدنيا لدى ؟
ها أنا جفت دموعى فاعف عنها إنها قبلك لم تبذل لحى
وهب الطائر عن عشك طارا جفت الغدران والثلج أغارا
هذه الدنيا قلوب جمدت خبت الشعلة والجمر توارى
وإذا ما قبس القلب غدا من رماد لا تسله كيف صارا
لاتسل واذكر عذاب المصطلى وهو يذكيه فلا يقبس نارا
ياحبيبى كل شىء بقضاء ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجمعنا أقدارنا ... ذات يوم بعد ماعز اللقاء
فإذا أنكر خل خله ... وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته ... لاتقل شيئا ، وقل : الحظ شاء

فهنا نجد شتى عناصر الفن الغنائى كاملة قوية جياشة بالروح والحياة.

وإذا تميزت القصيدة الغنائية أو الوجدانية بالموسيقى المنفعلة المؤثرة ، وبالوحدة الكلية ، فإننا نلمح أثر ذلك فى فن ناجى الغنائى، ففى قصيدة «العودة» نرى أصواتا من الموسيقى الخالدة تختلف صعودا ونزولا ، حيث نجد موسيقى هذه القصيدة تتميز بالتنوع لا بالوحدة ، ويقول بعض النقاد : إن توحيد النغم خير من تنوعه ، ولكن لاضير على الشاعر عند الكثيرين من اختلاف نغم موسيقاه فى القبض والسرعة ، ومدى الارتفاع والانفعال ، وقد كانت « العودة » أول آيات عبقرية ناجى ومواهبه الخلاقة ، يقول فيها الشاعر :

هذه الكعبة كنا طائفيها ... والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها ... كيف بالله رجعنا غرباء
دار أحلامى وحبى لقيتنا ... فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت إن رأتنا ... يضحك النور إلينا من بعيد
رفرف القلب بجنبى كالذبيح ... وأنا أهتف ياقلبى اتئد
فيجيب الدمع والماضى الجريح ... لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد
آه مما صنع الدهر بنا ... أو هذا الطلل الشاحب أنتا ؟
والخيال المطرق الرأس أنا؟ ... شد مابتنا على الضنك وبتا
أين ناديك وأين السمر ... أين أهلوك بساطا وندامى؟
كلما أرسلت طرفى ينظر ... وثب الدمع إلى عينى وغاما
موطن الحسن ثوى فيه السأم ... وسرت أنفاسه فى جوه
وأناخ الليل فيه وجثم ... وجرت أشباحه فى بهوه
والبلى أبصرته رأى العيان ... ويداه تنسجان العنكبوت
صحت: ياويحك تبدو فى مكان ... كل شىء فيه حى لايموت
كل شىء من سرور وحزن ... والليالى من بهيج وشجى
وأنا أسمع أقدام الزمن ... وخطى الوحدة فوق الدرج
ركنى الحانى ومغناى الشفيق ... وظلال الخلد للعانى الطليح

علم الله لقد طال الطريق ... وأناجئتك كيما أستريح
وإذا عدت فللنجوى أعود ... ثم أمضى بعدها أفرغ كأسى

صورة ممثلة مؤثرة ، وفكرة موصولة معبرة ، وموسيقى جياشة ، تلفتك يمنة ويسرة ، وأماما ووراء ، وتصعد ببصرك نحو السماء والأرض ، لترى يد البلى ، ونسج العنكبوت ، وأقدام الزمن ، وخطا الوحدة فوق الدرج ، وكأنما نظمت القصيدة من ألحان وأنغام ، ومن حياة وصور ، لا من ألفاظ وتعابير ، وحقا لقد تمكن ناجى من أداء مشاعره وتجربته الفنية أداء رائعا ، بهذا الأسلوب الموسيقى الموحى الجميل . .

وتذكرنى موسيقى ناجى هذه بموسيقى قديمة لشاعرين من أشهر شعراء العربية فى القديم : مهيار والشريف الرضى ، فإذا ماقرأنا شعرهما صعدنا إلى جو شبيه بالجو الذى تعيش فيه مع شاعرنا الكبير إبراهيم ناجى ، استمع إلى مهيار وهو يقول:

أجتدى المزن وماذا أربى ... أن تجود المزن أطلالا رماما
وقليلا فيك أن أدعو لها ... ما رآنى الله أستجدى الغماما
أين سكانك لا أين هم ... أحجازا أقبلوها أم شآما ؟
صدعوا بعد التئام وغدت ... بهم أيدى المنوى تترامى

ثم استمع إلى الشريف الرضى وهو يترنم :

أنت أعنت الشيب فى مفرقى ... مع الليالى فصلى أودعى
ياحاجة القلب ألم ترحمى ... جناية الدمع على مدمعى
ياحبذا منك خيال سرى ... فدله الشوق على مضجعى

فستشعر بمقدرة الشاعر العربى على تنغيم الألفاظ ، وتلحين الأساليب ، واتخاذ مادة شعره من الغناء والموسيقى ، وإن كانت هذه المقدرة وقفا على قليل من أعلام الشعر العربى فى القديم والحديث ، ومن أجلها سمى الأعشى « صناجة العرب » ، وجعل البحترى شاعرا غنائيا .

وقد تأثر بموسيقى ناجى كثير من الشعراء العرب ، من بينهم الشاعر الحجازى أحمد عبدالغفور عطار فى ديوانه « الهوى والشباب » .

ومن وراء هذين العنصرين القويين فى فن ناجى الغنائى ـ التجربة الشعرية ، والموسيقى المنغمة ـ تلمح شخصيته القوية الماثلة ، وذاتيته المعبرة المستلهمة ، فى

وضوح وجلاء . اسمع إليه وهو يقول :

ذهب العمر هباء فاذهبي   لم يكن وعدك إلا شبحا
صفحة قد ذهب الدهر بها   أثبت الحب عليها ومحا
أنظرى ضحكى ورقصى فرحا   وأنا أحمل قلبا ومحا
كنت تمثال خيالى فهوى   المقادير أرادت لايدى
ويحها لم تدر ماذا حطمت   حطمت تاجى ، وهدت معبدى

أو اقرأ له قوله :

يامن غفت والفجر فى دارها   شعشع فى الآفاق أبهى سناه
قد طرق الباب فتى متعب   طال به السير وكلت خطاه
عندك قد حط رحال المنى   وفى حمى حبك ألقى عصاه

فنحن نحس عندما نقرأ ناجى أنه يرسم صوره الشعرية بوضوح شديد ، حتى لنرى مايرسمه رأى العيان ، وكل كلمة فى قصيده ترسم صورة أو تكملها ، والكلمة عنده لا تؤدى معنى فقط ، وإنما تمثل صورا متحركة أخاذة ، وكأنك فى دار خيالة تشاهد هذه الصور المتحركة وتسمع أصواتها وضجيج حركتها ، اقرأ لناجى قصيدته المرهفة « رسائل تحترق » :

ذوت الصبابة وانطوت   وفرغت من آلامها
لكننى ألقى المنا   يا من بقايا جامها
عادت إلى الذكريا   ت بحشدها وزحامها
فى ليلة ليلاء أر   قنى عصيب ظلامها
هدأت رسائل حبها   كالطفل فى أحلامها
أشعلت فيها النار ، تر   عى فى عزيز حطامها
تغتال قصة حبنا   من بدئها لختامها
أحرقتها ورميت قلـ   ـبى فى صميم ضرامها

واستمع إليه فى هذا الحوار بينه وبين قلبه :

لاتقل لى فى غد موعدنا   فالغد الموعود ناء كالنجوم
أغدا قلت فعلنى اصطبارا   ليتنى أختصر العمر اختصارا

عبرت بى نشوة من فرح فرقصنا أنا والقلب سكارى
انفردنا أنا والقلب عشيا ننسج الآمال والنجوى سويا
فركبنا الوهم نبغى دارها وطوينا الدهر والعالم طيا
قال لى القلب : أحقاما بلغنا كيف نام القدر الساهر عنا
قلت : لاتجزع فكم من منزل عز حتى صار فوق المتمنى
أيها النور سلاما وخشوعا أيها المعبد صمتا وركوعا
رب قول كنت قد أعددته لك إذ ألقاك يأبى أن يطيعا
وحبيس من عتاب فى فمى قد عصانى فتفجرت دموعا

واستمع إليه كذلك يقول :

وانتبهنا بعد مازال الرحيق وأفقنا ليت أنا لانفيق
يقظة طاحت بأحلام الكرى وتولى الليل والليل صديق
وإذا النور ، نذير طالع وإذا الفجر مطل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها وإذا الأحباب كل فى الطريق

فسوف تعرف الشاعر فى وضوح ، وسترى شخصيته ماثلة للعيان ، ممثلة فى الأذهان . .

وتطالعنا شخصية الشاعر كذلك بوضوح فى غير قصائد الغزل ، استمع اليه وهو يقول :

قد ينام التراث جيلا لجيلا غافيا فى مجاهل خرساء
وتنام الروح العريقة فى الجد د ، لتبدو فى طلعة سمراء
فتراها مصرية السمت والقو ة والعزم والحجا والمضاء
قسما قد غفا الجلال ليصحو من جديد فى وجهك الوضاء

فسوف ندرك كيف أحسسنا بالشاعر نفســه ، وكيف نقف أمام شخصيته القوية المهيمنة متأملين متعجبين ، فى انحناء وإجلال : ولقد كان ناجى رحمه الله يعرف الشعر بأنه موسيقى وصور وإقناع وخيال ، ولا يعنى ناجى من الخيال إيراد التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وما إليها ، وإن كانت هذه هى أهم أدواته الخيال ، وإنما كان يريد للشاعر حين يتخيل أن

يطلق نفسه للتصورات العالية فى شتى مرائى الحياة . ومن صور الخيال الطريف فى شعره قوله :

يامن أحب وأفتدى ويلذ فيـــه الألم
لك حسن أنوار الخميـ لة طل صبحا فابتسم
لك نضرة الفجر الجميـ ل على الروابى والقمم

وقوله كذلك :

لاالقوم راحوا بأخبار ولا جاءوا ولا لقلبك عن ليلاك أنباء
جفا الربيع ليالينا وغادرها وأقفر الروض لا ظل ولا ماء

وقوله :

نمشى وقد طال الطريق بنا ونود لو نمشى إلى الأبد
ونود لو خلت الحيـــاة لنا كطريقنا ، وغدت بلا أحد

ومن صوره الخيالية اللطيفة قوله :

مر يومى كأمسه ، وأتى ليـ ل بهيج ترف فيـه السماء
قد جلت فيه عرسها ، كل نجم قدح يستحم فيــه الضياء

ويبلغ فن الشاعر الغنائى منزلة عالية من الجودة ملحمة « الأطلال » ، التى اختار لها وزنا راقصا غنائيا ، هو بحر الرمل ، الذى اختاره كذلك لقصيدته « العودة » أما ملحمته « ليالى القاهرة » ، فهى متعددة الأوزان والقوافى وأروع مافيها الليلة السادسة التى يقص فيها الشاعر قصة لقاء فى ظـــلام ليالى القاهرة ، إبان الحرب العالمية الثانية .

صالح الشرنوبي

١٣٤٣ - ١٣٧٠ هـ = ١٩٢٤ - ١٩٥١ م

ديوانه وحياته :

فى عام ١٩٥٢ نشر الشاعر صالح جودت ديوانا للشرنوبى عنوانه : « نشيد الصفاء » ، ويقول جودت فى المقدمة التى كتبها لهذا الديوان :

إن « نشيد الصفاء » ديوان من اثنى عشر ديوانا . كان الشاعر قد جمعها بخط يده فى كراسات صغيرة ، وكان يوصينى ويوصى والده وإخوته دائما بأن يكون هذا الشعر أمانة فى أعناقنا ، وقد تخيرنا من بين هذه الدواوين اسما من أسماء دواوينه هو اسم « نشيد الصفاء » ، وجل آمالنا أن تتهيأ لنا الظروف لنشر دواوينه جميعا واحداً بعد الآخر ، حتى نضيفه إلى سجل الخالدين فى العربية ، شاعراً يستحق البقاء والتمجيد » .

ويقول أصدقاء الشرنوبى : « إن الشاعر العبقرى صالح شرنوبى عاش غريباً ومات غريبا فى وطن الغرباء ، ونشيد الصفاء جزء من أربعة عشر جزءاً كتبها الشاعر بدمه ، ووهبها للانسانية أسرته الكبرى ، وكان أمل صالح أن يرى شعره النور ، ويصل إلى الناس ، ليتلمسوا فيه معانى الحق والجمال والإنسانية والسلام ، ونشيد الصفاء جزء من الأربعة عشر جزء التى كان يحتوى عليها ديوانه المخطوط ، أما الثلاثة عشر ديوانا الباقيات فسلوا من أودعها إياه أحباء الشاعر فادعى ضياعها أين ذهبت » ، هكذا يقول أصدقاء صالح شرنوبى ، ويلحون فى أن يعرف الناس كثرة شعر صالح ، وأهميته بالنسبة لما نشر منه .

ويقول الشاعر صالح جودت فى مقدمته كذلك للديوان : إن شرنوبى نشأ على ضفاف بحيرة حالمة ، ببلدة « بلطيم » ، منحدراً من أسرة عريقة محافظة ، وقد ألحقوه صغيراً بالمدرسة الأولية فى بلدته ، وحفظ فيها القرآن ، ثم انتقل إلى المعهد الدينى بدسوق ، ثم إلى معهد القاهرة ، ثم إلى المعهد الأحمدى بطنطا ثم طرق باب كلية

الشريعة ، ثم كلية دار العلوم ، ثم ضاق بالمدرسة ذرعا وتبرم ، وسعى إلى عمل يقيم أوده ، فمارس التدريس فى مدرسة « سان جورج » بالقاهرة ، ثم تعطل حينا ، وأخيرا استقر به المقام فى جريدة الأهرام ، حتى كانت إجازة « عيد الأضحى » من عام ١٣٧٠ هـ وذهب ليقضيها بين ذويه ببلطيم ، ذهب ولم يعد ، وكانت النهاية الحزينة فى حادث أليم » .

هكذا قال جودت ، ويقول بعض أصدقاء الشاعر إنه مات منتحراً ، وبذلك انطفأت شعلة قوية ، كان المأمول لها أن تبلغ غاية المجد . وكان ميلاده فى ٢٦ مايو ١٩٢٤ .

صور من شعره :

كان شرنوبى ينشر شعره فى مجـــلة الإذاعة ، وفى مجلة الأديب المصرى ، وفى الأهرام والمصرى أحيانا ، وفى الرسالة والثقافة كذلك أحيانا أخرى ، وسنذكر هنا بعض مختارات من شعره المنشور فى ديوانه نشيد الصفاء الذى لم يره إلا قلة من الناس .

وقبل ذلك نذكر قصيدته « قلبى » ، التى لم تظهر فى ديوانه .

قلبى :

أفديك . . مادار فى وهمى ولا خلدى ... أنى سألقيك بين اليأس والندم !
بالأمس كنت مثير النقع فى بلد ... ألقى إلى الزمن الباغى يد السلم
واليوم . . لا ذاقت الأقلام ما برحت ... تسقيك دنياك من حزن ومن يتم
كم ليـــلة ياشهيد الصمت حالمة ... رصعتها بالدرارى البيض من كلمى
حاكى صريرك فيها كل ما سمعت ... أذن الحياة من الأصوات والنغم
حكيت شدو القمارى فى تهجدها ... تبيت تبعث نجواها مع النسم
صحبتنى فى زمان قل صاحبه ... فما تغير ما آثرت من شيمى
صحبتنى فى غرامى . . والهوى قسم ... وما حبانى إلا أيسر القسم
فكنت صاحب سرى فى رضا وقلى ... وأقرب الناس عن شكواى فى صمم
أشكو إليك فتصغى لى . . وتكتب ما ... أملى عليك . . أمينا غير متهم
وكنت لى فى صراع الدهر معتمدا ... فى حالة الوفر أو فى حالة العدم
لم تبغ أجراً على الحالين من أحد ... ولا خشيت الأذى من ظالم غشم
وكم رسمت لأخلاق الورى صوراً ... مزجت ألوانها بالماء والضرم

والناس لولا سجاياهم سواسية ... وأكرم الناس أوفى الناس بالذمم
فما سئمت وقد شاركتنى محنى ... ولا برمت . . وقد قاسمتنى ألمى
وكم أخى رحم أنسته غايته ... ما قالت الكتب والأخلاق فى الرحم
ياصاحب الأمس .. ما للأمس مرتجع ... إن الحنين يعيد الروح فى الرمم
رحماك ، رحماك . . لولا برح عاصفة ... من الحنين إلى دنياك . . لم ألم
ولى مع الفن ميثاق بدأت به ... عمرى .. وأعطته روحى أعظم القسم
أخلصت للفن حتى خاننى زمنى ... فكيف أنساه . . والميثاق ملء فمى ؟
عوداً إلى الدوح ياصداح . . منطلقا ... واسلك طريق العلا . . إن العلا حلمى
قد عشت فى السفح .. حتى ضقت بى وبه ... فما وراءك إلا شامخ القمم

نشيد الصفاء :

من ترانيم وحيك القدسى ... وأفاويق عطرك الروحى
من هواك الذى استفاقت على ... أشواقه مهجة الوجود الخلى
من هواك الذى طوى البر والبحـ ... ـر ، وأعيا مواهب العبقرى
من صلاتى عليك فى غسق الليـ ... ـل وفى ضحوة الصباح السنى
أقبس الشعر وهو قربان روحى ... ونصيرى على الزمان العصى
فإذا ما أعيته آياتك الغر ... فما كان خافقى بالعيى
فاعذر الشعر فهو شعر تراث ... لم يطهر من رجسه الأرضى
أنت أسمى منه فأنت نبى ... لا يفيه الثناء غير نبى
أيهذا الأمى يا أبلغ الخلق ... بيانا . . قدست من أمى
أيهذا اليتيم حسبك فخرا ... أن ترى الله منك خير وصى
أيهذا الفقير إلا من الخير ... تعاليت فوق كل غنى
أيها الصامت الذى أيقظ الكو ... ن بنجواه للعزيز العلى
أيها الأعزل الذى قد تحدى ... أمة لم تلن لغير غوى
أظمأتها الآثام فاستبقت تسـ ... ـأل عن منهل هناك روى
أنت رويتها وكنت لها الظل ... ففاءت إلى الطريق السوى
وأنا الظامىء الذى خبلته ... نار آلامه فضيعت ريى
أنا من أغرقته آثام دنياه ... بأمواج بحرها اللجى

ولى الله كم تعوذت من نفـ سى وشيطانها المريد الأبى
كلما مضنى من النفس وسوا س تذرعت بالرجاء الهنى
وإذا ما أثار شيطانها الشك تعللت باليقين الشهى
إنما النفس جمرة ليس يطفيها سوى غيث حبك الأبدى
فابعث الغيث ياغمام المحبين ففيه هنــاء كل شقى

هاهى الأرض ياحبيبى عافت ريها من مجازر الآدمى
أزهرت بيدها من الشر واحمـــرت وروض السماء يهفو لرى
فقدت صبحها وكفنها الليل بثوب مخرق دموى
كلما أرعد الخميس أقيمت لبروق الفناء سوق العشى
ولدت ثم أثقلتها المواليد فناءت بمارد وصبى
لم تعد تعرف السلام سوى أسطورة خطها يراع غبى
لست أدرى أغرها الخلد ؟ أم حنت ليوم مخلد أزلى
يوم عبت دم الذبيح أخى الذا بح وابن المشرد السرمدى

وعجيب أمر الأشقاء فيها كيف زادوا فى ذنبه العبقرى
لم يذوقوا تفاح حواء إلا برغيف من طبعها الطينى
ثم زادوا عليها أكؤس الدمـ ـع تروى من جارم وبرى
ويجهم كالقطيع ينشد راعيـ ـه وراعيه فى فم الوحشى
هذه الأرض شرقها خلق الغر ب فلم يجزه جزاء الوفى
هذه الأرض غربها قتل الشر ق ووارى الشرقى بالشرقى
عرب يأخذ الأعاجم عنهم كل فن من البلاهة حى
حسبوا المجد أن يذلوا لعبد ومن الموت أن أذل لشى
ويرون الحيـــاة حلم غبى ويرون الإيمان حلم بغى
كفروا بالحياة إذ آمن المو تى وعاشوا كالسائم الأرضى
فإذا حدثوا عن الصخر لانوا ومن الصخر رقة العربى

فهنا مصر أمة مسختها كالتماثيل عصبة السامرى
وطن جائع وحظ مشت قصة خبلت حجا القصصى
عامل يصنع الحياة ويرجو هـا فتاتا يجفوه كلب الثرى
يؤثر الناس بالبقاء ويفنى ومن الظلم طينة الآدمى
همه الفكر فى المجاعة والدين وعقل الفتى وسقم الصبى
سئم الليل والملائك شكواه وأسماه صبحه بالشقى
وأخو الأرض ملت الأر ض كفيه وباحت بكل سر خفى
أطعمته ترابها واستبدت بقواه فلم يفد بالقوى
يومه شقوة وجوع وعرى ومناه حيـــاة هذا الغنى
يتمنى الحياة للقاتل الغاصب دعوى عربيدة وغوى
ملهم بالفجور أفكاره الاثـ ـم وليل الساقى ويوم الخلى
إنها قصـة التناقض يا قو م فطوبى للثائر العبقرى
يا لنيل الخلود تحرمه مصـ ـر وتهريقه يد الأجنبى
يا لشعب عبدانه البيض أحرا ر يسومونه عذاب العصى
يا لشعب عزت عليه الأمـا نى فهو فى الدهر كالذليل الأبى

هاهى الأرض ياحبيبى ذئاب وذئاب . من فاجر أو تقى
ملئت جازرين شبوا على الشهـ ـوة واستمرأوا طعام الغوى
ومجانين قيدوا العقل بالشـ ـر وفكوا غرائز البشرى
رقشوا الـكون بالدماء وغنوا كل لحن من الحنايا بكى
عبدوا المال وهو لمع سراب واستظلوا بظله القفرى

حرموا راحة اليقين وعبوا كل كأس من الشكوك ندى
كلما جاءهم نبى سلام رجموه بحاصب شهوى
ليتهم حين قدسوا الطين كفوا عن أذى ناسك وإفناء حى
هم كما كان والدوهم وأربوا وهم القـاسمون فى كل غى
جاهليون قدسوا جاهليين سعوا نحو غاية (اللاشى)

يا نصيرى إذا دهتنى الرزايا وأنيسى فى وحدتى ونجى
ياحبيبا أغنى فؤادى عن كل حبيب وصاحب وصفى
أنت فجر أطل والليل داج فمحا الليل بالشعاع السنى
أنت بيت القصيد والكون شعر واسمك الحلو فيه مثل الروى
أنت من ذكره على القلب أندى من ندى الفجر والنسيم الرخى
أنت ألهمتنى الصفاء على الكر ب فأصبحت كالشعاع النقى
أنت علمتنى الجلاد إذا ما أوهن الدهر جانحى بالقسى
إنما الكون يا حبيبى قرآ ن به أنت آية الكرسى .

الوجودية :

غفا بعد أن مرت الزوبعه يقاسم أحلامه مضجعه
شقى أحالته أيامه صدى نغمة بالأسى دامعه
يعيش على حرق الذكريات ويقتات آماله الخادعه
كأنى به فى جحيم الحياة نبى جفاه الذى أبدعه
تراه فتقرأ فى وجهه ملاحم أيامه الضائعه

جبين كصحراء مجهولة مشى الصمت فى جوفها حالما
وعينان تستغرقان الوجود بجى الليل فوق جفونهما
إلهيتان . . وشيطانتان تغشاهما ما تغشاهما
وبينهما تجثم الكبرياء على جدول يسكر العالما
سمات بهن يهيم الخيال يمجد فنانها الأعظما

له الله حين أفاقت رؤاه وهامت مواكبها فى سماه
طفاوات نور ترى روحه بها غير ما قد ترى مقلتاه
رأى نفسه قبسا حائرا تحد سناه قيود الإله
أثيرية غير محدودة وكون يغيب المدى فى مداه
رأى حلما حققته الحياة ليشتف أعماق بحر الحياه

رأى نفسه .. ليته ما رأى وعاش على جدبه ظامئا
لقد راعه أنه زائل ستفنى المنية ما أنشأ
وأذهله أن أيامــه زوارق لا تعرف المرفأ
تمر به صرخات الرياح فتحطم مصباحها المطفأ
ويجهش ربانها بالصلاة فيغرقها الموج مستهزئا

وفى غمرة من شعاع الخيال رأى كوكبا كفنته الليال
ترف حواليه من نوره بقايا سنى قدسى الجلال
تحدث عن أمل الوالدين وعن طهره عيسوى المثال
هو الأمس أو طفله العبقرى مضى .. والسعادة بنت المحال
هو الأمس منتحرا . والصفاء مهالا عليه تراب الزوال

وعانقه كالرؤى الطافره صبى تلفع بالآخره
يقول له أين أحلامنا وقد كن كالروضة الزاهرة
فناداه من أنت؟ ماذا تريد؟ كفى أن دنياى بى كافرة
فقــال له أنا من كنتــه أنا الفجر أو روحه الحائرة
أنا فى حياتك معنى يطوف وإن أنكرتنى الرحى الدائرة

فدى للطفولة سحر الشباب وما هو إلا خـداع السراب
منى بعثرتها رياح الزمان وألقت بها فى ضمير اليباب
وأوتار قيثارة أطرقت على شفتيها لحون العذاب
تسائلها الريح عن صمتها فتترك للصمت رد الجواب
فيا ذرة فوق سطح العباب نأى الشط فالتحمى بالعباب

يقين الحياة وأوهامها سواء إذا جف إلهامها
وما نحن إلا سطور الكتاب وأعمارنا هى أرقامها
وكاتبها الخالق السرمدى وتلك المقادير أقلامها
نكفر عما جنى الوالدان فيا للبرية ما جرمها ؟

تحف الرزايا بميلادها وترتقب الموت أيامها

اتفاحة سر هذا الشقاء ومن أجلها كل هذا البلاء ؟
تعاليت يارب ماذا أقول وأنت القدير على ماتشاء . .
أنا ابن الطريدين أشكو اليك وملء دمى ثورة الأبرياء
ألم تك قدرت أن يعصياك فلم يخرجا عن محيط القضاء ؟
وإلا ، فلم صغت هذا الوجود دحوت الثرى ورفعت السماء

تباركت.. ما نفع هذا الوجود إذا لم نفارق جنان الخلود ؟
وما بإرادتنا أن نجيء ولا بمشيئتنا أن نعود
نقاسى الحياة وآلامها وآخرنا غمرات الهمود
وتنذرنا بعسير الحساب ومن ذكره تقشعر الجلود
وما ذنبنا نحن ؟ ماذنبنا ؟ ولم نقترف ماجناه الجدود

حنانيك لو أن لى ما أشاء لكنت نبيا من الأنبياء
أطهر قومى من الموبقات وأدفع عنهم صروف القضاء
أو اخترت عرشا كهذى العرو ش أو كنت فردا من الأثرياء
أو اخترت ألا أرى عالما بقائى على أرضه كالفناء
فكنت ترابا كهذا التراب أو مزنة فى جفون السماء
حنانيك أرضك تشكو اليك وترجو رضاك وجدوى يديك
لقد أجدبت وهى مخضلة وما سرها يخفى عليك
بحولك سويت أبناءها فعاشوا كما شئت فى عالميك
يعذبهم جهلهم بالغيوب ومظلمها مستنير لديك
وتحدو المقادير أحلامهم فتطوى الطريق على ناظريك
خلقتهمو وخلقت الردى وباركته منجله الحاصدا
وأغريتهم بجمال الوجود يرون به صنعك الخالدا

فلم يعرفوك وان مثلوك فأنت النشيد ونحن الصدى
وكم وحدوك وكم عددوك فكان هداهم ضلال الهدى
ومعناك فوق الخيال الشرود ودون مداك انفساح المدى

رآك خليلك نور الشموس وظنوك فى الهند نار المجوس
وفرعون خالك فى نفسه وناجاك آباؤه فى أبيس
وحماك « مانى » ظلام الدجى وناداك « بوذا » بنفس النفوس
وكم فى المحاريب من ساجدين أفاءوا اليك بذل الرءوس
وكم فى المذابح من راهب يريق اللحون ويزجى الطقوس

وأنت « تساميت » فى كل ما حوى الكون فى أرضه والسما
أحسك فى الفجر روح الضياء وفى الطير تغريده الملهما
وفى الزهر سر حنان الندى وفى العطر تهويمه الناسما
وفى النهر تهويم أمواجه وفى الظل إطراقه الحالما
وفى الطفل . . ياليتنى قلبه أحسك تسبيحه الباغما

أحسك فى الليل صمت النيام وسحر النجوم وهول القتام
وشكوى المناكيد من دهرهم ونجوى المعاميد أهل الغرام
وأذكار مستوحش عابد رآك فأقسم ألا ينام
وأدمع أفاقه فى الدجى تبيع الهوى لتنال الطعام
تحج اليك بآهاتها لتنقذها من أفاعى الظلام

لك الأمر بى من هواك افتتان ولا زلت أشكو اليك الهوان
يقربنى منك ذل العبيد ويبعدنى عنك قهر المكان
أريد السمو وأخشى السقوط فهبنى بما قضيت الأمان
نشدتك صبوات الحسان وفى نشواتى بخمر الدنان

فقالوا غوى شق الخيال ... يعربد فى رأسه الأفعوان
وزرتك فى الدير والمسجد ... فلم تدن منى ولم تبعد
وألفيتنى مغرقا فى الرجاء ... فلم تكشف الحجب أو أشهد
أشعت وجودك بين الوجود ... ففى الحان ألقاك والمعبد
وطمأنت قلبي ، . وفزعته ... فياويح للمؤمن الملحد
وأفزعتنى فوسعت الفضـ ... ـاء إلا فضاء به ترتدى

أطوف بكونك فى عزلتى ... فأنسى بآلامه محنتى
وأرقب خلقك من عالمى ... جياع ذئاب على جيفة
تسخرهم شهوات الحضيض ... ويخنقهم جشع الطينة
وعدلك فى ظلمهم تائه ... وإيمانهم شبه أسطورة
ويغذو التراب أباطيلهم ... فتسخر منهم ألوهيتى

جنون الرؤى وسعار الألم ... رفيقاى منذ صحبت القلم
عرفت من الفن معنى الحياة ... وكنه الخلود وسر العدم
وأكرمت نفسى فطمأنتها ... زمانا .. وغامرت فى المزدحم
فروعنى أن أرى العالمين ... مقابر تنبض فيها الرمم
فعدت وكلى ربوبية ... تطهرها عبرات الندم
شربت برغمى كؤوس القدر ... وجابهت وحدى سهام الغير
وما كنت إلا لسانا أبان ... وقلبا أحس وروحا شعر
أحلق فوق مرامى العقول ... وأزحم فى الطين دود البشر
وقد أحتفى ببكاء الظلام ... وأنفر من ضحكات القمر
فلم أر كالناس فى أرضهم ... تهاويل مختلفات الصور

فهذا فنى فى الشباب الغرير … يعيش الحياة كدود الحرير
حوى كونه الكون والكائنات … ففيه التقى بدؤها بالمصير
وقلده الفن تاج الخلود … وما الفن إلا الوجود الكبير
فلم تهده غير أضوائه … ولم يصغ إلا لصوت الضمير
فأعيت مذاهبه فى الحياة … فيا حسرتا للإله الفقير

وهذا ابن أنثى غوى الفؤاد … رسالته أن يعيث الفساد
رقاب الأمانى منقادة … إليه .. وطبع الأمانى العناد
حبته المقادير ملك الثرى … وألقت إليه أمور العباد
فجن بأهوائه الآثمات … يرى بحرها ماله من نفاد
فما خنقته دموع الأسى … ولا طوقته معانى الحداد

وفى الكوخ .. حيث تقيم المحن … على ساكنيه ليالى الشجن
براعم لم تحتضنها الرياض … ولا نشقت غير ريح الدمن
يموت الندى فوق أوراقها … وينكرها الغيث إما هتن
وتقتلها العاصفات الشداد … فيدفنها القفر فيما دفن
وكل جنايتها أنها … تريد الحياة فيأبى الزمن

وفوق الذرى حاكم فى علاه … يرى قومه أمة من شياه
شياه تود اخضرار الجديب … لتسمن للذئب لا للحياة
تنام على الشوك حتى إذا … نما الورد كان دخانا شذاه
وراع طوت نايه السافيات … وغاب بجوف الروابى صداه
يهش إلى رقصات المنى … وكل الردى كامن فى مناه

ويهفو إلى الكأس إن عربدت … ويسجد للمرأة المشتهاه
وللذئب من حوله شرة … تصول إذا ما وهى جانباه

يرى الراعى الغر ينسى الحياة ... وينسى الرعيل وينسى عصاه
فيشرع من ناظريه المدى ... ليقطع عنها سبيل النجاه
وإن أيقظ الذئب صوت الدماء ... فلا ترتقب غير نوم الرعاه
وذى لحية ترهق الماشطين ... ومسبحة تعجز الحاسبين
يهز النهار بآى السماء ... فيبكى بترتيلها السامعين
فان جمع الليل ندمانه ... رآه إماما على الشاربين
يضج بلعنة أقداره ... ويسخر من خالق العالمين
فان أنت ذكرته بالحساب ... أقامك رمزاً إلى الجاهلين

ومنتبذ فى حمى الأديرة ... يفكر فى الروح والآخره
فان خطرت حوله الراهبات ... أطاحت به النشوة الغامره
وراح بعينيه يزجى الصلاة ... إلى كل فتانة قاهره
بها مابه .. شهوة قيدت ... فشبت فثارت بها الثائره
ويلتقيان فيبكى المسيح ... ويشكو إلى أمه الطاهره

ومستقتل فى صراع الضنى ... يغسل بالدمع ميت المنى
تنقل فى جانبيه الجراح ... وتأكل جثمانه المثخنا
مضى الموت يغزل أنفاسه ... لأيامه كفنا واهنا
وأبناؤه الجائعون العراة ... يقدون بالنوح صمت الدنى
ملاهيف يستصرخون السماء ... لترزقهم زائراً محسنا

ومنتحر بحبال المنى ... ودنياه من نورها يائسه
يقود الحياة بأوهامه ... وتقتاده القدرة العابسه
عجبت له كيف ينسى الفناء ... ويعشق أحلامه البائسه
ويغمض عينيه عما يكون ... إذا اعتصرت جسمه اليابسه
وقامت من الدود ندابة ... تؤبن أيامه الدارسه

وكم واقف عند باب الصباح　　وفى عينه لهفة للمساء
يحس كأن له بالوجود　　عهداً شطونا طوته السماء
وأن له ماضياً فى الفناء　　تقدمه غابر فى البقاء
فكل الذى ضمنته الحياة　　بما لقنت من فنون القضاء
له تحت أعماقه صورة　　تؤكد أن الختام ابتداء

ويارب شيخ سقاه الزمان　　أعتق ما فى كئوس الزمان
تحطم حتى لو ان الهوان　　تجسم كان مثال الهوان
وأطعمه الدهر والفرقدان　　ليأكله الدهر والفرقدان
وتسأله ما معانى الحياة　　وماذا وعى من غريب المعان
فيعيا . ويشكو اليك الشباب　　وكيف مضى قبل فوت الأوان

وطفل يبارك ميلاده　　حنان الولودة والوالد
ينادونه بالملاك الصغير　　ويكفونه نظرة الحاسد
ويستقبلون به عالما　　من الأمل الباسم الراغد
ولو أنهم علموا ما ينال　　إذا امتد فى الزمن الخالد
أراحوه من نكبات الحياة　　ومن دهره الكافر الحاقد

وطفل كريحانة فى فلاه　　بناه وهدمه والداه
تلقفه الليل من أمه　　وأسكنه جانباً من حماه
وزف إليه القضاء العجيب　　يدى مترف أعقمته الحياه
فربيه وحباه اسمه　　وما لاسمه من ثراء وجاه
فمن عمرك الله أدنى إليه　　أمن غرس الغرس أم من جناه ؟
وطفل تخف لدى ذكره　　قلوب المساكين من شعبه
يحبون فيه الرجاء البعيد　　ويرجون لو شب فى قلبه
ويخشون منه الوريث الجديد　　لظلم الأب الحى فى ثوبه
ويجرى به الفلك السرمدى　　عتى الألوهة فى جذبه

فينتفض المهد عن فاتك ... تحار المصائب فى حربه
وباك على أمسه ، ضاحك ... لغرة فجر بعيد الظلال
يعيد الحكاية من بدئها ... وينسجها بشعاع الخيال
وللدهر طاحونة لا تمل ... تدورها نكبات الليال
وفى جوفها مثل عمق الفضاء ... إذا سورته رءوس الجبال
فما هو؟ ما الكون ؟ ما الكائنا ... ت لعل الإجابة عين السؤال
وباك على يومه قبل أن ... يحرره الغيب من قيده
يرى فجره من دجى ليله ... قريب الزمان على بعده
فيرصد بالوهم ما فى غد ... وكل التعاسة فى رصده
ويمزج ما ذاق من أمسه ... بما يخبأ الغيب فى برده
فيسكب ما حار من دمعه ... ويوقظ ما نام من وجد
وذى صبوة شغفت قلبه ... وأضنته إحدى ذوات الخفر
توله حتى رأى حسنها ... تخلق مما وراء الفكر
ففيها من الشعر والأغنيات ... وسحر الرؤوى والدى والزهر
روى أملا وروت مثله ... على الحب وانتظرت وانتظر
وشق على الدهر أن يسعدا ... فجف الفراش . ومات الثمر
وطاو على الفقر أيامه ... يحب ! فيا للهوى المتعب
رأى بنت سيده مرة ... فقال هنا غاية المطلب
وراح يصب أمانيه ... أغاريد فى نايه المطرب
تئن من الجوع أمعاؤه ... بكاء على جوفه المجدب
فيحسبه من أنين القلوب ... إذا احترقت بالضنى الملهب
وأعجب منه ابنة السيد ... تبيع الغنى بالغرام الصدى
رأت فيه فوق معانى الشباب ... ذراعا أشد وصدراً ندى
وبين زواجهما حائلان ... من الحسب الضخم والمحتد
ولكنه الحب قاس عنيد ... ولا بد للسهم من منفذ
وكم جمع الحب فى قيده ... أخا البؤس بالأروع الأمجد
مواليد تجرى الليالى بهم ... على قدر فوقهم قادر
كما كان آباؤهم فى الحياة ... يكونون . والفرخ للطائر

وربتما خالفوا الوالدين ، فقد يولد البر للفاجر
حقائق جلت عن العالمين وغابت عن الباحث الساهر
أرى وجهها المظلم المدلهم فمن لى بوجه لها آخر !

ياعيد :

رفرفت فيك ملاحنى.. وغنائى ياعيد رغم تكاثر الأرزاء !
ولمن أغنى .. إن لقيتك صامتا ومواكب الألحان ملء سمائى؟
أشرق..على وجه الليالى كوكبا ضافى الجلال معطر الأضواء
وأفض على جدب الحياة. صبابة من كأسك الروحية الصهباء
ياعيد، يا أمل السماء إذا دجت بالحادثات مواسم الغبراء
تجرى الحياة بليلها . . ونهارها ولك المكان الفرد فى الآناء
ملء الحمى.. يا كون.. طال حنينهم للفرحة النشوانة العذراء
يستنبتون الصخر.. لا يرثى لهم قلب . وآخر سعيهم لهباء
فانضح بمائك قفرهم وانسج لهم من نورك المسحور ثوب هناء
واطرق على الكوخ المحطم بابه ضيفاً على سكانه التعساء
ياواهب النعماء .. كم من أكبد فى الأرض ظامئة إلى النعماء
قل للألى ذهب الغنى بعقولهم فنسوا ضحايا الدهر والأرزاء
لاتجعلوا يومى على علاته حربا على الأيتام والفقراء
الأرض دونك . فامض فى آفاقها وامزج قريب فساحها بالنائى
وسل المدائن والقرى عن حالها فى رحمة الشهوات . والأهواء
تنبئك ثرثرة القطيع بأنه ضاقت عليه منافذ الصحراء
الأرض. مازالت كعهدك مسرحا للقصة الملعونة الشوهاء
والناس قابيل وهابيل وما من آدم فيهم ولا حواء
«موسى» لديهم كاذب ومخادع والسامرى مصدق الأنباء
يتهافتون على الحطام وربما شربوا السموم ليظفروا بدواء
ويمجدون السلم وهو وسيلة فى شرع أحكمهم إلى الهيجاء
شعب ، يعيش على دماء ممالك وممالك تحيا بغير دماء

ومقاصر للعدل شامخة الذرى   الظلم فيها سيد الزعماء
ميزانها المخبول وجه منافق   وبناؤها من أعظم الضعفاء
المدفع الجبار فصل قضائهم   والهدم غايتهم من الإنشاء
إن يحكموا فالشاة ذئب وادع   والذئب إن عدلوا صريع الشاء
فى كل واد للسلام مآتم   مجنونة تبكى على العقلاء!
الكون فيها والحياة رهينة   بالوثبة الذرية الحمقاء
الأرض دونك فامض فى آفاقها   حتى تمل بها من الإعياء
فاذا تعبت فألق حملك واسترح   فى الشرق وامدد أطول الثؤباء
فهنا الكسالى التائهون يحوطهم   نوب الزمان السود بالظلماء
«يقفون والفلك المحرك دائر»   ماض مضى البارق العداء
سكروا بأوهام الحياة وأسلموا   سفن المنى لمصارع الأنواء
وتنكروا للمجد وهو أمانة   ورثوا مفاخرها عن الآباء
أنى نظرت فثم شعب ضائع   عفن الحياة ممزق الأشلاء
أقيالهم فى القيد مثل رؤوسهم   رغم اختلاف القدر والسيماء
يتقاسمون الذل لقمة سائل   عجزت طبيعته عن الاعطاء
الدين فيهم سبة ومعرة   يمشى العزيز به على استحياء
والكفر فلسفة يهيم بحبها   من شاء أن يدعى مع الحكماء
أمم على الماضى تطيل بكاءها   وتنام عن مستقبل وضاء
رمم يعاف الدود ريح طعامها   وتعد رغم الموت فى الأحياء
ياعيد ياضيف الزمان . أسامع   أم لست تسمع دعوتى وندائى؟
مازال قومى يحسبونك مثلهم   غرا تهيم بزخرف وطلاء
لبسوا لك الثوب الجديد وتحته   أجسام عبدان الهوى أسراء
لبسوا لك الثوب الجديد فقل لهم   العيد عيد القلب لا الأزياء
واقرأ عليهم قصة المجد الذى   شادت دعائمه يد القدماء
مجد العروبة والخلود بذكره   ثمل الفؤاد منور الأرجاء
واشرح لهم معنى الحياة وقل لهم   المجد . . . للحرية الحمراء
واملأ مسامعهم بصيحة شاعر   فتحت يداه الخلد للشعراء
«شوقى» وما شوقى عليك بهين   ياعيد فهو الخالد الأصداء

«شوقى» الذى قال «الحياة عقيدة»　　هو رب هذى الآية العطراء
«تالله مادون الجلاء ويومه»　　عيد نكون به من السعداء

أختى :

أختى ، قصيدة شاعر غزل　　أختى ، تميمة ساحر الخبل
أختى «هيام» ، وأنت من أملى　　لأنا الحزين عليك يا أختى
لأنا الحزين وان طغى فرحى　　وسكرت من دهرى ومن قدحى
حتى أحس كهمسة الشبح　　وأراك مائلة على قربى
فيفيض نبع البشر فى قلبى　　وأرى دعاب الصحب من ذنبى
وأعيش فى دنياى يا أختى

كم مرة أغرقت فى الضحك　　من غير ماداع الى ضحك
فأظل أسأل أين مضحكك　　أهو الزمان ؟ وجده لعب
أم طائف بالغيب محتجب　　أم أنها الأحداث والنوب
ولكم تسلى الحزن يا أختى

أم أنه عقل المجانين　　شيطانه رب الشياطين
وبذكره تحلو أراغينى　　وبريحه تسرى تلاحينى
وبغنه تسمو أفانينى　　ياليته يوما ينادينى
لأغيب عن دنياى يا أختى

ولقد ألم بوجهك القمر　　فأتيه فى ديمومة الفكر
وجه كوجه إلهة الخفر　　إشراقة حفت باشراق
أو فكرة فى ذهن خلاق　　أو خفقة فى قلب مشتاق
أو دمعة تبكيك يا أختى

أو زهرة صوفية الطيب　　نامت على مفرق محبوب
أو آهة فى صدر مكروب　　أو نسمة فى جوف إعصار
تشقى بما تصلاه من نار　　وسلامها فى كف جبار
كسلام نفسك أنت يا أختى

وتقول أمى حين تلقاك ياليت قلبي ماتمناك
أو ليت مهدك كان مثواك لك فى بنات الحى أتراب
عرسانهن لهن أحباب فأقول والمقدور غلاب
الحظ خانك أنت ياأختى

وإذا الطبيب وصحبه تاهوا قالت أصاب الجن مرماه
و « هيام » باتت من ضحاياه قالت . وقلت أفلسف العذرا
الجن مأمور قد ائتمرا والله فكر حير الفكرا
وأذلها بالغيب يا أختى

واذا الكرى نادى الخليينا فأجبته وهجرت نادينا
قالوا نأى من كان يسلينا فأقول بل من كان يبكينا
ويحيل أحنانا كقاسينا ويثير فى نفس البراكينا
وأظل أبخس منك يا أختى

ولو أننى طامنت من كمدى لرأيت غيك آية الرشد
وعرفت فيك شقيقة الأبد أشبهته صمتا واعجاما
وشأوته عمقا وإبهاما وإذا أنار ازداد إظلاما
وإذا أنرت دجوت يا أختى

قاس عليك أنا ، فلا تغضى إما قسوت فليس عن بغض
أنا فى السماء وأنت فى الأرض أنا فى سماء من خيالاتى
أحيا بفكرى وانفعالاتى فانأى بأرضك عن سماواتى
تنأى القساوة عنك يا أختى

دين الوجود وفاؤه العدم والماء سر وجوده الضرم
واللغز حين يبين ينبهم وأرى الحياة ، وبدؤها الأجل
واليأس ، أول خلقه الأمل والعقل ينقص حين يكتمل
ومن الجنون العقل ياأختى

الفتنة الخرساء :

أطرقت فى ضراعة تذكر الله وفى صمتها يذوب النداء . .
ذات حسن جلت عن الحسن فى الأرض وودت لو قبلتها السماء
طفلة كالنسيم لطفا وكالطل على الزهر فاض منه الحياء
ثغرها كأس جنة بارك الله طلاها . . سحرية عذراء
فيه من كل آية سرها الأعلى . . ولكنه طواه الفضاء
فيه من سكتة الطيور على الدوح وقد زاد فى أساها العناء
فيه عى للسان وهو بليغ صامت اللحن صارخ بكاء
فيه أغفت إلهة الصمت سكرى برحيق لم يحسه الندماء
فيه إشراقة الزهور إذا رفت عليها الظلال والأنداء
فيه قيثارة من الله ثكلى لم ترجع أنغامها الأصداء
فيه من هدأة الدجى ومن الفجر خشوع ورقة وصفاء
كلما أطبقته حزنا ترامت فى فؤادى سهامها النجلاء
كرم الله سمعها عن أحاديث الدنايا فمات فيه الدعاء
عينها منبع من السحر دفاق به جاور الظلام الضياء
لحظها طلسم من النور روحى وشعر معطر وسناء
فضح الحسن سره كلما ناسم قلبى شعاعه الوضاء
منه ما يظمىء القلوب ومنه ما ينال القلوب منه ارتواء
منه لحظ يضىء للشاعر السبل ومنه السهاد والظلماء
ولأهدابها الرقاق فضاء قدسى أحكامه خرساء
سائلوا أى مهجة لم تذب شوقا إليها إذا طواها المساء
كلما أقبلت على أطارتنى شعاعا آهاتها الرعناء
كل قلب حلت « نبيلة » فيه حل فيه الهدى وحل الرجاء
إيه يافتنة النواظر ، مالى كلما هاجنى الحنين أساء ؟
ذكرتنى آيات حسنك ليلاى فهاج الأسى وفاض البكاء
إن حزنى وحرقتى وسهادى حجتى يوم تبرد الأحشاء

الممثل :

هائم الروح بالهوى والأمانى　　خالد الذات وهو كالناس فانى
فيه ما فى الحياة من مشكلات　　فهو فوق النهى ودون العيان
لوحة أثبت الزمان عليها　　أبدى الظلال والألوان
هو كالطينة التى نحن منها　　فهو كل الأنام فى إنسان
ملك حينما يشاء له الفن　　عزيز المقام والصولجان
أو حقير عريان مزقه الجو　　ع وأضنته لوعة الحرمان
وإذا ما أراد فهو ملاك　　قدسى مطهر صمدانى
أوغوى تضج منه السماوا　　ت . . مريد إلا على الشيطان
كل حى له لسان وهـذا　　وحده ناطق بألف لسان
ولقد يعجز البيان إذا　　عبر عما يريد دون بيان
بانفعالات وجهه الإنسانى　　باختلاجات جسمه الأفعوانى
بيـديه . . بحاجبيه . . بعينيه . . بمالا تقوله الشفتان
فهو باك أو ضاحك . . وبليد　　عبقرى . . أو معجز ذو افتنان
وإذا حدثت يداه فرحى　　وإلى الملتقى . . ودعنى وشانى
واعـذرونى . . أو انقذونى أو ابكوا لبكائى . أو فاهزجوا بالأغانى
وإذا حاجباه شالا فاعجا　　ب بحب أو كبرياء أنانى
وبعينيه ـ ويح عينيه ـ دنيا　　صبوات وفلسفات معانى
فهما شعلتان وهاجتـان　　أبدا . . . بالوجود طوافتان
وهما طفلتان عربيدتان　　وإلهيتان شيطا نتـان
يخفق الكون حين تأتلقان　　وتنام الحياة إذ تخبوان
وعلى ثغره . . وفى شفتيـه　　يتلاشى السكوت فى الهذيان
شفتاه أو شاطئا البحر سيا　　ن ففى قلبـه محيط الزمان
إن يقلبهما لحدث عن الساحر　　يشق بسحره الخافقان
أو يدورهما فـا أظمأ القبـ　　لة تهفو إلى خدود الحسان
أو يحدث عن الغرام فقد تصبـ　　ح ــ أنت الخلى ــ عبد الغوانى
هو إن ثار فالبسيطة روما　　وهو نيرونها . . بلا نيران ؟ !
وإذا ما اطمأن فالجدول العا　　شق يشكو هواه للشطآن

ربما تلتقيه ينساب بشرا وبجنبيـه ثورة البركان
ليت من يحسدونه — عرفوه فهو كون كهذه الأكوان
حيرتى فيه مثل حيرته الكبر ى إذا مثل التقى وهو جانى
أنا ما إن وصفته — غير أنى قد تمثلت عالم الفنان

غريب فى الربيع :

أنا الغريب هنا . لاخمر أسقاها ولا نديم يعاطينى حمياها .
أنا الغريب هنا لاالروض يبسم لى ولا أزاهره تندى ثناياها
هنا الخميلات أشواق مغردة العاشقون طيوب فى حناياها
هنا الخليون ، لم يقدر لراحتهم موت ولم يعدموا للنفس سلواها
هنا الخليون أحساب وأنساب حبائب عبقريات وأحباب
وخمرة تسكر الأحلام ريقتها وشاربون لهم فى السكر آداب
طارت بهم نشوة اللقيا ، وغللنى قيد من الوحدة الخرساء غلاب
يالهفتا أنا محروم ، وملء فمى نجوى وبين حنايا الصدر وثاب
أنا الذى ملت الشكوى أناشيدى ماتت بقلبى حتى فرحة العيد
عيد مضى ، قبل أن تبدو بشائره وأزهقت روحه أشباح تسهيدى
كم مرة هزنى من نايه نغم فرحت أسقى المنى خمر الأغاريد
مالى أراه كأن الحزن أذهله فلحنه ذوب آهاتى وتنهيدى
أنا الخلى الذى دنياه تشبيب وحبه لهب فى الروح مشبوب
أنا الخلى ، وفى جنبى ملحمة خفاقة شعرها بالنار مكتوب
حبى أغان شريدات وأخيلة محرومة . وأسى دام وتعذيب
حبى جنون وأحلام مخدرة وفكرة سرها بالغيب محجوب
خلقت بالشعر حوائى وجناتى وقلت حسبى من الدنيا خيالاتى
حتى أفقت على حواء تهتف بى وفى دمى آدم عاتى الضراعات
فصحت : ياويح من أنسته فكرته أن الحياة هوى سامى الصبابات
ياويح لى ولفن كنت خالقه واليوم خالقه فن السماوات
أسلوة أنا ؟ مالى لاتناديني حواء فكرى إلى حب المجانين
حب الألوهية النشوى بعفتها وعزة عرفت ذل المساكين

هناك تحـلو انطلاقاتى وتعرفنى ... نفسى ويغرقنى موج الأفانين
هناك حيث اتحدنا روح شاعرة ... وشاعر بالهوى والمجد مفتون
هناك حيث شربنا خمرة الأزل ... وكان قلب يحكى نشوة الأمل
وكنت منى مكان السحر للمقل ... وكنت منك مكان الشاعر الغزل
وقلت لى أنا. قلت الكون بعض أنا ... وقلت لى أنت. قلت الموت أهنأ لى
ياطيب مامر من أيام فطرتنا ... يابؤس ما أبقت الأيام من أجلى
حواء. ماطابت النجوى لمنتحب ... عودى إلى آدم فى التيه مغترب
لم ينسه الفن أن الحب خالقه ... وأن أمواجه فى الحب كالحبب
وكيف ينسى، وفى عينيه جائعة ... أرادها الله أن تقتات بالنوب
روح من الملأ الأعلى، تقاسمها ... سجن وحرية مجهولة السبب
يافن إنك من حـواء مجبول ... ياشعر، معناك ضمات وتقبيل
لاتبكيـانى: فللحرمان آخرة ... ولا تظننا، فبعض الظن تخبيل
إنى أريد الهوى. أفـكار ملهمة ... فنانة ملء دنياها التهـاويل
أريدها قبسا يهدى إلى قبس ... مغيب نوره يأس وتأميل
أريد حواء من خلق المقادير ... أسطورة شربت خمر الأساطير
مسحورة من سبيئـات القوارير ... والذكريات وأنفاس المزامير
أريدها فكـرة لله خالدة ... خلود روحى وأشجانى وتفكيرى
أسمو بها حين تسمو بى إلى فلك ... يفنى على نوره قلب السمادير
أريدها كالأمانى.. صدقها كذب ... أريدها فرحة طافت بها النوب
أريدها بنت أيام معـذبة ... وأنفس فى جنان الشوك تضطرب
أريدها.. ولها من نبلها نسب ... ومن جلالتها فى ضعفها حسب
وآه منها.. ومن هم يمثلهـا ... حتى إذا شئتها.. تنأى وتحتجب

خمس وعشرون سنة:

خمـــس وعشرون عاما ... مرت سحاباً جهـاما
فـــا زرعن صفـــاء ... ولا حصدن ســلاما
وما زرعن ســوى اليأ ... س ناضراً بســاما
ولا حصدن ســـوى العم ... ر أنجمـا تـترامى

تدور رأسى إذا ما حسبتها أياما .... !
وأفقد العقل إما حسبتها أحلاما .... !
مشيت فيها على الشو ك لا أمل اعتزاما
أكافح الحقد . . والحا قدين . . والأوهاما
واليأس . . والبؤس واله م . . والأسى والأناما
وأجبه الدهر فرداً ذا مرة . . مقداما
أسق المنايا منايا من همتى . . وسماما
وكلما راش دهرى سهما بريت سهاما
وكلما اعوج رمحى قومته . . فاستقاما
لايعرف الخوف قلبى ولا أهاب انهزاما
ولا أبالى جرى الحظ مدبراً أم أقاما
ما دام عزمى جليدا على الزمان . . هماما
وملء ثوبى من الصيد أروع لايسامى
صلبت دهرى وحظى فما بلغت أواما . . !
ولا اصطنعت خلوداً ولا ادخرت حطاما . . .
خمس وعشرون عاما ذابت جوى وسقاما
تهوى على أم رأسى حجارة ورجاما . . . !
كأنما ترجم النو ر فيه . . والأنغاما
وتلتظى فى حياتى سحبا تفيض ضراما
لم أدر فيم تولت وكيفما . . والاما
وسوف أبلغ حينى كما بلغت الفطاما
والجهل آخر على وإن دعيت الإماما
سئمت ذاتى وظلى وصبوتى . . والغراما
وصار أقصى أمانى أن أذوق الحماما
وبات عيشى على الأر ض محنة وغراما
سئمت حتى التمنى ! والدمع . . والابتساما
والأرض والساكنيها والأفق . . والأجراما
والحسن والعاشقيه والزهر . . والأنساما

والشعر . . والفكر	والفن.. والهوى والهياما
والليل يشبه حظى	والنور يحكى الظلاما
فلست أطلب شيئا	مهما دنا . : أو تسامى
وما أريد حلالا	من المنى ؛ . أو حراما
حسبى . . وفوق مرادى	ألا أطيل المقاما . .
وأن أرى لحياتى	نهاية . . وختاما
يارب . . لازلت حيا	أصارع الأياما
أطفو على السطح . . ظلا	من السكون مقاما
وأسكن القاع روحا	معذبا . . مستهاما
لا يرحم السطح ضعفى	ولا يقينى انحطاما
ولا أرى لى فى القا	ع مضجعا . . أو مناما
ولى من الأرض قبر	سيحتوينى رماما
لابد منه . . وإن طا	ل بى المقام وداما
يارب .. فاقض على شقو	تى وهبنى السلاما
وفى يديك زمامى	فلا تمد الزماما . !
ويا رفاق حياتى	وصفوتى والندامى
دنا الرحيل فلا تقطعوا	لعهدى ذماما
وإن جزعت . . فلا تسر	فوا على ملاما
وإن مضيت فلا تذ	رفوا الدموع السجاما
خفوا إلى حمل نعشى	وألبسونى القتاما
وأشبعونى وداعا	وحطموا الأقلاما
وتوجوا بالأقاحى	جباتى . . والخزامى
واستغفروا لى فيا طا	لما اقترفت الآثاما
ولم أراقب لجهلى	الواحد العلاما . .
فان مررتم بقبرى	مسلمين لماما . . . !
فلم أحي صديقا	ولم أرد سلاما
فلا تقولوا طواه البـ	ـلى رحيقا وجاما
فربما كان موتى	بعثا . . وصمتى كلاما

وربما صار جسمي تحت الرغام رغاما
وذبت في الطين طينا فما أريد انقساما
وإن جعلت الدياجي كأسا . وصمتى مداما
فلا تثيروا ظنونا ولا تديروا اتهاما
وودعوني خفافا كما أتيتم . . كراما
ولا تزيدوا زحام القبور حولى زحاما
ولا تقولوا فقدنا في الخطوب حساما
أو مات لم يقض حقا ولم يبلغ مراما
فحسب حي شقاء خمس وعشرون عاما

حياتي :

الحمد لله على ماقضى والشكر لله على ما أمر
فما أظن الأرض تحوى فتى وجوده قد كان إحدى الكبر
مثل فتى يدعونه شاعراً وما بغير الموت يوما شعر
حياته ليل دميم الرؤى مروع الأشباح . . كابى الصور
تفترس الأحداث آماله وترتوى من دمها المنهمر
أحمق منه وهو يبنى المنى تلك المنى إذ تتحدى القدر
أتى فلم يفرح بميلاده إلا نديماه الأسى والفكر
حيران لايعرف عن نفسه إلا كما يعرف هذا الحجر
يبكى بلا دمع وفى قلبه مايغرق الدنيا إذا ما انفجر
وربما زان له ضعفه أن يشتكى آلامه للبشر
لكنه يخشى مواساتهم فى محنة . . الصبر فيها انتحر
فينطوى . . والله أدرى بما يثور فى بركانه من شرر
لايعرف الصبر . . ولكنه لما رأى طول الظلام اصطبر
بين أمانيه . . وبين الردى عهد قديم العهد . . باقى الأثر
فكلما رف على أفقه ضياؤها . . عاجله فاندثر

وكل يوم مر من عمره   مقبرة فى صحراء العمر
أجداثها الملقاة فى جوفها   أحلامه المحترقات الزهر
وكل حين عنده مأتم   لميت فى قلبه محتضر
يمضى كما يأتى . . فلا نأمة   يبكى لها أو نغمة تذكر
يهفو إلى النسيان فى عالم   ليس من الأحزان فيه مفر
أخلاقه البيضاء ميراثه   عن الكرام الوالدين الغرر
فهى الثراء الضخم إن فاقة   حلت به . . ومجده إن نخر
وفى حنايا صدره خافق   دقاته ثرثارة لا تقر
تدق باب القبر مجنونة   وتؤذن الثاوى بقرب السفر
كم عاش للناس بأحلامه   وآب . . لم يحمد . . ولم يفتكر
يرثى لكل الناس فى حزنهم   ويحتفى بعرسهم إن عبر
حتى غدا فى موجهم ذائبا   كأنه سمع لهم أو بصر
لكنهم والطين معبودهم   وأمهم أم الخنا والدفر
هدوا عليه ما بناه لهم   ولم يراعوا قلبه المنكسر
هذا يهوذاه الذى باعه   وذاك بيلاطسه المحتقر
فى عمره حقل فسيح المدى   لم يدر ساقيه ولا من بذر
حقل من الأوهام تنمو به   أشجارها مختلفات الثمر
الموت فى زقومها كامن   والجنة الحمراء فيها سقر
نهاره قزم سريع الخطى   معذب الآصال داجى البكر
والليل وحش فوقه جاثم   مشوه الخلقة دامى الظفر
يظل يسقيه بلا رحمة   ويقرع الكأس له إن فتر
فإن غفا مد له مسرحا   حدوده فوق مرامى النظر
قال وقد ضاقت به نفسه   وعاودته الذكريات النكر
رباه هذا زورقى حائر   معطل المجداف لا يستقر
ظلت رياح الدهر تلهو به   وهو لها مستسلم لم يثر
أرثى لنفسى . . وله كلما   شارفت منجاة . . هوى وانحدر
وكلما حن إلى شاطىء   صاحت به الأعماق لا تنتظر
رباه . . هذا أنا فى زورقى   عبدك . . فاصفح إن لسانى عثر

أفرغت كأسى من رحيق المنى   فقد وجدت اليأس عين الظفر
وكلما سادلنى صاحب   ماذا ترجى فى الغد المنتظر
أقول ما يرضيـــك يا خالق   ويسحق الوهم . . ويفنى الضجر
« الحمد لله على ما قضى   والشكر لله على ما أمر »

طال الطريق :

طال الطريق فمن يقول لسادر   حيران حسبك ، قد بلغت مناكا ؟
وطرقت أرضاً ، ضاع عمرك كله   من دونها . . وتمزقت قدماكا
فجرت قلبك جدولا . . تسقى به   زهر المنى وجنيتها أشواكا
وهدمت صرحاً للشباب مشيداً   لتقيم للمجد العظيم سماكا
وجرى القضاء بحكمه . . وكعهده   تخسرت هذا فى الحياة وذاكا
وبقيت وحدك . . لا تمل تساؤلا   والحيرة الخرساء . . رجع صداكا
وطوى عباب الدهر ما أملته   يا ليته لما طواه . . طواكا
طال الطريق . فمن يقول لسادر   حيران . . حسبك يا جعلت فداكا
أبت الليالى أن تغير ثوبها   وظللت تصبغ ثوبها بدماكا
رحماك . . إن الله بالغ أمره   وهو اللطيف . . فناده . . رحماكا
رحماك ضاع العمر وانقضت المنى   والأمر أمرك . . لا إله سواكا
لولا رجائى فيك . . قل تصبرى   وقطعت حبل شقاوتى لولاكا
فامنن بعفوك إن أردت ، ونادنى   فالعبد عبدك . . والقضاء قضاكا

الشاعر محمد الأسمر

تمهيد — مولد الشاعر — لقب الأسمر — الشاعر بين المدرسة والحياة — حياة الشاعر الأدبية — شخصيتان فى حياة الشاعر الأدبية — كيف ينظم الشاعر شعره — الملهم والمستمع الأول — آراء فى شعر الشاعر — أخلاق الشاعر — ركن الأدب — مؤلفات الشاعر — رأى الشاعر فى الشعر — شعر المناسبات — فترة التقليد — صور من شعره .

— ١ —

منذ أربعين عاما بدأ الشاعر محمد الأسمر حياته الأدبية ، ولا زال حتى اليوم يتابع خطاه فى قوة وإجادة ، أربعون عاما كاملة لم تخل فيها الصحف والمجلات فى مصر والبلاد العربية من آثار الأسمر ونفثات يراعه ، وقد أخرج خلالها ديوانه « تغريدات الصباح » ، ثم ديوانه الضخم « ديوان الأسمر » ، ثم كتابه القيم « مع المجتمع » الذى يحتوى على صور رفيعة من الشعر المنثور ، ويمثل لونا متميزا من ألوان النثر الفنى فى الأدب المعاصر .

— ٢ —

وقد ولد الشاعر الأستاذ « محمد الأسمر » فى مدينة دمياط ، إحدى مدن مصر التاريخية ، وكان ميلاده فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٠ ميلادية ، وقد كتب عنه الأستاذ « قاسم مظهر » يقول :

« تحت سماء دمياط الساحرة وعلى أرضها الضافية الجمال ، ولد الشاعر النابغ الأستاذ « محمد الأسمر » ، وقد استمد من جمال بلدته وخصوبتها : دماثة الخلق ، ووداعة النفس ، وطيبة القلب ، وخفة الروح ، ووسامة الوجه وبشاشته »

— ٣ —

وفى تعليل لقب الأسمر كتب القائمقام عبد الحميد فهمى مرسى صديق الشاعر

فى مقدمته التى كتبها فى (ديوان الأسمر) ، يقول :

قلت للشاعر فى يوم من الأيام إنك أبيض الوجه فما لقب الأسمر هذا ؟ ! فقال لى : إن علماء البلاغة يسمون هذا التمليح ـ من الملاحة ـ وأما إذا عكست وسميت صاحب اللون الأسمر بالأبيض فهو عندهم التهكم . وقال لى : إن من الصحابة رضوان الله عليهم من كان يلقب بالأسمر والأسود ، وقال إن لقب الأسمر موجود بالبــلاد المغربية وبلاد الشام ، ثم قال إنه فيما مضى قدم ـــ من (مراكش) إلى (دمياط) بلد الشاعر ـــ رجل من كرام الرجال هو فاتح بن عثمان الأسمر التكروري . كان من المتصوفة الذين لايحيدون عن الكتاب والسنة فى أقوالهم وأفعالهم ، وكان محبا للخير فاعلا له ، داعيا إليه ، وكان فيه ترفع وكرم ، وقد أطنب المقريزى وهو يتحدث عن دمياط فى ذكر شمائله ، فما قاله عنه إنه « كان يعظم العلماء ، ويكرم الأيتام ، ويشفق على الضعفاء ، ويبذل شفاعته فى قضاء حوائج الخاص والعام ، ويستقل ما يؤخذ منه مع كثرة إحسانه ، ويستكثر مايدفع إليه وإن كان يسيرا ، وقد توفى وترك ولدين ليس لهما قوت يوم وليلة ، ومات وعليه مبلغ ألفى درهم !! »

وفاتح بن عثمان هذا هو المعروف عند الدمياطيين وفى البلاد المجاورة لدمياط باسم (أبى المعاطى) لكثرة عطاياه وبركاته ، وضريحه يزار بمسجده هنالك بأقصى المدينة من الناحية الشرقية وهو معروف باسم « جامع أبى المعاطى » . . . ويعتقد الشاعر أن أسر (الأسمر) بدمياط ، أو التى نزحت من دمياط إلى (بورسعيد) وغيرها من البلاد ، تنتمى إلى هذا الرجل الفاضل .

— ٤ —

والتحق الشاعر فى طفولته بمكتب من (مكاتب) تحفيظ القرآن بدمياط ، ولكنه لم يلبث به إلا قليلا ، ثم التحق وهو فى الثامنة من عمره تقريباً بإحدى المدارس الأهلية بدمياط ، وكان من العلوم التى يتلقاها فى هذه المدرسة (القرآن) الكريم ، وقد حفظ نصفه بها ، وبعض المحفوظات الأدبية شعراً ونثرا ، والنحو والإملاء ، والحساب . وكانت هذه المدرسة تعد متخرجها ليكون كاتباً حسابيا بإحدى المحلات التجارية ، ثم تاجرا بعد ذلك إذا سمحت له ظروفه المالية أن يكون تاجرا .

وتخرج الشاعر من المدرسة المذكورة سنة (١٩١٤) ميلادية تقريبا ، وزاول التدريس بها شهورا ، ثم قام بعمل (كتابى) فى إحدى المحلات التجارية برأس البر مدة المصيف (ثلاثة أشهر) ، ورأس البر مصيف قريب من دمياط . ثم عاد إلى دمياط وقد عافت نفسه التدريس بالمدارس الأهلية ومزاولة الكتابة الحسابية بالشركات التجارية .

وكان الشاعر يشعر بميل شديد إلى الشعر والاستزادة من التعلم ، ومما ساعد على إظهار ميله للشعر تلك المحفوظات الأدبية والشعرية التى كان يدرسها بالمدارس الأهلية ، وحدث أن قابل بعض طلبة (معهد دمياط الدينى) واطلع على ما بأيديهم من الكتب فشاقه ذلك إلى دراستها فالتحق بالمعهد طالبا فى سنة (١٩١٥) .

وفى سنة (١٩٢٠) غادر معهد دمياط ليلتحق بمدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة ، وظل بها ثلاث سنوات ، ثم ألغت الحكومة المصرية هذه المدرسة لأسباب سياسية ، وكانت من خير المعاهد العلمية ، فالتحق الشاعر طالبا بالأزهر بعد ذلك .

وزاول فى أثناء التحاقه طالباً بالأزهر التصحيح بجريدة (السياسة) التى كان يصدرها حزب الأحرار (الدستوريين) بمصر . يعمل بها من الساعة السادسة مساء إلى الساعة الثانية ، وفى الصباح يحضر دروسه طالباً بالأزهر من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة الثانية ، واستمر على ذلك ثلاث سنوات كان يجمع فيها بين العمل ليلا ونهاراً .

ثم تخرج من الأزهر سنة (١٩٣٠) ونال منه شهادة العالمية النظامية ، وعين بعد ذلك كاتبا بالأزهر ، ثم (معاونا) بمكتبة الأزهر ، ثم (أمينا) لمكتبة المعهد الدينى بالإسكندرية مع بقائه بالقاهرة منتدباً للعمل بمكتبة الأزهر ، ثم (أمينا) لمكتبة الأزهر .

وانتدب مرتين — وهو أمين مكتبة الأزهر — للعمل بوزارة الداخلية المصرية فى قسم مراجعة الكتب ، لابداء رأيه فيها من الناحية الدينية والاجتماعية قبل التصريح بنشرها ، وكان يؤخذ رأيه فى بعض الأفلام السينمائية قبل عرضها على الجمهور .

واختير مرتين عضواً فى لجنة النصوص بالإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، وكان عمل هذه اللجنة بحث الأغانى من الناحية الدينية والأدبية والاجتماعية لإقرار أو اختيار الصالح للاذاعة ، أو تعديله أو استبعاده .

— ٥ —

حياة الشاعر الأدبية

المدرسة الأهلية ومعهد دمياط :

حينما تكلمنا عن حياة الشاعر المدرسية قلنا إنه التحق فى صباه بإحدى المدارس الأهلية بدمياط ، وقلنا إنه كان من العلوم التى يتلقاها فى هذه المدرسة القرآن الكريم وبعض المحفوظات الأدبية شعراً ونثرا ، ودرس بها الكثير من قواعد النحو .

كان هذا الذى تعلمه الشاعر فى صباه أول شىء نبه الموهبة الشعرية الكامنة فيه إلى التفتح والازدهار فأقبل على قراءة الشعر فى كثير من التشوق خصوصاً بعد أن التحق بمعهد دمياط الدينى وقرأ به (شواهد النحو) الشعرية ، واطلع على شروح هذه الشواهد التى كانت تذكر الشاهد ثم تذكر قصيدة الشاهد كلها ، أو جانباً كبيراً منها .

الأدب الشعبي والقصص البوليسية :

وفى خلال هذه الفترة استهوت الشاعر قصة (أبى زيد الهلالى) التى كان يسمعها على (الربابة) بمقاهى دمياط ، واقفا على أبواب هذه المقاهى ، حيث كان لايجرؤ على دخولها ولا تسمح له تربيته المنزليـــة بذلك . فلما شب قليلا ونهاه والده عن القرب من هذه المقاهى استغنى عن الوقوف بها بشراء قصة (أبى زيد) وغيرها من القصص المعروفة فى ذلك العصر مثل قصص (عنترة) و (سيف بن ذى يزن) و (رأس الغول) و (الهضام) و (على الزيبق المصرى) و (الأميرة ذات الهمة) و (ألف ليلة وليلة) وغيرها . . كان يقرأ فى هذه الفترة كل ذلك وهو معجب به كل الأعجاب ، سعيد به كل السعادة .

كما كان فى ذلك الحين معجبا كل الإعجاب وسعيداً كل السعادة بقراءة القصص البوليسية المترجمة مثل (شرلوك هولمز) و (لاروكامبول) و (اللص الشريف) وغيرها .

وبلغ من شدة شغفه بقراءه هذه الكتب وأمثالها أنها كانت تلهيه عن الطعام

والشراب ، وربما عكف على الكتاب يوما كاملا إلا ساعات قليلة ينامها ثم يصحو ليعاود قراءة هذه الكتب .

فى القاهرة :

وحينما غادر الشاعر بلده دمياط وجاء إلى القاهرة طالبا بمدرسة القضاء الشرعى رأى بها آفاقا للأدب أوسع مما كان يراه بدمياط ، واتصل بكبار الكتاب والشعراء يسمع منهم ويسمعون منه ، ويناقشهم ويناقشونه ، واطلع حينذاك على دواوين الكثير من الشعر العربى قديمه وحديثه ، وعلى إلياذة هوميروس ترجمة البستانى ، وعلى غيرها من الشعر الأجنبى المترجم إلى اللغة العربية ، كما اطلع على الكثير من موسوعات الكتب الأدبية فى اللغة العربية .

ونشرت له الصحف شعره — وكان أول نظمه للشعر وهو طالب بالسنة الثانية بمعهد دمياط قبل أن يدرس علمى العروض والقوافى — فشجعه ذلك وزاده إقبالا على الشعر قراءة ونظما .

— ٦ —

شخصيتان فى حياة الشاعر الأدبية

عرف الشاعر شخصيتين كان لهما الأثر المحمود فى حياته الأدبية :

أما الشخصية الأولى فهو الشيخ (مصطفى باشا عبد الرازق) شيخ الأزهر ، اتصل به الشاعر وهو طالب بالأزهر ، وكان الشيخ مصطفى فى ذلك الحين مفتشا بالمحاكم الشرعية ، . أعجب بالشاعر الأزهرى الناشىء ، وشجعه أكرم تشجيع ، وسعى لإيجاد عمل له وهو طالب فعينه مصححا بجريدة (السياسة اليومية) ، ونشرت له فى ذلك الحين جريدة (السياسة الأسبوعية) الكثير من شعره ، وكانت هذه الجريدة غزيرة المادة واسعة الانتشار فى مصر والبلاد العربية ، فأخذ الشاعر — وهو طالب بالأزهر طريقه إلى الشهرة بما ينشره من الشعر فى هذه الجريدة بين رعاية الشيخ (مصطفى عبد الرازق) وتشجيعه .

وأما الشخصية الثانية فهو (أنطون باشا الجميل) رئيس تحرير جريدة (الأهرام)

عرفه الشاعر بعد أن تخرج من الأزهر ، وقد انعقدت بينه وبين الشاعر صداقة ومودة ، وكان أنطون الجميل يعجب بشعره كثيرا ، ويفسح له صدر جريدة (الأهرام) لنشر شعره ، وكان لهـذا الإعجاب ولجريدة الأهرام الأثر الجميل فى نفس الشاعر وشعره .

كيف ينظم الشاعر شعره :

تحدث الشاعر عن نفسه فى مقدمة ديوانه الضخم « ديوان الأسمر » فقال :

إن نظم الشعر لا يستقيم أمره للشاعر إلا إذا كملت أدواته لديه ، ومن أهم هذه الأدوات الإطلاع على اللغة وآدابها ، والشعور الصادق ، والقدرة على صياغة هذا الشعور فى الألفاظ المتخيرة . وحال الشاعر فى معاناته لنظم الشعر أشبه الأشياء بحال التى تلد ، فمعانى الشاعر وصياغته اللفظية التى تتمخض عنها انفعالاته النفسية أبياتاً من الشعر ليست فى الحقيقة إلا ميلاداً لبنات أفكار الشاعر ، ولعل هذا هو السبب الأكبر لتعصب الشاعر لشعره وحبه إياه ، أياً كان هذا الشعر . كما هو شأن الأم مع أبنائها ، والوالد مع أولاده .

وقد يظن بعض الناس أن الشعراء لا يعانون فى صياغة الشعر ما يرهقهم ، وقد أخبرنى بعض إخوانى أنهم لا يجدون فى صياغتهم لما ينظمون كثيراً من العناء ، أما أنا فأجد من ذلك الشيء الكثير ، حتى لأحاول أحياناً اقتضاب القصيدة والخلاص منها لشدة ما أعانيه من الانفعالات بسببها ، فأجدها ممسكة بتلابيبى ، متشبثة بى كأنها أمواج قوية تجذبنى إلى داخل بحر أود الخروج منه فلا أستطيع ، ولا تزال هذه الأمواج تتلاعب بى حتى تقذف بى إلى الساحل ، ومعنى ذلك أننى فرغت من القصيدة ، أو بعبارة أقرب إلى الحقيقة أن القصيدة فرغت منى . وإنى فى أول نظمى للقصيدة أجدنى مسوقاً إلى نظمها بشعور خفى ليس فيه ما يرهق أعصابى ، ثم يأخذنى التيار الجارف فيربد وجهى ، وأظل ذابل البصر ، غائباً بعض الغياب عما حولى . وفى هذه الحالة إذا تمت كان نومى متقطعاً أغفو الإغفاءة ، ثم أقوم ناهضا إلى القلم والقرطاس ، لأن معنى من المعانى تمت صياغته بيتاً من الأبيات .

وإنه ليخيل إلى أن مخى فى أول عمل القصيدة إنما هو (ساعة) أملؤها وهو بعد ذلك يؤدى عمله بنفسه ولا سلطان لى عليه كما تؤدى (الساعة) عملها بعد ملئها

وطالما خيل إلى أثناء عمل القصيدة أن قلبي موقد ملتهب ، وأن رأسي فوقه كالوعاء به أشياء كثيرة تتبخر ثم تتقاطر شعراً ! ! وإنه ليخيل إلى أحياناً أن المعانى حينما تجول برأسي أنها هي نفسها التي تبحث عن ألفاظها اللائقة لها ! ! كأنها أسراب طائرة ، كل طائر منها يبحث عن وكره ، فإذا وجده نزل به مستقراً مطمئناً ، وإن لم يجده ظل شارداً حتى يهتدي إليه ، فإن نزل بلفظ غير لفظه الجدير به حل فيه مضطرباً قلقاً كما ينزل الطائر بغير وكره ، ثم أغادره محلقا برأسي جائلا هنا وهنا لك باحثاً عن لفظه . وأنا في كل ذلك كأنني شخص غريب يشاهد وينظر ، لا الشاعر الذي يصوغ وينظم ! !

وليس لنظم الشعر عندي وقت خاص أو مكان خاص ، فإنه حينما تحضر شياطينه أو ملائكته يأخذ على كل وقتي حيثما كنت ، فأقول وأنا في المنزل وأقول وأنا في الطريق ، وأقول وأنا وحـــدي ، وأقول وأنا مع الناس ، كل ذلك وأنا في شبه غيبوبة . ولقد أفرغ من القصيدة أو تفرغ هي مني فأقرؤها بعد ذلك وأعجب لما بها وكيف تمت صياغتها حتى كأنى لست بصاحبها ! !

وإن السعادة الكبيرة التي يشعر بها الشاعر بعد فراغه من نظم قصيدته هي وحدها التي تنسيه ما عاناه في نظمها ، كالسعادة التي تجدها الأم بعد أن تلد ، هذا على أن من الشعر ما يواتى في بعض الأوقات من غير إجهاد نفسي ، فأفرغ منه وكأنما كنت أحلم حلماً هادئا جميلا .

ولست في صياغتي لشعري من الذين يلزمون أنفسهم مالا يلزم ، ويضيقون ما ليس بضيق ، فربما خالفت علماء العروض فيما لا يتعارض مع النغم الشعري كما أراه ـ كما أنى إذا وجدت للفظة المألوفة الخفيفة على السمع ما يجيزها من النحو أو الصرف أو الاشتقاق أو القياس اللغوي أجزتها وفضلتها على غيرها ، مادام غيرها لا يقوم في النغم الشعري مقامها .

وهذه الكلمة تكشف لنا عن كثير من الجوانب الغامضة في شاعرية الأسمر وشعره .

— ٨ —

الملهم والمستمع الأول :

وقلت للشاعر ماهو الملهم لك فى شعرك ؟ ! فقال الملهم لى موضوع القصيدة نفسها ، فالموضوع الذى أتأثر به والذى أجد من نفسى انبعاثا للقول فيه هو الذى يلهمنى الشعر الذى أقوله فى هذا الموضوع .

وهناك مسألة لازمتنى فى كثير من قصائدى ، وهذه المسألة هى ما أسميه (المستمع الأول) !! والمستمع الأول عندى يتمثل فى صديق أحبه ويحبنى ، حريص على سماع الشعر للشعر خبير بدقائقه ، أعرف أنه يسره أن يسمع شعرى وأكون على يقين من أنه من المعجبين به .

وتأثير هذه الشخصية على هو أنى حينما أبدأ فى نظم القصيدة أشعر أنه معى — وهو ليس معى — وأشعر أنه يبتسم لى معجبا بما أقول ، فيسرنى هذا الشعر ويدفع بى إلى تجويد شعرى ما استطعت لأزيدنى إعجابه ، ولا أزال هكذا من أول بدئى فى القصيدة إلى أن أنتهى منها ، حتى إذا مافرغت من نظمها اختفى خيال هذا الصديق وأسرعت بعد ذلك فى الذهاب إليه لأسمعه القصيدة ، وإن لم أستطع الذهاب إليه بعثت بها مكتوبة له ، أو أسمعته إياها بالتليفون ،وأناسعيد كل السعادة بأنى نظمت شيئا أعتقد أنه سينال إعجابه سرور !!.. وكأنما تبلور الكون كله فيه بالنسبة لشعرى ، فهو فى نظرى — هذه الحالة — يغنى عن كل المستمعين ولا يغنى عنه كل المستمعين !! لأجل هذا سميته (المستمع الأول) .

إن شخصية (المستمع الأول) معى هى شخصية الصديق الذى يجلس بجانبك وأنت تسوق عربتك فى رحلة من الرحلات ، إنه لايسوق معك العربة ، ولكنه أنيس رحلتك . ورفيق الطريق .

وليست شخصية (المستمع الأول) من اختيارى ، فليس كل صديق وإن كان خبيرا بدقائق الشعر ومعجبا بشعرى ينزل من نفسى هذه المنزلة ،ولكنه إلهام ألهمه نحو هذه الشخصية ، وشىء لااختيار لى فيه .

وعرفت فى حياتى شخصيتين كان كل منهما (المستمع الأول) لى فى زمنين

من أزمان حياتى الشعرية ، أما الشخصية الأولى فهو الشيخ (مصطفى عبد الرازق) ، وأما الشخصية الثانية فهو (أنطون باشا الجميل) وكانت لكل منهما مدة خاصة به ، كما كان لكل منهما أثر كبير فى كثير من شعرى .

وقد كاد صديق الأستاذ (كامل الشناوى) أن يكون المستمع الأول لى ، لولا شواغل الحياة التى جعلتنى لا ألقاه ولا يلقانى إلا قليلا .. على أنه كان (المستمع الأول) لى فى بعض قصائدى .

وقد ظلت قصة (المستمع الأول) لا يعرفها أحد حتى أصحابها وكنت حريصا على كتمانها فقد كان يخيل إلى أننى لن انتفع بها إذا حدثت أصحابها حديثها أو عرف ذلك أحد من الناس .

— ٩ —

آراء فى شعر الشاعر :

عاصر الأستاذ الأسمر رجالا كانوا فى الأدب موازين دقيقة اعترفوا له بالفضل والعبقرية فى فنه ، ولو جمعنا ما كتبه الكاتبون عن شعره فى مصر والبلاد العربية شعراً ونثراً كون ذلك كتابا ضخما .

وقد كتب عنه المؤلف دراسة فى كتابه « مذاهب الأدب » فقال فيها : إن الأسمر أصدر ديوانه « تغريدات الصباح » عام ١٩٤٩ ، وفى عام ١٩٥١ أصدر ديوانه الثانى الضخم « ديوان الأسمر » فى نحو سبعمائة صفحة ، جامعا روائع من الشعر الدينى والقومى والوطنى والسياسى والاجتماعى والوجدانى والغنائى والانسانى ومن الأناشيد والإخوانيات والفكاهة وشعر الطبيعة والنسيب والرثاء ، ومسجلا أحداث الشرق والغرب والعرب ومصر فى العشرين عاما الأخيرة من تاريخ الانسانية . والأسمر شاعر رقيق الشمائل ، حلو الألفاظ ، عذب الأسلوب ، جزل الصياغة متماسك الوحدة فى قصائده ، يسير على النهج العربى فى السبك والنظم ، ويبتعد عن الحوشية والغرابة والابتذال والغموض والتعقيد ، ويتجنب أن يحيف على شعره شىء من الاستكراه والتكلف والصنعة ... إلى آخر ما جاء فى هذه الدراسة من آراء عن الشاعر وتحليل لشاعريته وشعره . وعرض المؤلف كذلك فى كتابه « الأزهر فى ألف عام » للحديث عن شخصية الشاعر الأسمر الشائقة وشعره .

وقد احتفى الشعراء فى مصر والعالم العربى بالشاعر الأسمر ، وسجلوا آراءهم فيه فى كلمات ضافية :

١ — فقال الأستاذ الشاعر محمود غنيم فى شعر الأسمر :

ما بال شعر الشاعر الأسمر أبيض مثل الفلق المسفر
فتشت مافتشت عن لفظة نابية فيه فلم أعثر
فيه على مافيه من قوة رقة ماء النيل والكوثر
كالزهر إلا أنه خالد مثل خلود (الهرم الأكبر)
وشاد للنيل بأبياته مالم تشيده يدا (جوهر)
شعرك يا أسمر فى قربه أنأى من (الزهرة)و(المشترى)
عجبت ياصاح لصاح تلا ديوانك العذب ولم يسكر

٢ — وقال فيه الشاعر (على الجندى) من قصيدة منشورة فى (ديوان الأسمر) صفحة (٣٨٠) :

ألم يكفه أنه بيننا يحل محل أبى الطيب

وقال من قصيدة منشورة فى (ديوان الأسمر) صفحة (٣٨٦)

لم أكذبك يابنى القوافى فلماذا أقمت لى برهانا

٣ — وأثنى عليه الشاعر الأستاذ (محمد عبدالغنى حسن) فقال من قصيدة منشورة فى (ديوان الأسمر) صفحة (١٦٧) :

رقة فيك لم تتح لزهير وأفانين لم تكن للأعشى

٤ — وقال من قصيدة منشورة فى (ديوان الأسمر) صفحة (٣٨٣) :

هو واحد متفرد فى ظرفه وجماعة فى شعره وفنونه

٥ — وأثنى عليه صديقه الأديب المصرى الشيخ (عبد الرءوف جمعة) فقال :

بصير بنقد القول والرأى ، عارف بماجل من معنى ومادق من صعب
وألفيته تغنيه عن زهو معجب كفايته ، والنقص يدعو إلى العجب !

٦ — وأثنى عليه الشاعر الحجازى (فؤاد شاكر) فقال :

ومنى إلى (شيخ القريض) محمد تحية ود أزمعت نحوه السرى

فتى أبيض الأفعال بالفضل مشرق   وإن عرفته الناس بالإسم (أسمرا)

٧ — وقال في شعره الأديب الشاعر الدكتور (عبد المنعم صبحي) :

أي البــلابل غردت فنقلته   وبأي سحر يا ترى صورته
هل من دموع العاشقين نظمته ؟ !   أم في ليالي السهد قد ألهمته
أم في قــلوب البائسين لمسته   أم أنه ذهب الأصيل نسجته
أم من ملائكة العلا حفظته ؟ !   وبعثت فينا شاعرا فرويته !!

٨ — ووصف شعره الشاعر الكبير الأستاذ (خليل مطران) فقال :

« إن شعر الأسمر رائع فاتن ، وهو أشبه الأشياء بقوس قزح في جماله وتعدد ألوانه

٩ — وبعث إليه من (باريس) الشاعر (عادل الغضبان) يقول « تحيات باريسية من مدينة الجلال والجمال إلى شاعر الجلال والجمال »

١٠ — وقال عنه الشاعر الكبير (عزيز أباظة) ما يأتي :

إن شعر الأستاذ الأسمر مزاج من الحس الدقيق في الشعر الرقيق، وتلك مرتبة ارتفع لها الشاعر الكبير ، وأخشى أن تكون قد أعجزت بعده كل شاعر كبير .

١١ — وتحدث عنه الشاعر السوداني (السيد محمد العباسي) فقال :

« صاحب الشعر الجزل ، والأســلوب السهل ، والأداء البارع ، وشــاعر مصر والعروبة » .

١٢ — وبعث إليه من أمريكا الشاعر المهجري الأستاذ رشيد خوري (الشاعر القروي) يقول:

« أخي شاعر الفحولة، والرقة ، والدعابة : لما شرعت في مطالعة ديوانك حرصت على أن أطوي زاوية الصفحة عند كل قصيدة ، أو بيت ، أو خاطر يعجبني ، فرأيتني أوشك أن أطوي كل صفحاته ، وأعلم على كل أبياته ، ولا أكاد أفتحه مرة إلا هتفت بجليسي ، أو من يتفق مروره بقربي اسمع هذه القطعة ، أو إليك هذا المعنى ، فاذا لم أجده مذواقا تخذت من نفسي شــاربا ، ونديما ، و « مطيبا » في آن واحد . . . !! (١)

(١) في (لبنان) يقولون (طيب) للمغني، أي أكرر له كلمة (طيب) دلالة الاستحسان.

هذه شهادة الشعر للشاعر الأسمر ، على الرغم مما قد يكون بين الشاعر والشاعر أحيانا من مزاحمة أو منافسة ، وعلى الرغم من المعاصرة التي تشوه رأي الشاعر في الشاعر في أحيان كثيرة .. وهذه شهادة كبار شيوخ الأزهر للشاعر الأسمر وشعره

١ — قال الأستاذ الأكبر الشيخ (محمد مصطفى المراغي) شيخ الجامع الأزهر الأسبق رحمه الله : « إن الأستاذ الأسمر رفع من شأن الأزهر في مناسبات مختلفة أمام الهيئات التي لم تتصل بالتعليم الأزهري عن كثب »

٢ — وقال الأستاذ الأكبر الشيخ (مصطفى عبدالرازق) شيخ الجامع الأزهر « لشعرك تأثير في نفسي أحسبه يفوق ما يفعل الشعر ، ذلك أنه فيض نفس أحبها ، وقد يكون سحرا ذلك الذي ترسله نغما موسيقيا في أسلوب سهل ، فيسري في الأرواح ويفجر العواطف خلالها تفجيراً » .

٣ — وقال الأستاذ الأكبر الشيخ (عبد المجيد سليم) شيخ الجامع الأزهر « أسأل الله تعالى أن يكثر من أمثالكم الذين يرفعون شأن الأزهر ، وأن يديم توفيقكم ، ويسدد خطاكم » .

٤ — وقال عنه أحد شيوخ كليات الأزهر « في شعر الأسمر جمال كثير ، فالكلمة المفردة في شعره منتقاة لها جمالها الخاص بها ، .. وتقرأ البيت من شعره فتجد له جماله الخاص به ، وتقرأ القصيدة كلها فتجد كل بيت آخذ مع الأبيات الأخرى لونا آخر من الجمال زيادة على جماله الخاص به . . . ففي شعر الأسمر جمال مستقل وجمال متشابك متجدد .. والأسمر موفق كل التوفيق في اختيار ألفاظه لمعانيه ، حتى كأن معانيه فيها مغناطيسية تجذب إليها ألفاظها التي يتطلبها المثل الأعلى لصياغة الشعر »

٥ — وقال عنه الشيخ عبد الله المراغي الأستاذ بكلية أصول الدين « أنت في شعرك ترجمان نفسك ، وفي لعواطفك ، أمين في تصوير حسك ... وأنت شاعر قومك تعيش فيهم ، تقاسي آلامهم ، وتشاطرهم أمانيهم ، وتشاركهم فيما يطوف بهم من بسمات الحياة . أو تنكر الأحداث . لقد صورت عصرك ، وقلت فيه كلمتك وبلغت رسالتك بصراحة الأزهري ، وإخلاص المؤمن ، وشجاعة العربي . فجاء شعرك وهو ديوان العروبة ، وسجل وادي النيل »

ولأعلام الصحافة وكتابها آراء كثيرة في شعر الأسمر نشير هنا إلى بعض منها:

١ — قال أنطون الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام عن شعر الأسمر : شعر الأسمر فى معظمه مزيج من الحقيقة والخيال ، يرتفع الشاعر حينا فى جو التصور فيصور مايجلوه له الخيال ، ويغوص إلى أعماق النفس حينا فيروى مايشعر به حسه ، ويدرج حيناً فى عالم الحقائق المجردة فيصف شئون الحياة كما هى جميلة أو شوهاء ، سعيدة أو مبتئسة ، مفترة الثغر أو مقطبة الجبين : . . ولما كان شاعرنا خبيراً بأساليب النظم ، عليما بأسرار القوافى فإن التعبير يجيئه فى هذه المواقف الثلاثة طبعا ، ويلبيه مؤديا لما يريد .. ، والأسمر حينما يدرج فى عالم الحقائق المجردة لايتورع عن اقتناص اللفظة الواقعية ، وإن كان الشعراء قد تواضعوا على نبذها من لغة الشعر ، وقد نحا فى هذا نحو (فيكتور هوجو) الذى ذهب هذا المذهب قبل سواه حين قال « لقد أثرت عاصفة فى قعر الدواة ، فلم تبق هناك كلمات من طبقة الأشراف ، وكلمات من طبقة السوقة ، فقد سميت الخنزير باسمه ، ولم لا؟! »

اسمع الأسمر يحمل على (الامتيازات الأجنبية) ويهيب بنواب الأمة فى أقسى العبارات أن يحطموها فيقول :

حطموا الأغلال عن أمتكم   وازأروا بالحق فيمن زأرا
لاتموءوا هرة محبوسة   بل أسوداً غاضبات للشرى
واخلعوا الأرسان لستم حمرا   واطرحوا النير فلستم بقرا !

٢ — وقالت عنه الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : قل أن يظفر شاعر فى أيامنا هذه بمثل ماظفر به « الأستاذ محمد الأسمر » من تقدير زملائه الشعراء وتأييدهم ، فقد أجمعوا — غير قليل منهم — على الإعجاب بشعره ، وشهدوا له بالتفوق ، واختاروا له بينهم المكان المرموق ، ومثل هذا قد يسهل علينا مهمة تقديم شعره إلى القراء ، ولكنه لاريب يجعل مهمة النقاد شاقة عسيرة إذ يرون أهل الصنعة قد سبقوهم بالحكم على الشاعر وقدموه على فحول الشعراء المقدمين أمثال زهير بن أبى سلمى ، وأعشى قيس ، والبحترى ، والمتنبى ، ولعلنا لانعجب لمثل هذا من أهل صنعة واحدة إذا ماذكرنا ماعرف عن الأستاذ الأسمر من دماثة الخلق ، وكرم السجايا ، ورقة الشمائل ، وصدق الوفاء ، مع ماامتاز به شعره من نصوع الديباجة وإحكام النسج . ولشعر الأستاذ الأسمر طابعه الخاص الذى يتلاقى فيه القديم والجديد ، ففيه مايرضى أصحاب المدرسة التقليدية المولعة بفخامة اللفظ ، وجزالة

العبارة ، وإجادة السبك ، وفيه ما يرضى أبناء المدرسة الحديثة المفتونة بحرية التعبير وبساطة الأداء ، ورقة النغم . وقد يأتلف المذهبان ويجتمعان عنده فى القصيدة الواحدة ، فتصدر بالغة القوة ، عنيفة الوقع ، رائعة الأسر ، عالية الرنين إلا أناشيد الشاعر وقصائده المعبرة عن وقع الحياة على حسه ووجدانه تتميز بعذوبة النغم وفيها تتجلى من الأسمر شخصية (شاعر العصر) بكل ما تعرف عن عصرنا من حرية وطلاقة وبساطة . وشعر الأسمر عن الأشخاص الذين عرفهم أو أعجب بهم قد يضيق به ناقد يكره شعر المناسبات ، ولكنى أبادر فأشيد بأن الأسمر لا يبدو منا ممن يتصيدون المناسبة ليقولوا الشعر ، وإنما يقوله حين تقوى المناسبة فتهز وجدانه وتثير شاعريته ، ومن ثم لم تكن قصائده فى هذا المجال بمجرد نظم متكلف مصنوع وإنما هى من نوع الإخوانيات التى اعترف بها الأدب العربى من قديم وأدخلها فى تراثه الفنى . والأسمر مدين لصدقه الفنى بسلامة شعره فهو لا يتحدث عن الشخص إلا مخلصا صادقا ، ولا يمدح من يمدح ، أو يرثى من يرثى ، إلا عن ود ووفاء .

٣ — وقال الناقد الأدبى لجريدة المصرى فى شعره وشاعريته : الإستاذ الأسمر شاعر فياض الشاعرية ، أخذ مكانه ، واستوى فى مكانته ، وليس بين أبناء العربية من يجهل له هذا المكان ، أو ينكر عليه تلك المكانة ، وهو فخم التعبير ، مصقول اللفظ حلو الموسيقى ، وله النغم الذى يملأ النفس بالرنين والطرب ، وصاحب الاناقة الشعرية التى تكسب القصيدة كل مظاهر البهاء والرواء . وشعر الاسمر قريب من نفسك ، وقلبك فلا يسعك حين تنشده إلا أن تهتز معه تجاوبا ، كما يتجاوب السامع مع اللحن المطرب بالميل والاهتزاز ، لهذا كان شعره أليق ما يكون للغناء حتى حين يبكى ، وحين يرثى ، وحين يصف الأشياء الجامدة التى لا تحس ولا تلين . ومن خير ما يحمد للأستاذ الاسمر وفاؤه العظيم لذكرياته ، ولاخوانه ، ولوطنه ، وللرجال العاملين فى خدمة هذا الوطن ، وخدمة العروبة ، وقد أبى له وفاؤه إلا أن يفيض من شاعريته على هذا كله ، فجاء شعره وفيه سجل حافل بالذكريات ، والاخوانيات والوطنيات ، وتاريخ الرجال ، والأحداث التى عاصرها الشاعر ، وبرزت فى تاريخ الشرق العربى .

٤ — وقالت « مجلة الهلال » : يمتاز الشاعر الأسمر بجودة الصياغة ، وغزارة المعانى ، ولطف تخير الالفاظ ، وسهولة الأسلوب ، مع روعة الخيال وبراعة التصوير ، وقوة التأثير ، ورقة الشعور .

٥ — وقالت مجلة (المصور) : الأستاذ محمد الأسمر شاعر عرفته مصر ، وقرأت له على صفحات الصحف ، واستمعت له فى المحافل القومية ، وفى المناسبات الوطنية فرأت فيه شاعرا من أبرز شعرائها ، وأبرعهم نظما وتصويراً ، وأداء ، والأسمر ليس من شعراء المذهب القديم بما فيه من ضخامة اللفظ ، وليس من شعراء المذهب الحديث بما فيه من إعراض عن الشكل واهتمام باللب ، ولكنه شاعر عرف كيف يجمع بين المذهبين فى إتقان وإبداع قلما يجتمعان لغيره من الشعراء . والواقع أن الإنسان حينما يقرأ شعر الأسمر يحس أنه أمام شاعر فحل ، حق لمصر أن تفخر به .

٦ — وقال محمد على غريب الصحفى المعروف فى شعره « . . وشعر الأسمر ليس بالقديم ولا بالحديث ، ولكنه شعر الأسمر وكفى !! »

وكانت الزعيمة المصرية الجليلة (هدى شعراوى) تعجب كثيرا بشعر الشاعر وكانت تقول : « إن شعر الأسمر كنغمات البيانو ، وهو غذاء كامل للروح ، وإن الأسمر يمتاز بمقدرته على إبراز معانيه التى يريدها إبرازا كامل الوضوح ، حتى لتكاد نراها بأعيننا ، ونلمسها بأيدينا !!

— ١٠ —

أخلاق الشاعر :

تحدث عنه صديقه القائمقام (عبد الحميد فهمى مرسى) فقال : نشأ شاعرنا فى رحاب (دمياط) و (رأس البر) حيث النيل الصامت المتزن ، وحيث البحر الأبيض المتوسط الصائح الصاخب ، فاستمد من هذا ومن ذاك الكثير من أخلاقه ؛ فهو يميل إلى الهدوء والاعتدال فى أكثر أحواله كأنه (النيل) فى وقاره واتزانه ، وقد تراه يصدع بالحق فى صراحة وإخلاص كأنه البحر فى هياجه وصخبه . يضم بين جنبيه قلبا كبيراً ، وتنطوى جوانحه على نفس عظيمة محبة للخير مترفعة عن الصغائر ، ومن أبرز صفات شاعرنا الوفاء وحبه العظيم لأصدقائه ، وهو مطبوع على الكرم والرقة ودماثة الأخلاق وحب النظام . . وهو صاحب ذوق سليم يتخير أحاسن الأشياء من مأكل وملبس وغيرهما مما يتصل بشئون حياته ، وطالما غرق فى الديون بسبب ذلك ، وهو صادق حينما وصف نفسه فقال :

شاعر من يومه صفر اليد   غارق فى دينه للأبد

وهو فى ذلك ماحط عـــلى وهدة ، بل حام فوق الفرقد
ضـــاحك منتفخ منتفش واضح العـــزة جم الصيد
من رآه قال كم ثروته ؟ ! وهى صفر من يسار العدد !!
منفق فى يومه ماعنــده تارك لله تدبير الغد ! !

وشاعرنا حسن المعاشرة ، لطيف الدعابة ، محبوب من عارفيه ، عاشق للعدالة فى جميع صورها ، منصف لزملائه الشعراء ، كثير الاعتراف بفضلهم . سئل مرة عن الشعراء المعاصرين له فقال: «الشعراء جميعا يكونون روضة الشعر ، وكما أن لكل زهرة جمالها الخاص بها وعبيرها الخاص بها فكذلك الشعراء» .

والأسمر من أبعد الناس عن القيل والقال ، يتلمس الأعذار للناس ، وينهى عن تطفل الناس حينما يخوضون فى أمور الناس ، ويقول لو تفرغ كل منا لقراءة صحيفة وجد مايشغله عن قراءة صحائف الآخرين ، وفى الأسمر صوفية كامنة ، فهو على أناقته فى شئون حياته لايحرص على هذه الدنيا ، ولا ينظر إليها نظرة جدية ، فهى هينة عليه بكل مافيها ، قال لى : إن من أحب الأشياء إلى فى هذه الدنيا التجرد منها !! ولكن من يرى شاعرنا لايرى فى أى مظهر من مظاهره مايدل على هذه الصوفية التى تنطوى عليها نفسه ، والتى لايعرفها إلا القليل .

— ١١ —

ركن الأدب :

حينما أسندت الصفحة الأدبية فى جريدة الزمان التى كان يصدرها الصحفى المعروف ادجار جلاد باشا إلى الشاعر ، أنشأ الأسمر فيها باباً أسماه « ركن الأدب » ، وكانت رسالة هذا الركن الأخذ بيد الشعراء الناشئين ، وكان « ركن الأدب » يفتح صدره لكل ألوان الشعر ، ويعنى بذات الأدب شعراً أو نثراً ، أكثر من عنايته بالكلام عن المذاهب الأدبية .

ولم يكتف الشاعر بتشجيع الناشئين من الشعراء تشجيعاً أدبيا ، بل عمل على أن يقيم لهم مسابقات شعرية ذات جوائز مالية ، فأقام لهم باسم « ركن الأدب »

مسابقتين ، كانت الأولى سنة ١٩٥١ م ، ومجموع جوائزها خمسون جنيها ، وكانت الثانية سنة ١٩٥٢ م ، ومجموع جوائزها مائة جنيه .

والذى قام بأداء الجوائز المالية المغفور له « عيسوى باشا زايد » ، وقد تمت المسابقة الأولى فى حياته ووزع بنفسه جوائزها فى حفلة تكريمية للشعراء الفائزين أقامها بقصره فى الحلمية الجديدة بالقاهرة ، وتمت المسابقة الثانية بعد وفاته وقام بتوزيع جوائزها نجلاه الأستاذان « سعيد وسميح » فى حفل تكريمى للشعراء الفائزين أقامته لهم جريدة الزمان فى دارها .

وكانت لجنة التحكيم فى المسابقتين مكونة من الشاعر ومن الشاعرين الكبيرين « الأستاذ محمد مصطفى الماحى » والقائمقام « عبد الحميد فهمى مرسى » .

واحتجب « ركن الأدب » حينما احتجبت « جريدة الزمان » وقد أثمر هذا الركن فى أعوامه القليلة ثمرات محمودة ، ونمـــا فى روضه كثير من الشعراء الشبان الذين أصبحوا معروفين بعد ذلك .

وقد سجل كثير من الشعراء فى شعرهم ما قام به « ركن الأدب » نحو الشعراء الناشئين خاصة ، ونحو الشعر عامة ، ونكتفى بما قاله شاعران من شعراء الشباب . قال الشاعر الصاغ مصطفى بهجت بدوى من قصيدة يثنى فيها على الشاعر :

ود لو يجعل الحديث قصيداً ... وجميع الورى من الشعراء
وبنى فى الزمان ركنا وطيداً ... للقوافى فكان أعلى بنـــاء

وقال الشاعر الأستاذ محمد التهامى :

يأيها الشـــعر الحبيـ ... ـب حللت أكرم منزل
ونزلت فى دار (الزما ... ن) بشير فجر مقبل

— ١٢ —

مؤلفات الأسمر :

١ — تغريدات الصباح : وهى أول مجموعة شعرية للأسمر ، وقد كتب مقدمة هذه المجموعة أنطون باشا الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام ، وعدد صفحاتها

٢١٦ ، وطبعتها على نفقتها ونشرتها « دار المعارف » بالقاهرة .

٢ — ديوان الأسمر : وقد ظهر بعد « تغريد الصباح » وجمع الشاعر فى هذا الديوان كل شعره حتى سنة ١٩٥٠ م ، وضمنه مجموعة « تغريدات الصباح » والذى وضع مقدمته صديقه القائمقام عبد الحميد فهمى مرسى ، وعدد صفحات هذا الديوان ٦٧٨ صفحة .

والناشر له « دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابى الحلبى وشركاه » القاهرة .

٣ — مع المجتمع ، وهو كتاب نثرى ينقد فيه أحوال المجتمع فى أسلوب أدبى جذاب . قال عنه بعض الأدباء « إن كتاب مع المجتمع يتنقل بك فيما يحيط بنا من من شئون الحياة — وصف - جد - دعابة - كل ذلك فى أسلوب سهل ممتنع . . إذا بدأت قراءته لم تتركه حتى تنتهى منه ، وإذا قرأته عدت إلى قراءته » .

ويشتمل هذا الكتاب على الأبواب الآتية :

من وحى الحياة . من وحى الحرب . من وحى الدين . من وحى النيل
من وحى الأغانى . من وحى الدعابة
وعدد صفحاته ١٩٢ صفحة .

والناشر له « دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة .

٤ — ولدى الشاعر مجموعة جديدة من الشعر ، معدة للطبع ، عنوانها « بين الأعاصير » وهى مجموعة ما نظمه بعد سنة ١٩٥٠ م .

ويفكر الشاعر الآن فى إخراج كتاب عنوانه « على هامش الأدب » ، كما يفكر فى إخراج كتاب عنوانه « من الماضى » يذكر فيه بعض ما مر به فى مختلف أيام حياته .

— ١٣ —

رأى الشاعر فى الشعر :

ليس للشاعر مذهب خاص يدعو له ، أو يلزم نفسه بالسير على مناهجه ، ولكنه يدعو إلى مذهب عام يشمل الشعر كله ، وذلك المذهب هو الإجادة ، فهو لا يعد

الشعر شعراً إلا إذا كان جيدا ، سواء كان الشعر عاطفيا ، وهو ما يسمونه شعراً « غنائيا » أو « مسرحيا » أوغير ذلك . . . وسواء كان الشعر « كلاسيكيا » أو « رومانتيكيا » أو « واقعيا » أوغير ذلك ، مع مراعاة القواعد والأصول الفنية الخاصة بكل نوع من هذه الأنواع ، وكل لون من هذه الألوان .

ويقول الشاعر إن نظم الشعر لايستقيم أمره للشاعر إلا إذا كملت لديه أدواته ومن أهم هذه الأدوات ما يأتى :

١ — الاطلاع على اللغة التى ينظم بها الشاعر شعره .

٢ — الاطلاع على آداب هذه اللغة .

٣ — الشعور الصادق بالموضوع الذى ينظم فيه الشاعر شعره .

٤ — القدرة على صياغة هذا الشعور فى الألفاظ المتخيرة اللائقة بالموسيقى الشعرية .

هذا إذا كان الشعر من النوع العاطفى «الغنائى» . أما إذا كان الشعر «مسرحيا» مثلا فإنه يجب أن ينضم إلى ذلك مراعاة قواعد «المسرحية» وأصولها ، ولايكفى أن يكون الشعر جيداً ، وإذا كانت (المسرحية) أو (الملحمة) أو (القصيدة) تاريخية وجب على الشاعر أن يراعى الحقائق التاريخية ، وأن يكون قوى الحجة إذا كان له رأى من الآراء يخالف رأى المؤرخين ، وإلا كان الشاعر مشوها للتاريخ، عابثا بقدسية الحقائق ، وكان فيما ينظم جاهلا أو مضللا . . . وهكذا فلكل لون من ألوان الشعر قواعده وأصوله الفنية مع مراعاة الأساس فى كل ذلك ، وهو أن تكون لدى الشاعر الموهبة والأصالة فى النوع الذى ينظم فيه .

حول مذاهب الشعر:

والشاعر لا يرى مذاهب الشعر مذاهب متنافرة ولكن يراها أنواعاً وألوانا كلها جميل ، إذا تمت لكل منها الأصالة والإجادة .

ويرى أنه يجب على كل شاعر أن يدرس نفسه فيغرد التغريد الذى يميل إليه بفطرته ، وأن يبتعد كل الابتعاد عن التقليد .

وهو يقول : إن الله الذى وهب (البلبل) و (الكروان) و(الحمامة) و(اليمامة)

وغيرها من الأطيار تغريداتها الجميلة المختلفة خلق الشعراء كذلك ، ومنحهم مامنحهم من شتى ألوان التغريد .

وهو يقول إن (العود) و (الكمنجة) و (القانون) و (الأرغول) وغيرها من أدوات الطرب كل له أنغامه الجميلة ، وليس هناك عاقل يدعو إلى معاداة نغم من هذه الأنغام .. بل إن العود نفسه يتكون من أوتار لكل وتر منها نغمة خاصة به ، ولا يغني رنين وترعن رنين وتر آخر .

وهو يرى أن الشعراء على اختلاف عصورهم ومذاهبهم ولغاتهم أزاهير روضة. لكل زهرة جمالها الخاص ، وعبيرها الخاص .

شعر المناسبات :

يرى الشاعر أن بعض الذين تعرضوا لنقد الشعر أخطئوا حينما تناولوا بالنقد والتجريح ما أسموه بشعر المناسبات ، وقال : إن الشعر العاطفي كله إنما تدعو إليه مناسبة من المناسبات العاطفية من عشق ، وحب ، وإعجاب . ومن حزن ، وغضب وبغض ، وغير ذلك من العواطف التي هي البواعث الحقيقية لشعر القلب .

وقال إن هؤلاء النقاد أرادوا بتسميتهم هذه ثلاثة ألوان من الشعر ، ولكنهم أخطئوا تسميتها فأخطئوا في الكثير من نقدهم واضطربوا فيه ، وهذه الألوان الثلاثة من الشعر هي ما يأتي :

١ — الشعر التكليفي .

٢ — الشعر الكسبي .

٣ — شعر المجاملات .

فالشعر التكليفي هو ما يجبر الشاعر على نظمه ، والشعر التكسبي هو ما يبغي به الشاعر اقتناص المال ، وشعر المجاملات هو ما ينظمه الشاعر مجاملا لبعض الناس وليس لديه الانبعاث العاطفي فيما يجامل فيه .

والشاعر لا يعد هذه الألوان الثلاثة شعرا ، ولكنه يعدها كلاما منظوما على هيئة الشعر ، وليست من الشعر .

وقد أعلن الشاعر استنكاره لذلك في الكثير من شعره ، فهو يقول في صفحة (٤٩٤) و (٤٩٥) من كتابه (ديوان الأسمر) ما يأتي :

يسألننـا إطراءه معشر   لايعرف الشعر ولا يفهم
كأننـا نعبث أو أننا   نغرف من بحر ونعطيهم
ألم يجئهـم مرة أنه   روح الذى ينظمه والدم؟!

ويقول فى صفحة (٤٩٦) من الديوان المذكور ما يأتى :

أرانى حينما أدعى لمدح   كمن يدعى ليوضع فى القيود
لعمرو أبيك لست مع القوافى   ألعبها كتلعيب القرود!!

ويقول فى صفحة (٥٩٠) من الديوان المذكور ما يأتى :

والشعر ما أوحى الشعور وغيره   قول يقال ، وزخرف متخير

ويقول فى صفحة (٦٤٥) من القصيدة التى يرثى بها (أحمد حسنين باشا)

فهاك رثائى بعد موتك قطعة   من القلب لا نثرا ولا نظم ناظم
سكبت به نفسى وفاء فلم أضع   قوافيه جريا وراء المغانم
وما كنت يوماً ما بشعرى تاجراً   ويارُبما دبجته غرم غارم
أصوغ الذى أهوى فلست بناظر   إلى أرب ، أو عاشق للدراهم

فالشاعر يرى أن الشعر إنما هو (روح الذى ينظمه والدم) ، وأنه إذا دعى لمدح من لا يرى مدحه فكأنه (يدعى ليوضع فى القيود) ، وأن من يتكلف الشعر فهو كمن يلعب القرود!! وأن الشعر (ما أوحى به الشعور) وهو يقرر أنه لا يتاجر بشعره ، ولا يتكسب به ، بل يقول ما يعتقد وإن جر ذلك عليه المتاعب ، على أن الشاعر مع ذلك كله يرى أنه إذا كلف الشاعر بعمل شعر ، أو تكسب به ، أو جامل وصادف ذلك منه انبعاثا نفسيا فيما قاله مكلفا به ، أو متكسبا أو مجاملا ، فهو فيما يقوله حينئذ شاعر يصدر عن عاطفة شعرية ، ولا يضيره أنه كلف أو تكسب أو جامل .

فترة التقليد :

يقول الشاعر : إن الشاعر فى أول نشأته يمر بفترة تقليدية ينظم فيها ما ينظمه وهو مقلد لشاعر تأثر به ، وقد تقصر هذه الفترة وقد تطول ، وقد تستنفد مدة التقليد عمر الشاعر كله .

وبعض الشعراء يقلد اليوم شاعراً، ويقلد فى اليوم الثانى شاعراً آخر وهكذا ، فيظل مضطربا فى حياته الشعرية فاقدا الأصالة والاستقلال ، غير مستقر على حال ، ولا ثابت الايمان بشىء من الأشياء .

والشاعر الأصيل هو الذى يتخلص من التقليد فلا يستمر صدى لغيره ، ولا ظلا لسواه ، بل هو الذى يفرد تفريداته ، وهو صوت مستقل بين الأصوات الشعرية ، وشخصية قائمة بذاتها لها مميزاتها الخاصة بها .

وللأسمر آراؤه فى الشعر وفى الشعراء المعاصرين ، وكان ينشر هذه الآراء منذ ثلاثين عاما فى السياسة الأسبوعية ، ثم والى نشرها بعـــد ذلك فى الأهرام ثم فى الزمان وفى الصحف والمجـــلات الأدبية المختلفة ، ويمثل فهم الأسمر للشعر تمثيلا واضحا مقال كتبه عن شوقى(١) ، وجاء فيه : ذهب شوقى فى شعره مذاهب شتى فتارة يبتكر وينشىء ، وتارة ينسج على منوال غيره . وفى شعر شوقى الجيد والردىء فليس لشوقى فى شعر الحب نسيب وليد العاطفة ، وإنما شعره فى ذلك وليد ادعاء العاطفة ، وإن كان هناك بعض الجمال على بعض أبيات نسيبه فهو فى الحقيقة جمال لاروح فيه ، إذ هو أشبه الأشياء بجمال الدمى والتماثيل ، ثم ينتقل الأسمر من ذلك إلى الفرق بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع ، نافيا أن تكون الاستعـــارات والمجازات وسبك الألفاظ المصنوعة المتكلفة شعرا ، ويقول : إن لشوقى خمريات إلا أن كل ماقاله فيها متكلف أو ترديد لمعان سمعناها من قبل للشعراء الغابرين . وينفى الأسمر أن تكون معارضات شوقى للشعراء القدماء ذات أهمية ، قائلا : ما للمعارضة والشعر ، والمعارضة والحمد لله قد انقضى زمنها . ويتحدث عن المدح والرثاء فى شعر شوقى وأنه يتكلفهما أحيانا فيأتيان أسمج مايكون رغم مايفرغه عليهما من الصنعة فى تخير الألفاظ ونظمها (٢) ، « وهو حين لا يتكلفها يجرى فيها مقلدا الشعراء السابقين ولكنه يقصر عنهم ، ولشوقى شعر فى القضية المصرية ، ولكنه متكلف يمدح به رجالا ما أظن أنه يرى مدحهم ، فجاء هـــذا الشعر وهو جهم المحيا تتذوقه فلا تعرف له طعما ، وتنظر فيه فلا ترى له لونا . وذكر الأسمر أن شوقى

---

(١) السياسة الأسبوعية عدد ٣٠ ابريل ١٩٢٧

(٢) ومثل لذلك بمرثيته لاسماعيل باشا أباظه .

ليس له فى شعر الفكرة نصيب، وهو الشعر الذى ينظمه الشاعر ناظرا فيه إلى لون من ألوان نظرة الفيلسوف المتأمل، ولقد تكلم شوقى فى موضوعين كان لشعر الفكرة فيهما مجال أى مجال، ولكنه اضطرب فيهما اضطرابا فاضحا، وهما قصيدتا «الله» و «الانتحار»، حتى إنك لتبحث فيهما عن شوقى شاعرا فلا تجده، وتبحث عنه فيلسوفا فلا تجده، ورأى الأسمر أن شوقى لم يكن الرائد الأول للنهضة الشعرية وإنما كان الفضل فى النهوض بالشعر إلى البارودى، ثم جاء شوقى فنهج نهجه وشأى شأوه، ويفيض الأسمر فى تحليل شاعرية شوقى ووصف شعره ناقدا ودارسا ومحللا.

وهكذا نجد الأسمر ثائرا على التقليد وعلى التكلف والمعارضة والاحتذاء للقدماء وعلى كل مايفسد روح الشعر وجوهره، ويحول دون ظهور مشاعر الشاعر وعواطفه جلية واضحة؛ ثورته كذلك على الاضطراب الفكرى للشاعر فى شعره. ومن كل هذا نأخذ السمات العامة للأسمر وشاعريته، فهو يكره التكلف، ويمقت التقليد، ويأبى إلا أن يكون الشاعر حرا طليقا قوى العاطفة، واضح الشعور، معبرا عن حقائق الحياة وما تحس به نفسه تعبيرا صادقا أصيلا، والأصالة عند الأسمر هى مقياس الشاعرية وتفوقها، ويضيف الأسمر إليها عنصرا ثانيا هو الموهبة الفنية فى نفس الشاعر والقدرة على إبراز كل مايشعر به فى أسلوب شاعرى جميل. وليس ماذكرناه هنا من رأى الأسمر فى شوقى، أو إنكاره لكثير من فضله على الشعر العربى الحديث، وإذا علمنا أن هذا كان رأى الأسمر منذ ثلاثين عاما حينما كان طالبا بالأزهر الشريف، فما بالنا به اليوم، حين شعر بالحياة شعورا عميقا، وزاد اتصاله بالثقافة الحديثة فى الشعر، ونضجت تجاربه واتسع اطلاعه، وزاد فهمه للاداب العربية ومذاهبها وتطورها فى القديم والحديث، وقد كان لكل ذلك أثره فى شعره.

والأسمر ليس من الذين يتعصبون للشعر القديم أو الشعر الحديث ولكنه يميل إلى الجيد منه فى شتى عصوره، فهو لايتعصب لاى لون من ألوان الشعر بل يرى أن من الحق الطبيعى لكل شاعر أن يفرد بما يتفق مع ميوله وفطرته. ولكنه يرى أن الشعر لابد له من أمرين: أولهما وضوح المعنى، وثانيهما البراعة الفنية فى فى صياغة التعبير. . وهو يعد هذين الامرين جناحى الشاعر الذين يحلق بهما فى سماء الشعر، مثله فى ذلك مثل الطائر لا يستطيع التحليق بغير جناحين، لا بجناح واحد

— ١٤ —

صور من نثر الأسمر :

١ ـ أخرج الأسمر كتابه الأخير « مع المجتمع » عام ١٩٥٥ ، وجاء فى مقدمته : هذه مجموعة لكلمات لم نحلق فيها بين سماء الشعر ، ولم نغص فيها بين أعماق الفلسفة ، ولم نتعلق فيها بأدب نشرحه أو ننقده ، ولكنها كلمات تتضمن أشياء شاهدناها فصورناها ، فهى (لوحات) فى صفحات ، صورها لك قلم من الأقلام . وهذه الكلمات أوحى بها ما يحيط بنا من شؤون الحياة ، لم أتكلف موضوعها ، ولم أزخرف ألفاظها . فهى إلى حديث الصديق للصديق أقرب منها إلى تدبيج الأديب للأديب . وإذا كان لكل أديب فى كتابته أسلوبه الخاص ، فكذلك لكل أديب فى حديثه أسلوبه الخاص . ولعل سائلا يسأل ما منزلة هذه الكلمات بين الكلام ؟ . هل هى من النوع العاطفى الذى يسبح مع النجوم فى سماء الخيال ؟ . أو هى من النوع العقلى الذى يستقر استقرار اللآلىء فى القاع ؟ . لقد سألت نفسى هذا السؤال وانتهيت إلى أنها ليست من الكلمات التى تسبح مع النجوم فى سماء الخيال وليست من التى تستقر مع اللآلىء فى القاع ، ولكنها شىء بين ذلك ، فهى أشبه الأشياء بالسحاب . . وكم فى السحاب من جمال فى الأشكال ، وجمال فى الألوان ؟ ! فإذا تأملت هذا الكتاب فتأمله على أنه (لوحات) لا صفحات ، وإذا قرأته فاقرأه على أنه حديث صديق لصديق ، لا تدبيج أديب لأديب ، وإذا نظرت إليه فانظر إليه كما تنظر إلى السحاب » .

٢ ـ ويقول الأسمر فى هذا الكتاب ، بعنوان « المتعلقون » و « المتملقون » : من علل الشرق مرضان : أما المرض الأول فهو هؤلاء (المتعلقون) وأعنى بهم أقارب الحاكمين وأصهارهم ، ثم أقارب الأقارب ، وأقارب أقارب الأقارب ، وأقارب الأصهار وأقارب أصهار الأصهار ، ونرجو علماء البلاغة أن يغتفروا لنا هذا التنافر اللفظى كما يسمونه فى كتبهم .

هؤلاء المتعلقون بالحاكمين أشبه الأشياء بالأطفال الذين يتعلقون بالترام يتساوون فى الوصول إلى الغاية بالراكبين الذين دبروا لركوبهم ثمن تذاكرهم ، وهم فوق ذلك ـ أعنى هؤلاء الأطفال المتعلقين ـ يضايقون الراكبين ويتمتعون بحرية كاملة فى الانتقال من ترام إلى ترام ، فيصلون غالباً إلى غاياتهم قبل أن يصل الراكب الذى دفع ثمن التذكرة . ولو أن هؤلاء المتعلقين وجدوا من يزجرهم عن التعلق ،

ويفهمهم أن ركوب الترام له طريقة واحدة هى تدبير ثمن (تذكرة) الركوب ، وأن طريقة التعلق هى فى الحقيقة لصوصية واغتصاب . أقول : لو أن هؤلاء المتعلقين وجدوا من يفهمهم ذلك ويضرب على أيديهم لما انقلبت الأوضاع : وضايقت هذه الطفيليات الراكبين ، ووصلت إلى غاياتها قبلهم .

أما المرض الثانى فهو هؤلاء (المتملقون) أصحاب الوجوه المتعددة ، والألسنة المأجورة ، والقلوب الخربة ، والنفوس الوضيعة ، ينحنون لكل من يقابلون ، ويستطون حيث يلتقطون ، يغشون منازل الكرماء واللؤماء ويجمعون بين الماء والنار . لعوقيون ، يلعقون مايجدون ، ويدورون مع الريح حيث تدور . متلونون بكل ما كان وما سيكون ، فائزون رابحون .

أما الرجال الأكفاء ، وأما أصحاب النفوس السليمة ، والأخلاق القويمة ، فقد ضاعوا بين المتعلقين والمتملقين .

قيل قديما (العدل أساس الملك) ونحن نقول (العدل أساس الحكم) بل الله سبحانه وتعالى هو الذى يقول ذلك ، فقد جاء فى القرآن الكريم (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) .

٣ ـ ويقول بعنوان « مسرحية الحياة » :

ما أشبه هذه الحياة بمسرحية متعددة المناظر كثيرة الفصول ، ولكنها تخالف جميع المسرحيات التى نعرفها فإن النظارة فيها هم أيضا الممثلون ! !

من منا فى هذه الحياة لا يقوم بدوره الخاص به ، شعر بذلك أو لم يشعر ؟ ! الكبير يقوم بدوره ككبير ، والصغير يقوم بدوره كصغير . حتى البهائم تقوم هى الأخرى أيضا بأدوارها ، وعندى أن كل هؤلاء الممثلين لهذه المسرحية متساوون فى عالم الحقيقة ، وإن اختلفوا فى عالم التمثيل .

وهذه المسرحية لا تخلو من قوى يظلم ، ومظلوم يثور ، ودماء تسيل ، وسجون تملأ ، ثم لا يكاد يمضى قرن على هؤلاء جميعا حتى يصبحوا تحت الأرض موسدين وهم متجاورون متحابون ، كأنهم إخوة أشقاء فى أحضان أم رءوم ، أنامتهم بعد عبثهم ، فناموا هادئين مستريحين .

أما ظلم الظالم ، أما ثورة المظلوم ، أما الدماء السائلة ، أما السجون الممتلئة ،

فكل ذلك تمثيل فى تمثيل .

ولقد حاولت كثيراً أن أعرف من بطل هذه المسرحية فلم أفلح : هل مضى بطلها فى الفصول الماضية ؟ . أو هو معنا اليوم يقوم بدوره كما نقوم نحن بأدوارنا ؟. أو هو ممن سيظهرون على المسرح بعد ذلك ؟. لا أدرى كما أننى لا أدرى ما سأقوم بتمثيله فى الغد . بل فى الساعة التى بعد هذه الساعة ، لا أدرى ذلك ، ولا يدريه غيرى من الممثلين .

ولعل أغرب ما فى هذه المسرحية أننا جميعا من المسرح وإلى المسرح ، وإن شئت قلت : نحن المسرح والمسرح نحن ، فتارة نأكله وتارة يأكلنا ، وطوراً يكون فى أحشائنا وطوراً نكون فى أحشائه . . من الأرض وإلى الأرض ، وهكذا دواليك ، حتى تنتهى المسرحية ، ويسدل الستار على فصلها الأخير .

٤ ـ ويقول بعنوان « شروق وغروب » :

ذهبت إلى الإسكندرية لأستقبل هناك أول يوم من أيام الربيع ، وهو المعروف فى مصر بيوم (شم النسيم) . وفتحت نافذة غرفتى بالفندق ، ورحت أطيل النظر إلى البحر ، ورأيت الشمس تجنح للغروب ، فقد بدا لى فى هذا اليوم أنها لا تغرب فى كل يوم إلا لتقول بلسان غروبها : أيها الناس كل شىء للغروب ! ! فلا يلهينكم الشروق عن الغروب . . للدول شروق وغروب ، وللملوك شروق وغروب ، وللشباب شروق وغروب ، وللصحة شروق وغروب ، وللجمال شروق وغروب ولكل شىء فى الحياة شروق وغروب . يا أحفادى : الأرض بنتى ، وأنتم أولاد بنتى ، ولا تجدون جدة دائبة على نصح أحفادها مثلى ، فأنا من يوم أن كنت أهمس فى أذنكم كل يوم وأقول لكم بلسان غروبى فى كل يوم : كل شىء للغروب ، فلا يلهينكم الشرق عن الغروب ! ! .

٥ ـ ومن نثر الشاعر قطعة « أمواج البحر وأمواج البر(١) » ، وهى من كتابه « مع المجتمع » : نظرت من نافذة غرفتى بالفندق على شاطىء الإسكندرية إلى البحر وإلى البر ، فعجبت للأمواج وللناس . هذه أمواج بحرية ، وهؤلاء أمواج برية ، ولكل موجة من هذه الأمواج نهاية ، فأمواج البحر تتكسر على الشاطىء وتتلاشى

(١) ص ٨ مع المجتمع ط ١٩٥٥

فى بحرها ، وأمواج البر تتكسر على آجالها ، وتتلاشى فى ترابها . وحينما تذهب الأمواج كأن لم تكن تحل محلها فى تعاقب متصل أمواج أخرى ، حتى لكأن الأمواج البحرية والبرية أمام الناظر نظرة سطحية أمواج باقية لا تتغير ، ولكنها أمام الناظر المتأمل فانية ذاهبة ، تلتصق بآخر طرف منها — وهى فى سبيلها إلى الذهاب والفناء — أمواج أخرى تستأنف حياة مثل حياتها ، وتحمل فى ثناياها نهاية مثل نهايتها . ، وحينما تتكسر الأمواج البحرية على شـــواطئها ، أو تتلاشى فى لجتها تعود إلى البحر ماء ... وحينما تتكسر الأمواج البرية على آجالها تعود إلى الأرض ترابا . . وهكذا دواليك . . لا تنعدم الأمواج البحرية والبرية انعداما كليا ، ولكن تنعدم فى نظرنا أشكالها . . . أما نهاية النهايات فعند مبدع البحر والبر حقيقة علمها ، وهو سبحانه وتعالى يخاطبنا فيقول « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . ونظرت إلى أمواج البحر وهى ثائرة صاخبة فقلت : لو هدأت الرياح هدأت الأمواج : ثم نظرت إلى الأمواج البرية فقلت : ما أشبه الأمواج بالأمواج ؟ . فالأمواج البحرية تثيرها الرياح فتثور وتصخب ، والأمواج البرية تثيرها أطماعها وأهواؤها فتتخاصم وتتحار .

ورأيت موجا عاليا لا زبد له ، وموجا عاليا له زبد . فقلت : موج يعمل صامتا ، وموج يتحدث عن نفسه وهكذا الناس . ورأيت موجا كبيراً يلتهم موجا صغيراً فقلت وهكذا الناس . . . ورأيت الموج يتسابق ويتزاحم ويتطاحن فقلت وهكذا الناس ، وعلمت أن للبحر تيارات خفية فقلت : وهكذا الناس .

وهدأت الرياح فهدأت أمواج البحر ، فقلت : ومتى تهدأ أمواج البر ؟ فقال لى البحر ساخراً : حينما تهدأ الأطماع ، وحينما تهدأ الأهواء ! .

٦ — ويقول بعنوان « مع القمر » : « عقب مناقشة من المناقشات المنزلية — وما أكثر مناقشاتنا — ذهبت إلى الشرفة وقعدت بها أنظر إلى القمر . وجاءنى فى الشرفة من يعنيه أمرى ليخفف عنى بعض ما بى وقال : ما أبهى القمر : فقلت له إن هذا القمر على بهائه لو كان له لسان يتكلم به ما نظر إليه أحد . . ولو كان له أذنان يسمع بهما ما طلع على أحد . فإنه ربما تكلم إلى الناس فأغضب الناس . . وربما سمع من الناس ما يبغض فيه الناس . . من أراد أن يعيش سعيداً مع الناس فعليه أن لا يكون له لسان ، وأن لا يكون له أذنان . »

وكتاب الأسمر « مع المجتمع » يدل عـلى روح أديب موهوب ، وملكة لكاتب من المفطورين على الكتابة ، وفى كتابة الأسمر روح الفكاهة والظرف والتأثر بالمجتمع ، وهو فى أسلوب المنثور شاعر ، يتحدث إلى الناس بلغة الخيال والعاطفة ، إن الكتاب واضح الخصائص الفنية للأسمر الأديب الكاتب ، ومن أوضح هذه الخصائص السلاسة والجمال والعذوبة والرقة والظرف والفطرة والموهبة العالية .

— ١٥ —

ألوان من شعر الأسمر

المأوى :

قابلته فى (قصره) الباهر تبدو عليه حيرة الحائر
يقول لى فى أسف ظاهر أعيش فى الدنيا بلا مأوى
فقلت : هل تمزح ياصاحبى قصرك قصر شامخ الجانب
طول وعرض عجب العاجب فقال : ليس (القصر) بالمأوى
قلت وراء القصر حصن حصين فانزل به فهو المكان الأمين
وكم حمى آباءك الأولين فقال ليس (الحصن) بالمأوى
قلت : فما المأوى؟ القدحرت فيه أبنه لى ، إنى لا أجتليه
فقال : مأواى الذى أبتغيه (قلب) ، فهل أظفر بالمأوى ؟!

إلى الاسكندرية :

قال لى صاحبى وللصيف فى (مصـ ـر) لهيب : هيابنا ، قلت هيا
فاخترقنا «الصحراء» منها إلى المصـ ـطاف ، نطوى الطريق للبحر طيا
فوق (سيارة) له ساق منها مارداً لايرى القصى قصيا
والضحى عسجد ، يسيل على رمـ ـل ترامى بساطه ذهبيا
ومررنا على رواب تجلت جاثمات كباركات جمال
ومررنا على جمال تجلت كرواب تحركت فى الرمال

وهنا أو هنا ترى بعض عشب   عاش فى الرمل ظامئا لم يبال
قال أحيا هنا عزيزاً ولا أحـ   ـيا لدى النهر تحت وطء النعال
وشممنا قبل الوصول إلى البحـ   ـر هـــواء له يهب نديا
فعلمنا أنا دنونا من (المصـ   ـطاف) حيث الجمال طلق المحياء
وبدا (البحر) كم أحن إلى البحـ   ـر ، هواء ومنظراً عبقريا
رقص الموج فيه فيروزيا   وارتمى فوق شطه فضيـــا
وذهبنـا نزور داراً لأم   برة ، أنجبت ثلاث عذارى
أدبتهن حـين كن كبـارا   ورعتهن بعد ذاك صغـارا
فهى كالروض أنبت الازهارا   وهى كالأفق أطلع الأقمارا
وجمال الجمال فيهن عندى   حين ينشدن حولى الاشعارا !!
رب يوم مررت فيه عليهـ   ـن ، كما مر خاطر بالتمنى
حدثتنى الـكبرى حديث محب   للقوافى ، ونعم ما حدثتنى
حدثتنى عن فتنة الشعر من لا   حت لعينى قصيدة فتنتنى !!
رحت أصغى لها فتمت أذنى   بأحاديثها ، ومتعت عينى
وتأهبت للقيـام فقالت   فى قطوب أحلى من البسمات
هكذا أنت ! أفابق نسعد بوقت   هو والله أطيب الأوقات
ثم قالت فى رقة النسمات :   هات مما نظمت فى الحب ، هات
قلت شعرى من يوم أن كنت قلبى   فاسمعى خفقة من الخفقات
ياحبيب الفؤاد بالمصطاف   إن شوقى إليك ليس بخاف
أنا لا أستطيع إخفاء حبى   كيف يخفى بقلبى الشفاف
ياحبيب الفؤاد بالمصطاف   أنت مثل النسيم صاف وشاف
كل عام ألقاك حيناً وأمضى   فـكأنى طيف من الأطياف
ياحبيبى أما نظرت لعينى ؟!   ياحبيبى أما استمعت لقلبى ؟!
ياحبيبى أما نظرت لعينى   وهى تبدى من لوعتى ما أخبى ؟!
ياحبيبى أما استمعت لقلبى   حين كنا بالشط جنبا لجنب ؟!

يا حبيبي أرى الوجود جميلا   كلما كنت يا حبيبي بقربي
أرقب (الصيف) كل يوم ليوم   ألتقى فيـــه بالحبيب الوافى
فيه عطف وبى إليه انعطاف   لم أجد مثل عطفه وانعطافى
قيل: صفه، فقلت حسن حبيبي   ضوء شمس جلت عن الأوصاف
إنما الحسن روضة أبدعتها   يد ربى، تبارك الله ربى
أنا بالحسن مغرم، ومحب   من غـــرامى به لكل محب
أنا بالحسن هائم ليس لى منـ   ـه سوى ذكره بشعرى، وحسبى
أنا روح فإن عشقت جمالا   شرف العشق والجمال بحبى !!
ليت كل الأنام يعرف ما الشعـ   ـر، وما ينطوى عليه الشاعر
هو فيهم من كل قلب ونفس   فهو فيهم عواطف ومشاعر !!
يقطع العمر كلـه ومضات   مثل ومض البروق بين الدياجر
رحمة، رقة، صفاء، وفاء   بسمة، دمعة، وديع، ثائر!!

من قصيدته على شاطىء جليم:

لاحت على الشاطىء بستانا   يرف بالبهجة فينـانا
صفرى شقيقات لهـا حسنها   عن كل مافى الشط ألهـانا
قالوا لهـا جئنا فجاءت لنا   من كنها الشطى تلقانا
ونحن فى كل الورى معشر   الحسن نهواه ويهوانا
كل جمـال نحن عشـــاقه   نلقـاه بالبشر ويلقانا
يكفيه منا أننا وحدنا   صغناه للعـــالم أوزانا
وأننا والكون مصغ لنا   أرق من الكون وجدانا
هام بهـا البحر فأمواجه   هدارة شـوقا وتحنـانا
أهدى اليهـــا خير مايقتنى   فابتسمت درا ومرجانا
وصاغ من أجمل أصـــدافه   ما لاح فوق الصدر رمانا
واختار من عنبره حلية   حلى بهـــا النهدين تيجانا
وموج الشعر كما يشتهى   فلاح وهو الموج إتقانا

وهو الذى أهدى لألحاظها ماصير الناظر حيرانا
راع وراق الحسن فى عينها كالبحر أعماقا وألوانا
والبر ماقصر فى واجب أهدى الذى أهداه هيانا
فانفلتت فى رمله ظبية واعتدلت فى شطه بانا
ورقرق الخمرة فى ثغرها من يرتشفه مال نشوانا
وأودع الخدين من ورده أبهى وأزكى ورده شانا
ونقط الخدين من مسكه « خالين » ما أجمل مازانا
وبين قوس حاجبيها بدا مالاح فتاكا وفتانا
خال هو السهم العجيب الذى أماتنا شوقا وأحيانا
لو كان للصخر عيون ترى حسنك ذاب الصخر أو لانا
البحر والبر ومن فوقه يرنو إلى حسنك ظمآنا
ولست بالظامىء فى نظرتى لكننى أنظر فنانا
ألقاك لا ألقاك ظمآنا لكننى ألقاك فرحانا
أهوى الهوى نوراوكنت امرأ يهواه قبل اليوم نيرانا
سرب من الناس على رمله مختلط شيبا وشبانا
وعاريات ما ارتدت فوقه إلا أباطيل وبهتانا
ما أعجب المصطاف من ساحر يسحرنا شيبا وشبانا
لم يستر « المايوه » من جسمها لكنه قد زان وازدانا
جاءت من الغرب لنا فتنة علاجها فى الشرق أعيانا
هذا هو البحر وهذا هو المصطاف فاللهم غفرانا

للیـــل :

أقبل الليل ونام العالم فكأن لم تك فى الأرض حياة
ومضى يفعل بالناس الكرى مثل مايفعل بالناس الممات
أهذه الدور قبور فى الدجى والورى كلهم فيها رفات

أى شىء أنت يانوم فلا أنت عيش لا ولا أنت وفاة!
أقل الليل فلا شمس ولا صبح لاشىء سوى بحر الظلام
غرق الكون به أجمعه وطفا فى لجة النجم وعام!
لم يزل يسبح فيه جاهدا هاربا بالسبح من وجه المنام
فاذا ما ساحل الصبح بدا وصل النجم إليه بسلام
تخذ الليل من النجم سهاما ورأى فى السحب خير الدرق
ومضى يبعثها حربا عوانا عابس الوجه شديد الحنق
ليت شعرى أترى يدرى النهار بالذى لاقته شمس الأفق؟!
غالها الليل وأجرى دمها أولا تنظـــر لون الشفق؟
جرد الليل على الشمس الهلالا خنجرا مزق منها الكبدا
وارتدى من بعدها ثوب الحداد ويحه ليس بصدق ماارتدى
ياله خبا لئيما لم يزل يظهر الحزن، ويخفى اللددا
إنه القاتل للشمس فما لبسه هذا الرداء الأسودا؟،
ما أظن الليل سفاكا ولا مجرما وهو الوديع الخلق
هو لايقبل إلا بعدما تترك الشمس سماء المشرق
وتراه فى الدياجى بعدها ساهد الجفن طويل الأرق
ظنها من رعبه «قنبلة» وشظاياها نجوم الغسق!
أقبل (الفجر) فما أروعه خارجا من قفص الليل البهيم
هو ديك نبش الظلماء نبشا ومضى يلقط حبات النجوم!
لايبالى حينما يلقطها بثريات تغذى أم رجوم!
ياله ديكا جريئا لم يزل عابثا بالنجم من عهد قديم؟
أنظر (الشمس) فهذا قرنها نطح الليل فولى فزعا
لا ترى إلا صباحا مقبلا وظلاما هاربا متقعا
طفق العالم يسعى بعدما نام فى جوف الدجى واضطجعا
ليت شعرى ما الذى صاح به وهو فى جوف الكرى فاستمعا

ميلاد الرسول (١) :

فجر أطل على الوجود فأطلعا   شمسين: شمس سنا وشمس هدى معا
ظلت مطالع كل شمس لا ترى   من بعده شيئا كمكة مطلعا
قبس من الرحمن لاح فلم يدع   لألاؤه فوق البسيطة موضعا
ما كان ميلاد الرسول المصطفى   إلا الربيع نضارة وتضوعا (٢)
يوم أغر كفاك منه أنه   يوم كأن الدهر فيه تجمعا
ويكاد غابر كل يوم قبله   يثنى إليه جيده متطلعا
فلو استطاع لكر من أحقابه   وثبا على هام السنين، ليرجعا!
ويكاد مقبل كل يوم بعده   ينسل من خلف الزمان ليسرعا
فلو استطاع لجاء قبل أوانه   وانساب يخترق السنين وأتلعا! (٣)
تتنافس الأيام فى الشرف الذى   ملأ الوجود فلم يغادر إصبعا
خير أفاض الله منه على الورى   أنى جرى ترك الجناب الممرعا (٤)
وسنا جلاه لتعمر الدنيا به   من بعد ما كانت خرابا بلقعا
وافى، وليل الجاهلية مطبق   فانجاب عن جنباتها وتقشعا
نادى إلى الحسنى فلما أعرضوا   واستكبروا شرع الرماح فأسمعا!!
والحق أعزل لا يروع، فإن بدا   مستلئما، لاقى الطغاة فروعا (٥)
والحق أخفى ما يكون مجردا   وتراه أوضح ما يكون مدرعا
بعض الأنام إذا رأى نور الهدى   عرف الطريق ولم يضل المهيعا (٦)

---

(١) سجلت محطة إذاعة الشرق الأدنى بعض أبيات قصيدة (ميلاد الرسول) تسجيلا غنائيا — غنتها الآنسة فايدة كامل، ولحنها الأستاذ محمد القصبجى.

(٢) تضوع المسك : انتشرت رائحته.

(٣) أتلع : تطاول فى سيره ومد عنقه.

(٤) الممرع : المخصب.

(٥) مستلئما : أى لابسا اللأمة وهى الدرع.

(٦) المهيع : الطريق البين الواسع.

ومن البرية معشر لا ينثني | عن غيه حتى يخاف ويفزعا
إن الرسول (محمداً) صبح بدا | من راح يعثر في سناه ، فلا لعا(١)
وافى بها بيضاء ، عدل كلها | لا تلفين بها الضعيف مضيعا
الناس كلهم سواسية بهـــا | لا (قيصراً) تلق بها أو (تبعا)
والناس أكرمهم بها أتقاهم | ولو انه كان الفقير المدقعا
دخلت على الجبروت وهو مقطب | صلفا ، فأبصر وجهها فتفزعا
وأبى له حب البقاء وطبعه | إلا الصيال ، فصاولت ، فتضعضعا
وكذا الهداية إن قذفت بها على | ركن الغواية والضلال تصدعا
(الفرس) و (الرومان) لم يعصمهما | ملك الممالك كلها أن يصرعا
من لم تزعزعه العواصف قبلها | بعثت له بنسيمها فتزعـــزعا
ثلت عروش الظالمين وملكهم | وبنت لعرش العدل ملكا أوسعا
وجرى العباد على السجية سجداً | لله ، لا لمسخريهم ، ركعا
وتراهم حول النبي فلا ترى | متملقا ، أو خائفا متخشعا
دين المساوات الصحيحة دينه | يرعاهم في الله أفضل من رعى
جاءت له الدنيا فأعرض زاهداً | يبغي من الأخرى المكان الأرفعا
ماجر أثواب الحرير ولا مشى | بالتاج من فوق الجبين مرصعا
من ألبس الدنيا السعادة حلة | فضفاضة ، لبس القميص مرقعا!
وهو الذي لو شاء نالت كفه | كل الذي فوق البسيطة أجمعا
لم يبغها ملكا عضوضا ، بل دعا | لله لا لسواه أفضل من دعـا
مسك به اختتم المهيمن رسله | وأبان أمر الدين والدنيا معا
يا (مصطفى) أدعوك دعوة شاعر | وافى إليك بشعره متضرعا
هب لي من النفحات ما أشفى به | نفسا معذبة ، وقلبا موجعا
فلعل صدرا أن تزول همومه | وعليل قوم أن يصح وينفعا
ولعل ذابلة الرجاء ينالهـا | بلل من الغيث العميم فتينعا
صلى عليك الله جل جلاله | دنيا وأخرى ، شافعا ومشفعا

---

(١) لا لعاله ، أي لا أقاله الله من عثرته .

ذكرى الشهداء : (١)

قيل عيد « النيروز » قلت وذكرى هى عندى بالشعر والنثر أحرى (٢)
أين منها كل المسمى بنـيرو زهنا أو هناك فى أرض (كسرى)؟
ما رياض الربيـع أجمل عندى من رياض الأخلاق غصنا وزهرا
أين نبت الميـاه من نبت قان عرفته العروق والأرض حرا؟ (٣)
إن كسا النيل مصر سندسة الأحـوى فكم جرت المطارف حمرا؟ (٤)
من دماء سالت عليها ، فطوراً من بنيها ، ومن عدا النيل طورا
لم تزل هكذا ، فأخذاً وردا فى سبيل العلا ، ومـدا وجزرا
وهى فى وطأة الشـدائد تزدا د إباء عـلى الزمان وكبرا
فى قديم ، أو فى حديث تراها وهى أعلى من الحوادث قدرا ! !
ليت « روما » قصت للندن مالا قت لتزداد بالكنانة خبرا
أين « كارا » بل أين « دقلديانو س » يسوق الجيوش براً وبحرا (٥)
ويسوق الحمام فالقبط قتـلى ويسوق الهوان فالقبط أسرى
فابح شانق ، يعذب من شا ء بمـا شاءه ، العذاب النكرا

---

(١) يصادف وفاء النيل وهو (عيد النيروز) عند الأقباط فى مصر ذكرى الشهداء عندهم ، وفى بعض هذه الأعياد نظم الشاعر هذه القصيدة .

(٢) المقصود بالذكرى هنا هى (ذكرى الشهداء) عند أقباط مصر التى تشير إلى العنت الذى أصابهم أيام حكم الرومان فى عهد (دقلديانوس) من ذبح وشنق وإحراق وتعذيب .

(٣) المراد بالقانى هنا دم الشهداء الأقباط فى عهد محنتهم الرومانية .

(٤) الأحوى : الشديد الاخضرار . والمطارف : جمع مطرف (بكسر الميم . وفتح الراء) ، رداء من الحرير .

(٥) (كاراكالا) أحد ملوك الروم ، ومن أخباره أنه أمر بقتل جميع أهل الاسكندرية لأن بعضهم هجاه . . و (دقلديانوس) هو الطاغية الرومانى صاحب مذبحة الأقباط المعروفة .

بين قتل ، وبين حرق وجلد   لبث القبط فى المظالم عشرا
سنوات كأنهن دهـــور   تعصر الناس فى الكنانة عصرا
محنة طـــال صهرها لكرام   عرفتهم على المجـــامر تبرا
معشر آمنوا وظلوا على ما   هم عليه، والأرض ترجف ذعرا
والنصارى فى الغرب ترتد رهبا   بعد إيمانها ، وتكفر كفرا
والكرام الأقباط مثل الرواسى   لم يزالوا بالدين حتى استقرا
إن يكونوا الضعاف بأساً فقد كا   نوا هم الأقوياء عقلا وفكرا
ليس من يعبد الإله كمن يعب   د نجما ، أو من يقدس صخرا
ظلمة عمت المظالم فيهـــا   لم تغادر من رقعة الأرض شبرا
فملوك هم سياط عـــذاب   وشعوب جـــلودها تتفرى
ونواحي الوجود تزخر بالفو   ضى وبالموبقات عصرا فعصرا
كلما قيـل ظلمة يتجـــلى   ليلها غام دجنها واكفهرا !
ثم لاح (الإسلام) نور صباح   نور عيسى قبله لاح فجـــرا
دك صرح الطغاة دكا ووافى   بصلاح العباد دنيا وأخرى
وهو سوى بين الجميع فكل   يعبد الله كيفما شـــاء حرآ
لم يقسم أبناء آدم أقساما   فيعطى زيدا ويحرم عمروا
هم سواء لديه بيضا وسودا   هم سواء لديه حمرآ وصفرا
خـــير لون لديه لون تقى   لاح ليلا ،أو لاح فى الليل بدرا!
أفضل النـاس عنده من رآه   ذاكرآ ربه ، وبالنـاس برآ
ليت شعرى ما للوصـــايا أراها
وهى عشر صارت لدى (الغرب) صفرا
معشر قسموا الأنام كما شا   ءوا،وخانوا(المسيح)سرا وجهرا
صيروا الأرض غابة فتراهم   فوقها كالوحوش نابا وظفرا
يأكلون الضعاف حتى ولو كا   نوا ذويهم،والأرض تنظر حيرى
أين (عيسى) يرونه ليثوبوا   كان (عيسى) روحا من الله طهرا
لم يفرق ما بين بيض وسمر   لم يجرد للبغى بيضا وسمرا(١)

---

(١) البيض والسمر فى الشطرة الثانية للبيت: هى السيوف والرماح.

ماعلى (الغرب) لو تآخى مع (الشر ... ق) امتزاج الشراب ماء وخمرا
كم مددنا يد التصافى إليـــه ... وهو يأبى إلا التواء وغدرا
لاتظنوا خيرا به، وكفانا ... ماظننا، وما جنيناه شرا
أيها الغرب أين وعدك للشر ... ق، قديما، والحرب تزأر زأرا
يوم أعطاك زاده وهو طاو ... وترديت ثوبه وتعرى[1]
مالتلك الوعود أصبحن شوكا ... مالتلك الوعود أصبحن جمرا
يابنى القبط من بنى مصر مانحـ ... ـن وأنتم إلا يمـــين ويسرى
فابتنى باليدين ماشئت يامصـ ... ـر، وشيدى صرح العلا مشمخرا
نحن أنتم، وأنتم نحن، كالعيـ ... ـنين، لافرق بين حين وأخرى!!
شهر (ذى الحجة) الكريم علينا ... مثله عندنا (أبيب) و«مسرى»
النبى الكريم أكرم مثـــوا ... كم، فأوصى بالقبط فى مصر خيرا
إن تكونوا إخواننا فلقد كنـ ... ـتم قديما من قبل ذلك صهرا
حسبكم أنكم خؤولة (إبرا ... هيم) أكرم بها رباطا وفخرا[2]
لست أنسى وقد دعا «عمر الفا ... روق» عمرا لكى يحاسب عمرا
يتقى الله فى الرعايا ويخشى ... أن يكون المجير أحدث جورا
لاكمن هـــدم الهيا كل جبا ... را، وسام العباد خسفا وقهرا
مثل قمبيز أو كدقلديانو ... س، وكل سقى البلاد الأمرا[3]
أو كمن جاءها ليمكث حينا ... ثم أغفى إغفاءة واستمرا[4]
يتغـــابى وما به من غباء ... فهو يبدو سهلا وإن كان وعرا
إن بنى فهو هادم، أو تجـــلى ... فهو خاف، أو قال لم؟ فهو أدرى
عقدة حلها عســـير ولكن ... رب عسر أحاله الله يسرا
قل لمن حرروا «الرقيق» رويدا ... كاد بعض الشعوب يهلك أسرا
إن يكن مازعمتموه صحيحا ... فعلام الاحرار تملك قسرا؟!
ضاقت الناس بالأباطيل ذرعا ... ضاقت الناس بالأكاذيب صدرا
حسبكم فى العباد نهيا وأمرا ... حسبكم فى البلاد كرا وفرا

---

(١) طاو هنا: معناها جائع. (٢) إبراهيم: هو ابن الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة «مارية» القبطية. (٣) قمبيز بعض الذين ابتليت بهم مصر، وكان ملكا من ملوك الفرس. أما دقلديانوس فقد تقدم ذكره. (٤) يعنى الشاعر بذلك الإنجليز.

لا يرانا الضيوف قوما كراما ... بل يرانا الضيوف (قطنا) و (برا)
مصر قبر الطغاة ، هلا تحرى ... بعض قوم ، وأين من يتحرى؟!
يا بنيها إذا دعتكم فلبوا ... يحدث الله بعد ذلك أمرا ! ؟
إن عاراً ونحن عشرون مليو ... نا أبيون أن نباع ونشرى !!

كرسى البرلمان :

احذروا (الكرسى) كم مر به ... معشر غيركم ثم نسى
لا تكونوا فوقه مثل الذى ... يحضر (الجلسة) مثل الأخرس
أو كمن يهتف للزور به ... فإذا الحق بدا لم ينبس
أو كمن ثروته تصفيقه ... وهى عندى رأس مال المفلس
أو كمن قيل له كن فوقه ... صنما ، جئت لهذا فاجلس
أو كمن يشتم قوما ظالما ... فهو يعوى كعواء الأطلس(١)
أو كرهط فوقه سيماهم ... عدم الفهم ، وهز الأروس!!
أو كمن نام به ليس له ... من وجود فيه غير النفس !!
أو كعريان رآه متجراً ... فهو فيه قاعد كى يكتسى
بئس من أكرمه الله به ... فأبى إلا حياة التعس

نشيد الجندية :

إلى الأمام يا جنو ... د ، وانهضوا تحت العلم
مصر تنادى فارفعوا ... لواءها بين الأمم
نحن الجنود إن دعا الد ... اعى نهضنا للوطن
من الصحارى والسهو ... ل ، والحقول ، والمدن
نذود عن أرض الوطن ... إن لم نذد عنها فمن ؟ !
ونحن أنصار العلم

---

(١) المراد بالأطلس هنا : الذئب .

بلادنا دار الضيو   ف ، وهى قبر للعدا
شعارنا لانعتــدى   ولا علينا يعتدى
يا مصر عيشى أبدآ   فكلنا لك الفـــدا
وكلنا فدا العلم

النيل والوادى على   جانبى النيل لنا
نسقيه من حيـاتنا   كما سقاه أهلنـا
ما أنبتت فؤوسنـا   تصــونه سيوفنـا
لنـا ويرعاه العلم

نحن بنو الوادى الذى   عودنا أن نحصدا
نحصد فيه زرعنـا   كذاك نحصد العدا
نحن الندى، نحن الردى   فى سلمنـا وحربنا
والحافظون للعلم

نحن الجنود المخلصو   ن كل آن للوطن
آباؤنا ، أبنـــاؤنا   الروح منا والبدن
جميعها من الوطن   فهى فـداء للوطن
وهى فداء للعلم

ليالى الغارات الجوية :

وناعبة فى الليل يسرى نعيبها   تحذر شر الطائرات وتنذر(١)
نهضنا لها مستيقظين وعلمت   أخا النوم فيما علمت كيف يسهر
ونطفىء أو نخفى المصابيح نتقى   عواقب بعض النور والنجم ينظر
ولو ناله ما نالنا لم تلح له   مصابيح مثل الروض وهو منور
وبات كما بتنا على شر حالة   نعانى ظلام الليل والليل أعكر
أضىء أيها الزاهى مصابيحك التى   نجت ونأت عن شرنا فهى تزهر
أضئها كما تهوى فليس ينالها   من الشر ما نخشى أذاه ونحذر

---

(١) المراد بالناعبة هنا : صفارة الإنذار .

أبابيل طير كالقلاع إذا سرت	سرى الموت منها، محرق ومدمر (١)
نظرت لها بين الأشعة يرتمى	سناها عليها فهى تخفى وتظهر (٢)
إذا كشفتها لم يطل كشفها لها :	وميض كلمح البرق أو هو أقصر
كأن شعاع الكاشفات سواعد	يقلبها فى الليل من ليس يبصر
يقلبها من لا يرى ما يريده	عساها بما لا تبصر العين تعثر
سحائب شر حاملات صواعقا	إذا أمطرت فالويل ساعة تمطر
تطاردها تحت الظلام (مدافع)	تظل إذا ما أبصرتها تزمجر
كأن أسوداً أبصرت فوق غابها	نسوراً ، فقامت فى نواحيه تزأر
تبادلها موتا بموت فصاعد	يدوى ، وهاو مثله يتفجر !!
تحير (عزرائيل) ما بين صاعد	وهاو ، و(عزرائيل) لا يتحير !!
يقول لى الأطفال هل حان حيننا	وأدمعهم من خوفهم تتحدر (٣)
أطمئنهم بالقول زوراً ، أسرهم	وإن كان قلبى بينهم يتفطر
ووالله لا أدرى أأصبح سالما	أنا وهم ، أم غير ذاك المقدر
فلا (مخبأ) منج ، ولا البيت عاصم	إذا لم يدبرنا الرحيم المدبر !!

لحرب وويلاتها :

ربنا هذه الحوادث منا	أدركتنا ذنوبنا فاعف عنا
عالم الناس أى شىء دهاه	جنت الأرض تحته أم جننا ؟!
أين نوح يرى دماء بنى حو	اء وهى الطوفان حسا ومعنى
قيل طرنا وقيل غصنا فقلنا	ما أفدناه حين طرنا وغصنا ؟
ما أفدناه حين طرنا وغصنا	غير أنا صرنا وحوشا وجنا

---

(١) المراد بأبابيل الطير هنا : جماعات الطائرات المغيرة .
(٢) المقصود بالأشعة : الأشعة الكاشفة للطائرات .
(٣) الحين بفتح الحاء وسكون الياء — الهلاك .

كان أولى من كل ذلك لو أنـ ـا نزعنا الأضغان ضغنا فضغنا
وغرسنا مكانها الحب والخيـ ـر وعشنا على الوفاق ومتنا
وإنما نحن إخوة أورثتنا أمنا الأرض منزلا فسكنا
فعلام الخلاف وهو رحيب؟ لو قنعنا بالنصف منه لأغنى

الشرق والغرب[1] :

أي فجر على البلاد أطلا فلعل الصباح آت ، لعلا
يا ضيوف الحمى وأنتم ذووه مرحباً مرحباً ، وأهلا وسهلا
يعلم الله أنكم مذ أتيتم ما حللتم إلا القلوب محلا
إنما الشرق أسرة وذووه إخوة ، فهو يجمع الكل أهلا
فرقت بينه حوادث شتى : وحدوه : يداً ، وقلبا ، وعقلا
نالت العز بالتضامن (أمريـ ـكا) فهلا بنو العروبة هلا
واستقلت حقا ، فليست كن با ت أسيرا وقيل عنه استقلا ! !
ما الذي صير العروبة أجزا ء ، وكانت من قبل ذلك كلا ؟ !
فأعيدوا ـ وليس ذلك سهلا ـ بعض ما كان للعروبة قبلا
هذه الحرب آذنت بانتهاء إن حرب السلام أكثر هولا
فتواصوا بالحق والصبر فيها وانزلوها نصلا يؤيد نصلا
وأعدوا ليومها ما استطعتم لا تخوضوا تلك المعارك عزلا
وحذار الوعود فهي سراب وكلام منمق ليس إلا
نحن منها في مصر نبني من الما ء قصوراً ، ونفتل الرمل حبلا
قل لحلو الوعود ليتك أنجز ت قليلا منها فذلك أحلى
ساسة الغرب وعدهم كله مطـ ـل ، وشر الوعود ما كان مطلا

---

(١) نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٩٤٤ بمناسبة افتتاح جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي بمصر . وقد حيى الشاعر فيها الوفود العربية بمناسبة زيارتها لمصر ، وحث على الاتحاد . ونبه إلى أفاعيل الغرب مع الشرق .

كم مواثيق سطروها بأيديهـ ـم ، وليست إلا أساطير تتلى
كم عقود مشوا بها لأناس فاستحالت من بعد ذلك غلا(١)
ما وراء الكلام غير كلام أو أباطيل تخدع الناس شكلا
صوروها فى صورة الحق للنا س وليست إلا افتراء وهزلا
مسرحيات مخرج أسأمتنا ملها الناظرون فصلا ففصلا
أيها المخرج القدير رويداً بعض هذا ، عرض الحقائق أولى
أيها (الغرب) حسبك اليوم تمثـ ـيلا ، وأرخ الستار فالشرق ملا
أيها (الغرب) أنصف (الشرق) إن الشرق أصفى قلبا ، وأكثر نبلا
وهو يوم المقال أصدق قولا وهو يوم الفعال أمجد فعلا
ما كساه الضباب ثوب خفاء بل تجلى كالصبح حين تجلى
أمه الشمس ، فهى أصل لما شـ ـب عليه ، ونعمت الشمس أصلا
مهبط الوحى مبعث الهدى كم أطـ ـلع من أفقه المهيمن رسلا
خصه الله بالجليل من النعمى فأخلق بأن يكون الأجلا
أيها (الغرب) أنصف (الشرق) واعلم أن للشرق مثل فضلك فضلا
أنت لولاه لم تواصل خطى الحر ب ، ولولاه نؤت بالحرب حملا
لا تكافئه فى الغداة إذا ما قال حق : نفيا ، وسجنا ، وقتلا
واذكر اليوم ما ابتلته به الحر ب ، وما قدمت يداه وأبلى
هذه هـذه النهاية لاحت فضع الأس للعروبة عدلا
لا تقل أهلها ضعاف فمهما يعل امر القوى فالحق أعلى !!
إن فيها من قال والسيف مسلو ل عليه لحامل السيف : كلا(٢)
نحن إن نفتد العروبة بالغا لى من الروح فالعروبة أغلى !!

---

(١) الغل : طوق من حديد أو جلد ، يجعل فى اليد أو العنق .

(٢) المعنى بهـذا البيت هو رياض الصلح الزعيم اللبنانى ، وفى هـذا البيت إشارة للثورة اللبنانية .

لم تعد دمية تقاذفها الأيدى ، ولا أكل من يحاول أكلا
أين منها الغداة كل بنيها لنرى الاتحاد أجمع شملا
أين منها (بنو الجزائر) فى الغرب ، ومن حولهم لتزداد حولا
يا بنى (الشرق) أسرعوا أسرع «الغرب» فلا تسمعوا لمن قال مهلا
واستهينوا بكل صعب إلى أن تصبحوا للذين فى الغرب مثلا
كل صعب من الأمور إذا ما صادف العزم، صار بالعزم سهلا !!
ماعلى «الغرب» لو تآخى مع الشرق فصارا كالروض ماء وظلا ؟!

الحق :

تبينت أن الحق إن تتح له بواسل يخشى ظلمها فهو باطل
لعمرك لو أغنى عن الحق أنه هو الحق ماقام (الرسول) يقاتل ..
ولم يلق (عيسى) وهو يدعو لربه من الناس مالم يلق أحمق جاهل.
فلا تحسبن الحق ينهض وحده إذا ملت عنه فهو لاشك مائل
أقه ، وأسنده ، ودعم بناءه وذدعنه ذود الليث والليث صائل
ولا تسندن الحق بالقول وحده فإن عماد الحق ما أنت فاعل
من العقل أن لايطلب الحق عاجز فليس على وجه البسيطة عادل .
ولكن قوى يشرب الدم سائغا إذا نضبت يوم الورود المناهل

أيام اللقاء :

أتذكر أيام اللقاء وعهدها وعندك معسول المقبل كاعب
يبادلك الحب الذى أنت واجد ويرغب فى كل الذى أنت راغب
تقبل منه خده وهو ضاحك وتلثم منه ثغره وهو لاعب
عشية لما أن شكوت له الهوى وصار وشيكا نيل ما أنت طالب
ردعت الهوى حتى استقر قراره وقلمت من أظفاره وهو واثب ..
وحاربت قلبا بين جنبيك ثائرا فيا ليت شعرى أى شىء تحارب؟،
تعف عن الأمر الذى أنت قادر عليه، وتنأى عنه وهو مقارب؟.
فيالك من ذى حاجة حين أوشكت تحول عنها ، فهو ناء مجانب . .
ولم أر قبل اليوم مثلك عاشقا رغائبه أن لاتتم الرغائب . .

يباعد مابين الأمانى وبينه ويرجع يسعى نحوها وهو دائب
ومثلى من لو نام عنه رقيبه صحا بين جنبيه ضمير مراقب ..

أنا وهن :

غيد ، كواعب كالدمى أضمرن لى حبا وأظهرت الذى أضمرنه
مازلت أشكو فى مغانيها الهوى حتى أهجت غرامها فشكونه
وظللن يبدين الصبابة بعدما أخفين بين القلب ما أخفينه
أصف الغرام لهن فى جبروته فأثير فيهن الهوى فيصفنه
ولقد وضعت لهن فى شرك الهوى حب الهوى ، فمكرن حين لقطنه
يلقطنه وخبأن لى أمثاله إن الذى دبرت قد دبرنه . .
ويقلن حسبك مافعلت كأنما قد جئت شيئا هن لم يفعلنه
لى عندهن جميع ما أنا طالب ولهن عندى كل ما يطلبنه
حب كماء المزن ما دنسته منى بشائبة ، ولا دنسنه(١)
ماذا يقول العاذلون وما به إلا فتى قد راقهن ورقنه
أبصرن منه للفنون مواقعا فشى الهوى مابينهن وبينه
عهد رشفت الحلو من كاساته ونهى النهى ، فتركته وتركنه
ما كان فيه مايشين وإنما عمر أضعت زمانه وأضعنه
واها لأيام الصبابة والصبا والناس تلغط ، إنهن وإنه ..

ليلة الوداع :

ودعينى ، ودعينى ،واذكرى لى من حديث الحب مايشفى غليلى
وإذا الفجر تجلى فأنيلى شفتى ثغرك من قبل الرحيل
وهبينى قبلة واحدة ليست القبلة بالشىء القليل
قبلة لايلتقى ثغر بثغر عندها ، بل تلتقى روح بروح ..
فى غد أمضى فويلى من غد ليته لايخلق الله الغدا
أيها الليل رويدا ، واتئد فى الخطى ، أو كن علينا سرمدا

---

(١) المزن : السحاب .

لاتلد شمساً ، ولا فجراً ، وقف   وقفة ياليل تبــق أبداً
واحبس الأفلاك عن دورتها   رحمة ياليل بالقلب الجريح
أى شىء أتمنى ؟! ويح نفسى   أترى ياليل قد جن جنونى
كيف أستبقيك ياليل وعندى   أنك السارى على مر السنين ؟!
ودعينى ، حان ياليلى رحيلى   وتجــلى فلق الصبح المبين
لاح فجر الأفق ياليلى ولاحت   فيه آثار دم القلب الذبيح

ودعينى واذكرى بعدى غرامى
وإذا مت غريبــاً فاذكرينى
ودعيــنى إنما أنت حياتى
ودعينى ياحياتى ودعينى

سمراء الإسكندرية :

سمــراء هيفـــاء لهـا منزل   يطل فى الثغر عــلى البحر
لما قرعت البـاب أبصرتها   تفتحه فى رقــة الفجر
ليست من السـود دجوجية   ولا من البيض أو الصفر
لـكنها سمـــراء مثل القنـا   شكلا ، وفى لون لمى الثغر !!
قلت لهـا هــل عندكم غرفة   طيبـــة هينة الأجر ؟!
ينزل فيهـا شـاعر مفلس   ليس له شىء سوى الشعر
جاء لـكم من مصر مستشفيا   بنسمة البحر من الحـر
فرحبت بى ساعة خلتنى   فيها مع الشمس أو البدر ..
وقالت : اصــبر لغد ، وائتنا   وكيف للشاعر بالصبر ؟.
سمراء ، أنسانى الهوى عندكم   حسن هواء البحر والــبر
جئت أريح الفكر فى داركم   فبات مشغولا بكم فكرى ..

أهواك :

أهواك أهواك حتى لست أحسن من   كل الـكلام سوى : أهواك أهواك

نأيت عنك فبتنا لا لقاء لنا ... لكن خيالك يلقانى فألقاك
مريه ينأ لعلى أستريح إذا ... نأى، وإلا فقولى كيف أنساك ؟.
أنت التى عذبتنى وهى لاهية ... لولاك ماهمت كالمجنون لولاك
أصبحت بعدك فى دنياى مغتربا ... فكيف أنت وما أحوال دنياك

ومن قصيدته « فجر السلام » :

حقائق صاح أم أباطيل نائم ؟ ... وأخبار صدق أم مزاعم زاعم ؟
عجبت لها كيف انتهت حين ظنها ... بنو الأرض فوق الأرض ضربة لازم
سنون مضت مثل الدهور تلاعبت ... بنا مثل موج الهائج المتلاطم
وكنا ألفناها على قبح وجهها ... كما ألف « الحاوى » وجوه الأراقم
وهيهات ما ليل الحروب بمنته ... ولا فمها فى كل آن بصائم
ستحدث حرب بعد تلك وغيرها ، ... وأخرى وأخرى ، جاحما بعد جاحم
خذوا بالمساواة التى قلتم بها ... فذلك أولى بالكريم المسالم
وليس عظيم الناس آكل غيره ، ... على رسلكم ، هذا عظيم الضراغم
ولكن عظيم الناس من عاش صادقا ... برىء سنان الرمح ، عف الصوارم
مضت حقبة والشرق يحمل عبئكم ... فلا تجعلوه دائما للمغارم
ولا تجعلوا بعض الأنام مطية ... لأغراضكم ، فالناس غير البهائم
شددتم بزند الشرق فى الحرب كفكم ... فلا تجعلوها بعدها كف لاطم
دعوا الشرق يهتف بالمنى فهى حقه ... عليكم ، وليست بعض تلك الغنائم
فيا حلفاء الشرق : ما بال قيدكم ... على الشرق فى أجياده والمعاصم
تعالوا تعالوا للعدالة نحتكم ... فما برحت من يومها خير حاكم
بنى مصر لا بل يا بنى الشرق كله ... أعيذكم من شر تلك السخائم
أرى حبكم للحكم فرق بينكم ... فأطمعتمو فى أرضكم كل غاشم
ومكنتم للداخلين فأصبحوا ... جراثيم داء لاترى يد حاسم
ولانت قناة الشرق بعد إبائها ... وكانت قناة لاتلين لعاجم

دعوا عنكم حب الرياسة واذكروا ... أفاعيلها فى عبد شمس وهاشم
بنى الشرق: جدوا، حسبكم مزح مازح ... وإلا فأنتم فيه لقمة لاقم
ولائم سواس الورى أكل مثلكم ... وأخشى عليكم بعض تلك الولائم
أرى موكب الأحياء يمشى فزاحموا ... به تسلموا، مات الذى لم يزاحم

ومن قصيدته «يامصر»:

هل بات يغنى أن يقال لها: اسلمى ... إن صح ذلك فاسلمى ثم اسلمى
يامصر إن الله جل جلاله ... لا يستجيب إلى دعاء النوم
اليوم ألسنة المدافع وحدها ... مقبولة الدعوات طاهرة الفم
فالأرض للأقوى على جنباتها ... ليست لأتقاها، ولا للأعلم
الجو لم تملكه غير نسوره ... والغاب لم يملكه غير الضيغم
والحق ليس ببالغ «جوديه» ... حتى يخوض إليه طوفان الدم

ويقول الأسمر حينما دخل جيش مصر فلسطين عام ١٩٤٨:

جيش الكنانة سد فى كل معترك ... إن الفراعين كانوا سادة الأمم
إن طال ليل «فلسطين» فإن لها ... فجراً أطل سيجلو داجى الظلم
فقل لمن سهدت عيناه مكتئبا ... بشراك بشراك لاح الفجر فابتسم

الدنيـــا:

لعمر أبيك مادنيـــاك إلا ... خيال لا يسوء ولا يسر
كلا الحالين من فرح وحزن ... مغالطـــة وزور مســـتمر
وهذا الخلق من جن وإنس ... خيالات وأشـــباح تمر
إذا عشنـا فشعوذة وسحر ... وإن متنا فشىء لايضر!!
ونبعث بالكلام فأين يمضى؟! ... يسجل حولنا وله مقر!!

يغرد (بلبل) ويصيح (ديك)	ويزأر (ضيغم) ويموء (هر)
لكل جماعة لغـــة ونحو	يقومها فيرفع أو يجر . .
إذا نهق الحمار غضبت منه	وإن تخطب يقل : لله در
وما أدراك أن له مقـــالا	كقولك فيه قافية ونثر . .
وكل فى الحيـاة يجر عبئاً	وكل صارخ مما يجـــر
فهـــذا عبؤه خزف وصخر	وهـــذا عبؤه ذهب ودر

مصر والتشريع الإسلامى :

أين حكم الشريعة الغـــراء	وقوانين أحكم الحكماء ؟
أين أحكامنا التى أنزل الله	علينا من عرشه والسماء
قام فى المسلمين شرع دخيـل	ومضى شرع خاتم الأنبياء
ويك يامصر أى حكم أرى اليو	م ، وفيم القضاء غير القضاء
كل ما حرم الإله حـــلال	فى نواحيك ياله من شقاء
ثم يامصر أين ما قاله الله	وأين الزكاة للفقـــراء ؟
أيها الأغنياء إن لم تؤدوا	ما عليكم ، فالويل للأغنياء
لا رعى الله ما جمعتم إذا لم	تك فيه الحيـاة للأحياء
صولة المال صولة الذئب إن لا	قى الجماهير وهى قطعان شاء
هو من يومه يعيش على الظلـ	م ، ويحيا على امتصاص الدماء
فاجعلوه رسول عطف وبر	ودواء يشفى من الأدواء
واحذروا فتنة إذا هى قامت	لفت الظـالمين بالأبرياء
أيها المسلمون فى مصر ردوا	كل داج من أمركم للضياء
ساد قوم والمسلمون جميعاً	فى الورى كله من الضعفاء
ضاق صدرى مما أراه ومما	لا أراه ، وضاق صدر سوائى
أيها المسلمون هلا صحوتهم	طال نوم الشعوب والرؤساء
فانهضوا نهضة الأباة وهبوا	وكفى ما مضى من الإغفاء

لا أنادى بثـــورة الغوغاء بل أنادى بثورة العقـلاء
أيها المسلمون ليس بكاف أننا المسلمون بالأسماء
نحن إن لم نعمل بما أنزل الله فدعوى الإسلام محض ادعاء
إنما المسلمون بالعمل الصا لح لا بالمظـــاهر الجوفاء
فانشروا راية (الكتاب) يرفرف منه فوق الأنام خير لواء
واستعيدوا أمجادكم وأعيدوا عهد حكم النبي والخلفاء
وخذوا بالكتاب فى كل شيء إن فيه حقائق الأشياء

العبـــادة :

خير العبادة ما قام الغنى به نحو الفقير، وغرس المرء ما نفعا
عجبت للراكع الجافى قرابته ياليته وصل القربى كما ركعا
هيهات تنفعه خمس يقوم بها مع النوافل، أو أن يشهد الجمعا
صلوا باجسادهم، والقلب منصرف عن سر ماسنه المولى وما شرعا
من لم يؤد لأهل الأرض حقهم فليس عندى بما صلاه منتفعا
والناس فى هذه الدنيا ذوو رحم ياليت شعرى أنى أصبحوا شيعا
أعن أخاك، وبالغ فى إعانته إن الكريم يعين الذئب والسبعا
من يملك النفع فلينفع، ومن بشمت أمعاؤه، فليشارك غيره الشبعا
الدين عندى بذل الناس فضلهم وأن تعيش قلوب العالمين معا

أمة الغنم :

مررت بالشاء يوما فى مراتعها لها رعاة من الذؤبان والرخم
فقلت ياشاء ما بال الرعاة هنا من كل آكل شلو، أو مريق دم؟
فأنكرتنى وقالت وهى معرضة: عليك نفسك، لاتنصح ولا تلم
فرحت أجمع نصحى من مسامعها وقلت : معذرة يا أمـة الغنم

الديمقراطية(١) :

إنمـا الناس من تراب وماء ليس فيهم من أصله من ضياء
(آدم) والد الجميع لحمق وضلال تفاخر الأبنـــاء
أنجبتنا (حواء) أشبه بالده ر ، ولونيه ، صبحه والمسـاء
فأناس كما تجلى نهـــار وأناس كحالك الظلمـاء
صبغة الله جل ربى تعـــالى خالق الخلق ، مبدع الأشياء
أمنا الأرض أنبتتنا جميعـا ليس فينا من ينتمى للسماء
ليس شعب من الشعوب بعبد لا ولا أمة ببعض الإمــاء
لم أجد فى الحياة مثل المساوا ة أساسا لـكل بانى بنـــاء
هام (موسى) الـكليم يبحث عنها غاضبا ساخطـا على الـكبرياء
و (المسيح) الـكريم نادى إليها مخلصا صابرا على الإيـــذاء
ثم وافى بها كما أشرق الصب ح على الـكون (خاتم الأنبياء)
وجلاها للناس قولا وفعـلا ورعتها رعاية (الخلفـاء)
جابت العالمين أسرع من بر ق الدياجى ، وموجة الـكهرباء
زلزلت(قيصرا) ومالت (بكسرى) وأصـابت مقاتل الخيلاء
وأقامت للعدل ملكا تساوى فيه من يملـكون بالدهماء
كل هاد دعا إليها فماذا لو أصخنا إلى جميل الدعاء ؟
ماعلى الأرض فهو كاف بنيهـا لو أقاموه بينهم بالسواء . .
لو عدلنا رفت على الناس دنيا هم ، رفيف الحديقة الفيحـاء
ونعمنا بنعمة الرغد والأم ن ، وعشنا فى ظل روض الإخاء
أيها الناس والجميع ســـواء فيم عسف القوى بالضعفاء

(١) نالت هذه القصيدة الجائزة الأولى فى مباراة شعرية أقامتها «إذاعة لندن» بين شعراء البلاد العربية ، وكان ذلك فى أثناء الحرب العالمية الثانية .

من بنى ملكه على الظلم والبغـ ــى ، بنى ما بناه فوق الهواء
قل لمن يدعون فضلا على النا س أرونا فضائل الفضلاء
إن منها أن لا تكونوا طغاة بل تكونوا للناس كالآباء
إن منها أن لا تكونوا قساة بل تكونوا فيهم من الرحماء
إن منها أن تجعلوا العلم نعمى لا سبيل البأساء والضراء
إن يكن فضل الإله أناسا فأولو الفضل معشر الحكماء
وأولو الفضل من تراهم موازِ ين البرايا ليسوا مع الأهواء
لا الطغاة البغاة أمثال (نيرو ن) من المحدثين والقدماء
غرهم أنهم جبابرة الأر ض ، وعاشوا على دم الأبرياء
لم ير الغاب قتل وحش أخاه ورأته عواصم العقلاء
رب عم الفساد والشر فابعث للورى مصلحا من الصلحاء

مملكة العجائب :

ضاق على (الضرغام) يوما غابه وانقطعت من رزقه أسبابه
فقال لـ (لفهد) أشر بما ترى فقال : إن الخير فى ترك الشرى
فمشيا فى الأرض حتى وجدا غابا حوى من الوحوش عددا
وبصرا بـ (القرد) وهو يحكم يومىء باللحظ ولا يكلم
منتفخ كالليث وهو (قرد) منفرد بالحكم مستبد
فهو هنـاك حاكم بأمره الغاب رهن خيره وشره
له بطانة بها (الحمـار) مدخـر للرأى مستشار
و (الكلب) فيها السيد الجليل و (الليث) فيها الخادم الذليل
و (البغل) فيها الشاعر المقدم و (قنفذ) الحجر الكمى المعلم
و (الببغاوات) لحفظ السر و (البوم) للبشرى بكل خير
و (الضفدع) الصداح والمغنى و (الذئب) قائم بأمر الأمن
و (الجرذ) القائم بالإصلاح و (الهر) طاهى اللحم فى الأفراح
و (الدب) للزمر وقرع الطبل و (الفيل) للألعاب فوق الحبل

* * *

رأى (المزبر) ما رأى فزأرا وقال للفهد أحق ما نرى ؟
فقال يامولاى حق صدق جميع ما يفعل هذا الخلق
ليس الذى ترى من الغرائب فنحن مملكة العجائب

بيعة ثعلب :

قيل قديما : إن ذئبا عاويا قضى ثلاثا ، وثلاثا طاويا(١)
فهام فى جوف الظلام وسرى ملتمسا عن النعاج خبرا
ولم يزل يدأب فى طلابه وليس غير الجوع فى إهابه(٢)
حتى إذا جد به وبرحا أبصر قرنين لكبش ذبحا
ففكر (الأطلس) فى أمرهما وقال عل كل خير فيهما(٣)
إن فاتنى الكبش فتلك شارته وهذه فى سربه أمارته
ووضع القرنين فوق رأسه لغاية بيتها فى نفسه
وراح آكل الخراف يمشى يدلف فى الغاب بقرنى كبش
حتى رأى سرب النعاج هائجا لغيبة الكبش العزيز مائجا
فقال سمعا يا بنات جنسى صاحبكم مات غداة الأمس
وقال لى أنت الأمير بعدى وأنت فى الضأن ولى عهدى
قالت له النعاج وهى تنظر سمتك سمت غامض محير
عينك يا أخاه ليست عينه وإن يكن قرنك هذا قرنه . .
قال لها إن لا أكنه كله فقد غدوت بالقرون جله
وكان فى سرب النعاج (ثعلب) يحسب منها ، وهو منها أجنب
فيما مضى جرحه بظفره هذا الذى يمشى بقرنى غيره .

---

(١) المراد بالطاوى هنا الجائع .
(٢) الأهاب : الجلد .
(٣) المراد بالأطلس هنا الذئب .

فمذ رأى (أبو الحصين) صاحبه تذكرت جنوبه مخالبه(١)
ونظر (الذئب) إليـــه نظرا كأنما أودع فيـــه الشررا
ففهم (الثعلـب) ما وراءه وكاد يلـفى ناسيا دهاءه
كاد أبو الدهاء ينسى ما الدها وهو الذى لو شاء جاء بالسهى
ثم استقـرت نفســه ولم يزل (أبو الحصين) وهو مبدع الحيل
وصـــاح فى النعـاج يانعاج علام هذا الخلف والهيـاج ؟ .
هـذا ولى عهدكم فبـايعوا مدوا له أيديكم وسارعوا
وقام يجرى نحوه مقبلا أنيـابه ، مكبراً مهللا
يحتضن (الذئب) احتضان الوامق ويلثم القرنين لثم العاشق .. (٢)
فبايعت من بعـده النعـاج وصار عرشها له والتاج
وانفتل (الثعلب) من جواره ينظر للحالة من وجاره (٣)
يلمحه حين استعـار النهم وخلعه القرنين تحت الظلم
وكلما رآه يفرى الغنما كبر لله على أن سلما
ماضره أن قال قولا فكذب بحسبه نجاته من العطب ..
وهكذا يعيش كل (ثعلب) منخلع القلب ، كثير الكذب
إن جاء أو راح فعبد غـيره مستسـلم لنهيـه وأمره
وقال قوم ليته كان هلك لبئس ما اختار ، وبئس ماسلك
يحيا حيـاة العاجز الضعيف ومن له بميتة الشريف ؟ .

---

(١) أبو الحصين : الثعلب .
(٢) الوامق : المحب.
(٣) الوجار : الجحر .

مدارس الشعر المعاصر

إن الشعر المصرى الحديث مدين للبارودى ومدرسته بالشىء الكثير ، وكما يقول بعض الأدباء كان البارودى باعث الشعر العربى الحديث وإن كان يرجع إلى عصور الشعر الذهبية فقد كان الماضى عزيزا على نفسه ، فهو يعيش فى عالم الشعراء الأقدمين، تؤنسه أطيافه ، وتلذ له نفحات العبقرية فيه .. وقد ظل يدرسه ، وينتخب منه ما يلائم ذوقه ، ويحفظ كثيرا من روائعه ..

ولعل البارودى كان محقا فى عمله هذا ، مصيبا فى رجوعه إلى الماضى . . فقد كان الشعر إذ ذاك صورة مؤلمة للتكلف ولعبا بالألفاظ ، وإغراقا فى التزويق ، وخنقا للعاطفة الصحيحة .. فاعاد إليه كثيرا من رونقه وبهائه ، وأفاض عليه من روحه الوثابة ، وطموحه إلى المجد ، ونضاله فى ميدان الحرب ظلال ندية ، وأكسبه إشراقا وصفاء وخصبا .

وجاء شوقى وحافظ ، وكانا معجبين بالبارودى وطريقته، ناسجين على منواله . ومن حسن حظ الشعر العربى أن تتاح له طبقة مثقفة من النقاد وقفت تسدد خطى الشعراء وترسم لهم الطريق السوى ، وتصور لهم المثل العليا فى الشعر ، وتطلعهم على عوالم غير عالم الشعر العربى القديم الموفق الخالد المعبر عن مشاعره الانسانية وأحاسيسها ، المصور لادق نزعات النفس ، المنبعث من أغوار العاطفة الصادقة والوجدان الرقيق .

وعلى الرغم من أن صرخات النقاد لم يسمع صداها فى شعر هذين الشاعرين الكبيرين إلا قليلا فإنها نبهت الأذهان إلى ينابيع ثرة ، وآفاق جديدة من الشعر الرفيع ، وأمدت الطبقة الناهضة من شعراء الشباب بالقوة على النهوض بالشعر العربى الحديث ، وأفهمتهم أن ليس من الحكمة فى شىء الالتجاء إلى نصوص قديمة نجعلها مثلنا العليا فى الشعر .. فعالمنا اليوم غير عالم الأمس . وليس هناك أكثر تغيرا وأعظم تلونا من عواطف الإنسان ومشاعره .

والبارودي وشوقى وحافظ ومن شايعهم يعدون دعائم المدرسة الكلاسيكية فى الشعر المصرى المعاصر ، ومن أعلام هذه المدرسة الشعرية المتميزة . أحمد محرم وعلى الجارم وأحمد الزين ومحمود غنيم ومحمد عبد الغنى حسن ومحمد الأسمر وعلى الجندى وعزيز أباظة ومحمد مصطفى الماحي وحسن جاد وافيف من الشعراء .

ولقد انبعثت الشعوب العربية بعد الحرب العالمية الأولى تطالب بحرياتها ، وتناهض الاستعمار ، وتنازله فى كل مجـال ، فازدهر الشعر السياسى والشعر الوطنى الصادر عن نزعات وطنية ، والشعر الاجتماعى الذى يتحدث عن المجتمع وحياته ومشكلاته .

ولم تستفق الشعوب العربية غير قليل حتى أدركتها الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ، هذه الحرب التى كانت ذات أحداث ضخام فى تاريخ العالم عامة والشعوب العربية خاصة ، وكما يقول بعض الأدباء كانت هذه الحرب الطاحنة عصيبة علينا وعلى العالم أجمع ، فقد نجم من محنها وآفاتها وقسوة بطشها جيـل مضطرب فى ميدان الفكر ، مزعزع الرأى فى الأخلاق ، ضعيف العقيدة ، وبجانبه جيل زادته الحوادث حبا للانسانية ، وتفاؤلا بانتصار الخير ، وإيمانا بالمثل العليا ، فكانت من الفريق الأول جماعة طفقت تنشد المراثى للعالم ، وترتل انغام الحزن ، ونشأ عندها مركب نقص فحواه أن العالم فاسد من أساسه وأن الواقع مرير لا يمكن إصلاحه . . . وكانت من الفريق الثانى جماعة تقدمت إلى ينبوع النور ، وملأها الايمان بالقوة وزادها التفاؤل حيوية وإشراقا ، فمضت إلى ذلك الهيكل المحطم المسمى بالواقع تحاول إصلاحه ، وتجديد ما بلى منه . وخرج الشعر العربى لأول مرة فى تاريخه الطويل ينشق عبير الحرية ، ويحطم أغلال الوحدة ، وينطلق على مسرح الحياة ليصور آلامها ومآسيها ، وليعبر عن مشاعر الجموع المتلهفة إلى حياة سعيدة ، ومجتمع تظلله الحرية والعدل . فصار لدينا (الشعر الواقعى) بعيدا عن تهاويل الخياليين ، وأحلام المنزوين فى الأبراج العاجية .

وكما أن بعض الشعراء تقبلوا الواقع ونهلوا من ينبوعه فكذلك هرب بعضهم من الرومانتيكيين أصحاب الأمزجة الشفافة والمشاعر المرهفة ، ولاذوا بكهوف الخيال ! وعصفت بهم العاطفة المشبوبة فانصرفوا عن عالمنا الواقعى إلى عـالم

الطبيعة .. ورأينا هناك فى أودية الخيال جماعتين من الشعراء تكونان « المدرسة الرومانتيكية»: جماعة ظل حب الانسانية ملتهبا فى جوانحها فأمدها بروحانية رائعة جعلتها تغنى بأنغام عذبه تهز أقطار القلب البشرى وتملؤه سعادة وغبطة وأملا ، وترفعه إلى السمو .. وجماعة أخرى ملأت الأرض عويلا وامتلأت نفسها بالسخط ، وانقلبت الحياة فى نظرها إلى مهزلة أو مأساة .

وبإزاء المدرسة الواقعية والمدرسة الرومانتيكية فى الشعر العربى الحديث رأينا مدرسة جديدة مضطربة الخطى ، زائغة الهدف ، خائرة القوى تحاول أن تبرز إلى الوجود ، وتأخذ مكانها بين المدارس وهى «المدرسة الرمزية» ..

وأصحابها يتابعون خطى « فرلـين » ، و « رامبو » ، و « مالارميه » ، و « بول فاليرى » .

وخلال الحرب العالمية الثانية رأينا مدرسة السرياليين التى تطوف بأنغامها فى كل جو وخيال ، وهو أكثر المذاهب التى عرفها الفن وتاريخه جنوحا إلى الخيال . وبعد الحرب ذاعت مدرسة الوجوديين التى تحاول اليوم أن تطغى بتفكيرها على الشباب الجامعى ، ويدعو إلى مبادئها عبد الرحمن بدوى وأنيس منصور .

وقد كانت الحرب العالمية الثانية أفظع ماشهدته الإنسانية من حروب كان هدفها التدبير والتخريب ، وفى وصفها يقول على الجارم :

من سلب الأعين أن تهجعا ... وبز ذات الطوق أن تسجعا ؟
ومن رمى بالشوك فى مضجعى ... فبت مكلوم الحشا موجعا ؟
طاحت بأهل الغرب نار الوغى ... وهبت الريح بهم زعزعا
طـاف عليهم بالردى طائف ... فاخترم الأنفس لمـا سعى
فى البر فى البحر ومن فوقهم ... لم يترك الموت لهم موضعا
يجمعهم جبـارهم عنـوة ... وإنمـا للموت من جمعا
لم يكفه رمح ولا مرهف ... فاتخذ المنطاد والمدفعا
صواعق المنطاد لاتتقى ... وصولة الألغام لن تدفعا
أوقدها السفـاح فى سـاعة ... كادت لهـا الأفلاك أن تصدعا

وخب فيها راكبا رأسه للشر ما خب وما أوضعا
ياخالق الناس طغى شرهم فاهد الحيارى واكشف المهيعا
لم يشبهوا الإنسان فى خلة وأشبهوا الحيات والأسبعا
قد رفع الإحسان من بينهم وأوشك الإيمان أن يرفعا
لولا سنا هديك فى بعضهم لدكت الأرض بهم أجمعا

ويقول مؤلف هذا الكتاب : من قصيدة له بعنوان « نشيد النصر » بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الثانية :

رددى اللحن ياحياة وغنى سطعت فى الآفاق شمس السلام
غردى واهتفى بأجمل لحن هزم النور فيك جيش الظلام
غردى فالسلام لحن جميل كل من فيك ظامىء لنشيده
ما لهذا النصر العظيم مثيل نعم الناس بالمنى يوم عيده
غردى واملئى الوجود غناء وانعمى بالسلام طول الزمان
طالما ذقته أسى وشقاء ثم عادت أيامه بالأمانى
كرمى واذكرى الضحايا وحيى فتية جادوا بالحياة كراما
قد دعاهم للمجد أكرم وحى فمضوا لايخشون موتا زؤاما
عذب الموت عندهم والعذاب وعزيز أرواحهم والدماء
دافعوا عن حياتنا وأجابوا داعى الحق حين عز الفداء
انثروا الورد حول تلك القبور ثم طوفوا بها صباح مساء
هى وادى العلا وهالة نور وحمى فيه ينزل الشهداء
اذكروهم وكرموا أبطالا هم لحريات الشعوب الحماة
وهبوا الحق قوة وجلالا حين هزت صرح السلام الطغاة
أطفئت بعد اليوم جذوة حرب أشعلت نار البغض بين الشعوب
واصطلى نار شرها كل شعب ما لمن لم يذنب وتلك الخطوب ؟
دمرت آثار الحضارة ظلما قتل العلم بانيا هداما
جددوها وحولوا الحرب سلما وقوى الذرة اجعلوها سلاما

وارفعوا مستوى المعيشة وابنوا ... واغرسوا حب السلم فى كل وادى
وأعيدوا حق الشعوب وشنوا ... حرب سلم على بغاة الفساد
حولوا الشر والخصام وئاما ... أنتم اليوم للسلام دعاة
واجعلوا الحق للجميع إماما ... يسعد الناس بينكم والحياة
ياحياة السلام غنى وعودى ... وابعثى البشر فى قلوب الثكالى
أشرقت فيك شمس عهد جديد ... فاجعليه يمنا لنا وجمالا



الشعر القصصي والمسرحي

الشعر القصصي الذي يتحدث عن الملاحم والأبطال لم يكن معروفا لدى الشعراء العرب في القديم ، ولعل من صوره الأولى في الشعر العربي(١) أرجوزة ابن المعتز الشاعر العباسي المشهور (٢٤٧ — ٢٩٦ هـ) في حياة ابن عمه الخليفة المعتضد العباسي وأعماله أيام خلافته (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ) ، وأرجوزة ابن عبد ربه الأديب الأندلسي المشهور المتوفى عام ٣٢٨ هـ في حياة الناصر الخليفة الأندلسي العظيم وأعماله وقد تولى الناصر الخلافة عام ٣٠٠ هـ ، وظل خليفة خمسين عاما أي بعد وفاة ابن عبد ربه باثنين وعشرين عاما ، وقد تكون قصيدة شوقي الهمزية المشهورة في تصوير الحوادث الجسام في تاريخ وادي النيل التي ألقاها في مؤتمر المستشرقين عام ١٨٩٣م من صور هذا الشعر القصصي .

---

(١) البعض يذهبون إلى أن الحروب التي كانت في الجاهلية ، والتي يسميها الناس أيام العرب كالفجار ، والبسوس ، وداحس والغبراء ، ونظائرها لابد أن تكون قد خلفت في الشعر العربي مثل ما خلفت حروب الإغريق في الالياذة والأوديسة ، ويذهب هؤلاء إلى أن بعض المطولات المأثورة كمعلقة زهير ومعلقة عنترة ، وكلتاهما تتصل في بعض نواحيها بالحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء ، يمكن أن يكون منهما شعر قصصي أو ما يشبهه ، ومثل ذلك يقولون في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وهما من آثار حروب بكر وتغلب . على أن هذه المطولات ونظائرها — إن وجدت — وإن تعرضت لهذه الحرب ، ذكر فيها ما أبلى بعض رجال القبائل وما أبدوا من ضروب البسالة لا يمكن أن تؤدي مفهوم الشعر القصصي بمعناه عند الأوروبين مهما أوجدنا من الروابط ، إذ أن هذه القصائد ليس لها سمة الشعر الذي يسرد الحوادث التاريخية ، ويذكر بالآراء والعقائد السائدة عصر تلك الحوادث ، وإنما هي في حقيقتها تمدح بشجاعة بعض الأفراد أو الجماعات الصغيرة .

وللأسف ، فإن شعراءنا المعاصرين لايولون الشعر القصصى جانبا من عنايتهم ولم ينظم منه أحد بعد أحمد محرم فى قصيدته « الإلياذة الإسلامية » شيئا .

أما الشعر التمثيلى فيطاديكون السابق إليه أحمد زكى أبو شادى فى أوبراته التمثيلية . وأحمد شوقى أمير الشعراء فى رواياته الشعرية ، وتكاد الرواية التمثيلية النثرية تستبد بكل شىء فى المسرح دون الرواية الشعرية ، مع أن الشعر أكثر صلاحية لهذا الموقف الدقيق ، يقول الأديب أحمد حمزة الشيخ :

إنه ليس التعبير الشعرى فى التمثيلية ، بالنسبة للتجارب التى تصورها ، إلا كالخمر بالنسبة للكرم ، ولذا نستطيع أن ننظر إلى استخدام الشعر فى التمثيليات كطريقة لتحقيق طبيعتها الأصلية التى تكمن وراء الفكرة والتعبير .

والتعبير الشعرى ، لايهىء للفكرة الشعرية مجالا فسيحا فحسب ، بل إنه يتيح لها ، إلى جانب ذلك ، أن تصل من نفوسنا إلى أغوار لايصل إليها النثر ، مهما كان حظه من البلاغة موفوراً .

ولعل السر الغامض الدقيق فى ذلك ، هو بعد مابين الشعر والمظهر الخارجى للحياة ، وقرب مابينه وبين الرغبات الروحية التى تعتمل بين جوانحنا ، والتى لانستطيع أن نجد لها صدى حقيقيا فى الحياة الواقعية .

ونحن نستطيع بعد ماتقدم ، أن نجمل الهدف الذى يتجه الشعر التمثيلى نحو تحقيقه .. ذلك الشعر الذى يسرى فى أجسادنا ، وأرواحنا ، وعقولنا ، فيوقظ منا الحواس ، والعواطف ، والقوى المفكرة ، ويربط بينها جميعاً فى انسجام عجيب . قوامه الشعور بالذات الذى يستحيل معه ذلك المصير الغامض ، الذى ينساق إليه الإنسان فى حياته ، إلى جو شامل غامر ، يستمد بريقه وبهاءه من ذواتنا ، بل من رغباتنا العميقة التى تستقر فى أغوار نفوسنا .

فالتمثيلية الشعرية ، إنما ترمى إلى الكشف لسامعيها ، عن مواطن السرور فى الحياة ، وعن القوى الكامنة فى النفوس البشرية ، التى تيسر لها الحياة الرغيدة الصافية ، بل إنها لتجعل تلك القوى حقيقة واقعة ، ماثلة أمام أبصارنا ، يتردد صداها فى آذاننا كلما خلونا إلى أنفسنا بين الحين والحين .. وجماع ذلك كله أن الشخصيات التى نشاهدها فوق المسرح ، وهى تفرغ حديثها فى أشعار طبيعية . لاصنعة فيها ولا اصطناع ، إنما هى شخصيات تحفل شتى جنباتها بالحياة العميقة

المفعمة بالقوة والصدق فى أوجهما ، ومن ثم فإننا لانعجب حين نراها تواجه المصير الذى يختاره لها الشاعر ، فى عزة وشمم وإباء نمجدها جميعا ، وتتمنى أن يكون لنا منها قدر يسيرحتى نحاكيها حين تتلاطم أمامنا أمواج الحياة ، حتى لنكاد نضل فى مساريها المتشابكة ، وشعابها الفسيحة المتفرقة .

وطه حسين لايؤمن بالمسرحية الشعرية فهو يقول فى مقدمة مسرحية «غروب الأندلس» للشاعر عزيز أباظة : شب التمثيل عن طوق الشعر ، وتمرد على أوزانه وقوافيه ، وآثر حرية النثر وطلاقته وإسماحه على قيود الشعر وتحرجه وصرامته من زمن غير قصير ، وأصبحت القصص الشعرية فى اللغات الأوربية نادرة أشد الندرة . . من حيث يرى عزيز أباظة أن الناس لا يملون المسرحية الشعرية أبدا ، وقد نجحت روايات الشعراء المسرحيين فى الغرب نجاحا كبيرا من أمثال «اليوت» وماكسويل اندرسون وكريستوفر فراى من مؤلفى المسرحيات الشعرية فى الغرب .

ويقول الشاعر عزيز أباظة : إن شوقى وهو أعظم شاعر عرفناه لقرون أول من أدخل المسرحية الشعرية فى الأدب العربى ، وعندما عالج هذا النوع من الفن كان يعالج شيئا غريبا عن تقاليد أدبنا العربى ، فاضطر أن يتجه إلى الأدب الغربى متأثرا بكتاب المسرح الفرنسيين وبشكسبير فى اختياره لقصص رواياته وفى معالجته لشخصياته . وعلى الرغم من أن شوقى قد تأثر بكتاب الغرب إلا أنه لم يخضع لهم خضوعا تاما ، فقد أبت عليه عبقريته وشخصيته القوية أن تجنح إلى النقل أو التقليد ، لقد كان شاعرا مطبوعا ذا تفهم أصيل للتقاليد الشعرية التى ورثها عن شعراء العرب . فهو لم يحاول مثلا أن يدخل فى الأدب العربى هذا النوع من الشعر المرسل التى كتبت به مسرحيات الغرب ، بل ظل محتفظـــا بخصائص النظم العربى التقليدية .

ونجاح مسرحيات شوقى على المسرح تؤكد حقيقة هامة .. إنها تؤكد أن اللغة العربية لها من المرونة والسعة مايجعلها قادرة على التعبير المسرحى فى سهولة ويسر ، ولقد لقى هذا اللون الجديد من الشعر المسرحى بعد شوقى أفولا سريعا وظل المسرح المصرى قرابة عشرين عاما يعيش على المسرحيات النثرية التى كتبت باللغتين الفصحى

والدارجة إلى أن عرضت رواية قيس و لبنى فى مسرح الأوبرا عام ١٩٤٣ .

وتشبه بعض الشيء مأساة شوقى المعروفة «مجنون ليلى» فكلتاهما تدور حول قصه حب لها مكانها المرموق فى أدبنا العربى : وإن كان مصير العاشقين فى «قيس ولبنى» يخالف مصير العاشقين فى مسرحية شوقى إلا أن حياة البادية وتقاليدها واحدة فى المسرحيتين.

وقيس ولبنى كما نعرفها منظومة شعرية للشاعر عزيز أباظة ، وليس عزيز أول من نظم قصة حبهما حوارا ، فمن المؤكد أنه كان لنا زميل شاعر من إقليم الشرقية اسمه على ما أذكر «عبد المقصود أبو راس» نظم قصة «قيس ولبنى» فى تمثيلية شعرية عام ١٩٣١ ولم تظهر حتى اليوم مسرحيته قيس ولبنى ، ولا أدرى عنه اليوم ولا عن مسرحيته شيئا .

ولعزيز أباظة : العباسة ، وشجرة الدر ، وقصة شهر زاد الخالدة التى اشترك فيها معه عبد الله البشير ، وأولى مسرحياته «قيس ولبنى» ظهرت بعد وفاة زوجته عام ١٩٤٢ بعام واحد .

وقد فصل طـــــه حسين رأيه فى التمثيلية الشعرية فى مقال نشره فى صحيفة الجمهورية(١) بعنوان «التمثيل بين الشعر والنثر» بسط فيه الخلاف بينه وبين الشاعر عزيز أباظة حول التمثيل وهل يصلح الشعر أم النثر لغة له ، ويقول طه إن ثورتنا بالانجليز فى أعقاب الحرب العالمية الأولى هى التى أذكت جذوة التمثيل فى مصر مافى ذلك شك .

وهى قد حولت شوقى من القصر إلى الشعب وأمعنت بحافظ فى الإقبال على الشعب يؤثره بخلاصة شعره من دون الأغنياء والموسرين، وهى قد اضطرت شوقى إلى أن يشارك فى الحياة الجديدة بلون جديد لفنه الشعرى العظيم . أكبرت رأيه فى نفسه وأكبرت رأيه فى أمته وقوة إيمانه بمواطنيه ، وسمت به إلى أن يذهب مذهب الشعراء الكبار فى الأمم الكبرى، فحاول أن يكون له تمثيل كتمثيل شكسبير وكتمثيل كورنى وراسين ، وكتمثيل فيكتور هوجو . فوضع قصصه التمثيلى المأثور .

---

(١) عدد ١٠-٤-١٩٥٤ .

ولكن شوقى كان صاحب غناء لا صاحب تمثيل، وكان مبتدئا فى هــذا الفن التمثيلى فلم يتح له من الاتقان إلا ما أتيح للمبتدئين النابهين، وكان تمثيله غناء، وقد غنى فيه المغنون بالفعل، وعاش جيل من معاصريه مستمتعا بغناء عبد الوهـاب ومنيرة المهدية لبيته المشهور: أنا أنطونيو وأنطونيو أنا.

وأظهر ما يلاحظ فى تمثيل شوقى أنه قصد بفنه إلى موضوعات مصرية يرفع بها من شأن وطنه ويميط بها عنه الأذى كما فعل فى كليوباترة وفى قمبيز، وقصد به إلى موضوعات عربية يصور بها مجدا عربيا مؤثلا ثابت الأسس ينعم الناس فى ظله بالسلم والحب والغناء جميعا، آمنين فى استمتاعهم بهذا كله، لا يصرفهم عنه خوف أو قلق فأنشأ قصة المجنون، وكان الناس يطربون لغناء شوقى فى قصصه ذاك أكثر مما يعجبون أو يخلبون بتمثيله. وربما خضع شوقى لتأثير بعض الشعراء الأوربيين الذين كان يحاكيهم خضوعا ظاهرا نلمسه بأيدينا إذا حاولنا أن نحلل قصصه التمثيلى ذاك. والشيء المحقق هو أن شوقى أحدث حدثا أدبيا سيحفظه التاريخ حين طوع الشعر العربى للتمثيل. ولكن التاريخ سيحفظ هذا الحدث وحده دون أن يحفظ لشوقى فنا تمثيليا ممتازا. وسيظل شوقى دائما شاعر غناء لا شاعر تمثيل. وذهب شاعرنا عزيز أباظه مذهب شوقى نفسه، لم ينحرف عنه قليلا أو كثيرا إلا بمقدار مايكون بين شاعرين من اختلاف المزاج وافتراق الطبيعة وتفاوت الأهواء. فشاعرنا عزيز أباظه مغن ســـواء أراد ذلك أو لم يرده، وحظه من إتقان التمثيل الخالص محدود جدا. يؤمن بذلك من يقرأ شعره ومن يشهد قصصه فى ملاعب التمثيل، فقراؤه ونظارته يطربون لجزالة لفظه ودقة معانيه ورقة أسلوبه وحسن تأتيه لما يريد، أكثر مما يطربون لما يحسن من تدبير الحركة، ولما يتقن من إجراء الحوار. وشعر عزيز أباظه كشعر شوقى يشغلنا بجماله الخالص عن أشخاصه فنحن حين نقرأ أو نشهد قصة العباسة لا نحفل بالعباسة نفسها. ولا بالرشيد ولا بجعفر، وإنما نحفل بالشعر الذى يجريه الشاعر على ألسنتهم، وقل مثل ذلك بالقياس إلى قصصه الأخرى، ومنها غروب الأندلس. فن غنائى رائع مافى ذلك شك، وتمثيل ساذج يسير مافى ذلك شك أيضا. ولم لا نقول الحق ونقرر فى صراحة أن التمثيل عند شاعرينا الكبيرين شوقى وعزيز وسيلة إلى الغناء. على أنه عند الشعراء المجيدين من الأوروبيين الممتازين غاية يتخذ الغناء أحيانا وسيلة إليه. فليس شكسبير ولا

راسين مغنيين فى تمثيلهما وإنما هما ممثلان أولا يغنيان فى مواطن الغناء ، على حين يغنى شوقى وعزيز دائما ولا يمثلان إلا قليلا .

ولا على الشاعرين العظيمين المصريين أن يفوتهما التمثيل فالتمثيل آخر الأمر أقل خطرا من الغناء وأهون منه شأنا قد استأثر به النثر فى هذه الأيام ولم يستطع هذا النثر أن يغلب على الغناء ولا أن يشارك فيه مشاركة ذات بال .

والدكتور أبو شادى يرى أنه سبق شوقى بأوبراته ، وإن كان لم يكتب لها من الشهرة والتمثيل ما كتب لمسرحيات شوقى .

قصائد للمؤلف

يوم الميلاد :

يوم ميلادي حمده صيغ لي اسما   وارتدت في سناه روحي جسما
ورأيت الوجود طفلا صغيرا   يستطيب الدنيا رضاعا ونوما
ويحب الحياة مهدا وثيرا   وأبا صاغه الحنان وأما
ونشيدا وأغنيات عذابا   تملأ الغرفة الصغيرة نغما
ومناغاة إخوتي لي في المهد   وقبلات تشبع المهد لثما
والسماء الزرقاء تسحر عيني   فأحصي النجوم نجما فنجما
وأرى كل ما أشاهد حلماً   وأرى صادق الحقيقة وهما
ما أنا ؟ لست غير طيف خيال   من قديم يحوم في الأفق حوما
شاهد الكون وهو سر خفي   ورأى الأرض والكواكب سدما
ورأى مبدع الحياة يصوغ الكـ   ـون صوغ الحكيم يوما فيوما
ويسوي الإنسان خلقا سويا   وخلايا تصاغ لحما وعظما
ثم نادى فلبت الأرض والناس   ومن في السماء طوعا ورغما
خشعوا ساجدين حمدا وذاقوا   لنعيم الحياة والخلق طعما
هي دنيا الفناء أمضت حياة   وشقاء الحياة أصبح نعمى
ما أنا؟ نور سار في حجب الغيـ   ـب وفوق الأجيال والدهر قدما
وحياة تنقلت بين أجداد   مضوا ثم خلفوني رسما
أورثوني لوني وشكلي وخلقي   وأعدوا سهمي لأبعد مرمى
ماسماتي التي عرفت سماتي   إنني قد ورثت قوما وقوما
وجدودا مضوا وآباء صدق   رحلوا قبلي ثم خالا وعما
أنا أنبي عما مضى من حياة   لجدودي ولست أستطيع كتما
أنا دنيا من الحياة تهادت   ووراثات بن كيف وكما

اصطفانى الماضون خلقا وخلقا وتولى الميلاد نظمى نظما
ما أنا؟ صورة لجد وجد وكتاب عنهم ينبىء علما
أنا مرآة صورت كل ماطاف بوهم الحياة وهما وحلما
أنا أغنية تلحنها البيئة رمزا على الحياة ووسما
أنا قيثارة القصور ولحن ربما بالحياة زادك فهما
ونشيد فم الخلود يغنيه أمانا على الزمان وسلما
بين نجد وفى العراق ومصر عاش قومى يأبون ذلا وضيما
ملكوا الملك شيدوا العرش ساسوا الناس بالعدل والشجاعة حزما
أنصت التاريخ القديم إليهم ولهم طالما أشار وأومى
فزعت بغداد وأتراك بغداد لقوم لم يقبلوا قط ظلما
ثم أضحى المجد التليد حطاما والجلال القديم أصبح وهما
وعيون التاريخ تهزأ بالدهر الوفى الذى تحول خصما
بين أرض الريف الجميلة نشئت وشممت الحياة صحوا وغيما
وحملت الأعباء طفلا صغيرا وحسمت الأمور بالحزم حسما
وبنيت المستقبل الضخم صرحا ودعمت البناء وحدى دعما
أنا روح تسير للعالم الأعـ لى وللمنهل المقدس تظما
سرت بين الأشجان أحمل قيثا را من الشعر يشحذ الصدر عزما
أملأ النفس همة ورجاء واصطبارا على الخطوب وحلما
أصل الحاضر الطريف بماض لم يشيد أجل منه وأسمى
لا أبالى فى المجد حمدا وذما وعتابا ولست أسمع لوما
أنا إنسان يبصر النور والحق وغيرى تراه فى النور أعمى
أنا قلب مصور من سلام لم أرش فى الخفاء للناس سهما
أنا أشدو بالخير لحنا جميلا لم أدنس ماضى بالشر لؤما
أنا طهرت من نقائص شتى لا أذوق الحياة عابا وإثما
أنا بين الرجال أنف عزيز لست أرضى لغير ربى حكما

يالذكرى(ثانى وعشرين يوليو) أنت كالروح لى وأقرب رحما
و(الخميس) المضىء بالبشر أضحى ذكريات عنها حنينى نما
هى راح الحياة، والواحة الخضراء طابت جنى وظلا وكرما
يالذكرى الميلاد عودى وعودى فالرجاء البعيد بالوصل هما
املائى العيش بهجة وسرورا طالما ذقته شجونا وهما
أنطق الدهر، أسمعى الدهر لحنى والليالى فطالما كن صما
أنا أحيانا على الرجاء وأسعى لأنال المنى كفاحا ورغما
أنا ما أبتغى يجل عن الوصف وجل ما أرتجى أن يسمى
أنا أحيي التاريخ مجدا وجاها وأعيد الأيام يوما فيوما

ذكريات الماضى :

ذكريات الأمس الكريمة عودى أنت لحن المنى وطيف الخلود
اذكرى لى عهد الباب، وقصى قصة النور فى ظلامى الشديد
وانظمى لى الماضى حديثا وسحرا لحديث الماضى الجميل نشيدى
انقضى الحب والهوى والأمانى ومضى العيش من زمانى البعيد
أنا اشقى بالذكريات وأحيا بين أمسى الماضى ويومى العتيد
الشباب النضير أمسى ذبولا وتمنينا عوده من جديد
أين منى أيامه ولياليه ودنيا عهد الشباب الحميد
قد مضى كالحلم اللذيذ لذيذا فبكيناه والدموع شهودى
هو أنشودة الحياة تغنى هو لحن يطيب بالترديد
حطم الناى واطرح العود قد كا ن الشباب النضير نائى وعودى

الشهداء :

بطولتهم لكل فتى نشيد وذكر فدائهم ابدا جديد
ومجد جهادهم فى الدهر باق يضن به على الدهر الخلود
شباب للعلا ثاروا غضابا تناديهم وقد ثاروا الجدود :

مشيئة مصر أن تحيوا كرما   فذودوا عن حقوق الشرق ذودوا
حياة العز أو موت زؤام   ولا يجدى التردد والقعود
دعاهم للعـــلا داع فهبـوا   جنود فى نضالهم أسود
فما يلهيهم فى الروع وعــد   ولا يثنى عزائمهم وعيــد
أباة والأبى يعيش حـــرا   كأن مضاءه القدر العتيد
يثور على الحديد فلا حديد   ويزأر فى القيود فــلا قيود
وينهض للعظائم فى جــلال   ويفعـل ما يريد كما يريد
لمصر حياتهم كانت فــداء   وشعب تلك غايته يسود
هم الشهداء قد ضحوا كراما   فكل بين واديه شهيد
ويوم فدائهم للمجد ذكرى   ويوم جهادهم للشرق عيـد
هم الكرماء قد بروا وجادوا   ويحيى ذكرهم بر وجـــود
قبورهم تفوح شذى وعطرا   وتحفوها الأزاهر والورود
وفى البيداء تخشع فى جلال   ويخشع من جلالتهـا الوجود
كسى الشهداء تلك البيدا مجدا   تشيد بذكره أرض وبيد
وليس لمـا بنى الشهداء مثل   وليس لتضحياتهم نديد
ويهتف باسمهم شعب أبى   تكاد الأرض إذ غضبوا تميد
عزيز أمسه المـاضى كريم   طريف مجده الباقى تليـد
صحائف أمسه ملئت جلالا   وفى العليـا ماضيه فريد
أراد له الشباب عـلا فضحوا   وتضحية الشباب بهـا يسود
ولم يرهبهمو بطش وعسف   ولا نار العدو ولا الحديد
وكانوا فى الكفاح هم الضحايا   وأرواح الشباب هى الوقود
لمصر، لمجدها، للشعب: ساروا   وفى فمهم أمانيها نشيد
لوحدتها، وللآمال، ثاروا   وآفاق الحمى كالليل سود
وليس لأمة فى الناس شأن   إذا رقدت وطال بها الوقود
وليس لدولة فى المجد حظ   إذا ذلت وحل بهـا الجمود
أبر الناس بالوطن المفـدى   شباب كل أمرهم حميـد

حماة النيل والوادى، غضاب ... لعزته أباة الضيم صيد
قضى الشهداء منا والضحايا ... وبين صدورهم أمل بعيد
أرادوا مجد مصر فكان أمر ... قضاه الله والقدر العتيد
وللشهداء عند الله فضل ... وتعذب فى ثنائهم القصيد
على الأبرار إخوتنا سلام ... وحسبهم الشهادة والخلود

الروح والجسد :

يا نفس صبرا فليس الحر بالشاكى ... والدهر فى الغد بالآمال يلقاك
ما لذة الجسم إلا بنت ساعتها ... والروح تهزأ منها هزء ضحاك
والجسم للروح غل لا يفارقه ... والروح فى الجسم نور بين أحلاك
والروح طيف لو ان الجسم أطلقه ... لاشتف كل الورى ما بين أفلاك
والخلد للروح حتم دائما أبدا ... والجسم رهن الردى وصنو إهلاك
مباهج العيش آلام مزخرفة ... كالزهر فى مسه تجريح أشواك
يغرنا الدهر حتى نطمئن ... فإن أمنا سقطنا صيد أشراك
نرجو الحياة وكم فى العيش من خطأ ... وما الأمانى سوى منصوب أشباك
فيا حياتى حياة النفس حسبك ذا ... إليك عنى فإنى عفت مرآك
ياويح إلف لألف لا يوافقه ... هذا يحس وهذا خصم إدراك
الجسم عنصره فى الأرض يجذبه ... والروح عنصرها فوق العلا ذاك
فر فهى عنك ياروحى ولا تهى ... فالقبر للجسم والفردوس مأواك

عظمة الحياة :

أنا شىء لست فى الكون شيئا ... لست ميتا إنما لست حيا
ليس لى من أمل أرتجيه ... بيد أنى أملى فى الثريا
لا أرى لى فى الحياة نصيبا ... وأرانى بالحياة حريا
لست أحظى بالسعادة إلا ... فى منامى كالخيال خفيا
لى روح بين أغلال جسم ... روح حر تنشد المجد ريا

أملى نور ويأسى ظلام كيف أنجو من نقيضين فيا
ليس لى بين الورى من ولى رب هب لى من لدنك وليا
كلنا نرجو السعادة لكن لا أرى فى الناس إلا شقيا
كم رجاء يتراءى قريبـــا ولدى التحقيق يبدو قصيا
لا أرى العيش إلا عظيما وإذا عز فيا موت هيا

اذكرينى :

اذكرينى ، أذكرينى كل صبح ومساء
وافرحى إن هوانا خالد فوق السماء
وسنحيا ونذوق الكاس ملأى بالصفاء
وقريب يومنا الباسم فى ظل الهناء
اذكرينى ، اذكرينى كل صبح ومساء
أنا ظمآن فهل لى عند روحى كأس ماء
طالما قلت متى يسمح دهرى باللقاء ؟
وأناجيك أرى نجواك فى الليل عزائى
وأناديك وحيدا لاتجيبين ندائى
سائلى الليل لماذا كان يبكى لبكائى ؟
اذكرينى ، واذكرى نشوة آمالى الوضاء
أملى أنت ، وفيه سار فى الدهر غنائى
كوكب من بسمة السحر وشمس من بهاء
أنت أحلامى الجميلات وفى الليل ضيائى
ردد السكون معى اليوم أناشيد الرجاء
ومزجت اسمك فى صحو والأمانى بدمائى
اذكرينى ، واذكرينى كل صبح ومساء
بحياتى ياحياتى باركى عهد الوفاء

هى الذكريات :

ما بال دمعك يجرى وهو يستبق كالماء من نبعه يعلو وينبثق

وما لقلبك خفاقا كأن به يدا تحركه قسرا فينطلق
وما لأنفاسك الحرى تصعدها وما يلامسها قد كان يحترق
أهاج نفسى آلام تساورها كأنها لهدوء النفس تسترق
أجل هى الذكريات استنفدت مرحى والذكريات شذى نمامها عبق
كنا وكانت ليالى الدهر صافية والشمل ملتئم والحظ متفق
كنا نخالس دنيـــانا مباهجها ولا نلام فكتمان الهوى خلق
تقول ما الحب لاأدرى ويحزننى أن لاتطول حياتينا ونفترق
بثثتها ذات نفسى وهى مصغية وعبرتى كعباراتى لها نسق
إذا تناولت فى كفى راحتهـا أرى السعادة فى كفى تصطفق
كأنما يدها يد العناية فى يدى منها غيوث الخير تندفق
سحر مفاتن عينيها إذا نظرت والسحر ليس الرقى لكنه الحدق
فى عينها حور يبدو لناظرها لم ينج من أسره روح ولا رمق
فى سخطها ورضاها منظر حسن ولفظها الدر يجرى وهو متسق
وللحياء أظلت وجهها يدها يعيرها لونه من وجهه الفلق

إلى الشباب المصرى :

وقوفك فى منأى من الحرب لايجدى لجد فمـــا أحرى شبابك بالجد
رويدك لا تحلم وغـــيرك عابس ينوء بأعباء الضغينة والحقد
يصول على أرض الحمى بشبابه وتهتف فى الغى المدمر بالرشد
أترعى ولايرعى وتوفى ولايفى بما كان من عهد وما كان من ود
وترمى ولا ترمى وتمضى مسالما كأنك فى ورد الفخار أخو زهد
حنانيك مافل الحديد بغيره ولا ناء حر بالمكارم والمجد
أفديك من شعب يسير مظفراً لأكرم آيات البطولة والحمد
شباب الحمى ذودوا كراما عن الحمى ولا تهنوا فالذل أجدر بالعبد
أصيخوا لداعى المجد إما دعاكم ولبوا نداء النيل فى صولة الأسد
وضحوا كما ضحى الأوائل قبلكم وأحيوا أحاديث الأبوة والجد

فلا عاش من لا يفتديه بروحه ومن لا يفى فى فزعة الخطب بالعهد
شباب الحمى : مجد الحمى لا تذله يد الأسد الضارى أو الطامع الوغد
أقيموا على الأحداث صفا موحدا يرد ظباة الظالمين إلى الغمد
يوفى بميثاق العلا لا يخونه ويمضى إلى الهيجاء كالضيغم الورد
وئاما بنى قومى فان اختلافنا خسار، وإخلاصا على النحس والسعد
فان حياة الطامحين إلى العلا وئام وحب الفرد فى الله للفرد

قصائد لم تنشر من شعر أبي شادي

ميلاد الحرية :

قيلت في المولد النبوي الشريف يوم الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٣٧٤ هـ ، الموافق السابع من نوفمبر سنة ١٩٥٤ م .

ماجاء قبلك للتخليد إنسان ... عنا له الظلم والظلام أو دانوا
أو دونت صحف التاريخ معجزة ... كمعجزاتك فيها العقل برهان
ألم تكن أنت في صحراء موحشة ... الواحة السمحة المثلى لمن عانوا ؟
ألم تكن أنت في دهماء قاسية ... النجم أضواؤه هدى وعرفان ؟
ألم تكن أنت محيي الناس ، مكرمهم ... من بعدما أغرقوا في الموت أو هانوا ؟
ألم تكن أنت للدنيا معلمها ... حين الخرافة أديان وسلطان ؟
ألم تكن أنت للأسرى محررهم ... والأسر والرق مثل الموت ألوان ؟
ألم تكن أنت للانسان حجته ... على الفناء إذا الإنسان إنسان ؟
يا أيها البطل الأمي عش أبدا ... ذكراك عطر وأضواء وألحان
إن الزمان الذي نورت طلعته ... من نوره سطعت للخلد أزمان
لولا تعاليمك اللاتي قد ازدهرت ... مدى العصور لعم الأرض طوفان
والجهل أخطر من إعصار كارثة ... فما سواه لرزء الناس شيطان !
ميلادك الحر ميلاد يفوح شذى ... كما يفوح بشعر الحب بستان
قالوا : أتنظم شعراً في محبته ... فالشعر للصادق الإحساس ميزان ؟
وأي شعر لمثلي كيفما عظمت ... رموزه في الذي نجواه قرآن
من حرر العقل حين الناس أكثرهم ... دون البهائم والأديان أوثان
من ثار في الناس لا تخشى عقيدته ... إلا الإله فلم يردعه طغيان

من علم الناس معنى السلم فى زمن ... كان الأعز به بطش وعدوان
من لقن الحكمة الشورى بسيرته ... ووزع الحب ، فالأعداء إخوان
من رام كل الورى أنصار دعوته ... على المدى ، واصطفاهم أينما كانوا
من راض للناس أحلاما لعزتهم ... وبعض إلهامه السامى « السبرمان »
ماذا أقول وشعرى دون ماملكت ... نهاى حين جميع الكون آذان ؟
حسبى قليلى ، فنذرى فى جواهره ... من روح من حبه كنز وديوان

أبطال غزة[1] :

نظمت لمناسبة الهجوم الإسرائيلى الغادر على غزة فى مساء الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٩٥٥ :

أبطال(غزة)[2] بعد(قبية)[3]هللوا ... إن المخازى الموبقات فخاركم
لاتنكروها ؟ ما الذى يبقى إذا ... أنكرتموها ، وهى بعد شعاركم؟
ذهب(السموأل)والمروءةوالندى ... وعبدتمو (صهيون) وهو نضاركم
وعققتمو(موسى) كسابق عهدكم ... فإذا الدنايا دينكم وعقاركم
عار على وطنى الشكاة ، وحقه ... تأديبكم إذ تستباح دياركم
يا غاصبين تمرغوا فى رجسهم ... أكذا يتيه برجسكم «أطهاركم» ؟
أنا لا ألومكمو كلومى أمتى ... بل كل(يعرب)حين جن حماركم[4]
رقص المدافع النخائر فانبرت ... نيرانها ، ومضى بها إعصاركم
وبنو العروبة بين لهو صارخ ... أو جعجعات كلها أنصاركم
ولهم من الدخلاء ألف مهرج ... يتنافسون ، وبينهم أصهاركم
زعموا العروبةدينهم،واستمرأوا ... طعن الحماة ، لكى تعز شفاركم
مسكينة هذى العروبة ! ما درت ... ما عارها الباقى وما هو عاركم !

---

(١) من ديوان « إيزيس » المخطوط لأبى شادى .
(٢) وجه الشاعر هذا الخطاب الساخر إلى الصهيونيين المعتدين .
(٣) للشاعر قصيدة لاذعة عن مذبحة قبية .
(٤) يقصد (بن غوريون) وزير الحربية الاسرائيلى المشغوف بالاعتداء على العرب ، والمتشبع بمبادىء الطغيان .

رثاء الممثل العبقرى سليمان نجيب :

أخى (سليمان) هذى غربتى بلغت بى غربتين ، وزاد الموت إقصائى
وقد كنت أشجى لنأيى عنك فى أسفى يا ليتنى دمت ذاك الآسف النائى
مالى سبيل إلى لقيـــا فأنشدها فعالم الغيب محفوف بظلماء
إلا على ذكريات حية أبدا من الطفولة لم يبرحن تلقائى
عشنا سوياً أليفى نعمة وهوى نحو الشذى بين أزهار وأضواء
لم يبلغ الطير ما نلناه من مرح ومن طلاقة أحلام وأهواء
ولا ابتسام شواطى (النيل) ما بلغت عيوننا من صفاء دون أقذاء
ولا خرير السواقى فى تعثرها تعثرى ضاحكا فى الطين والمـــاء
ولا اختصام الورى والحرب(١) صاخبة مثل اختصام لنا من غير شحناء
ولا الأمانى للدنيا بأجمعها ساوت أمانينا أو بعض إحصائى
تلك السنون التى مرت على عجل ذخيرة لم تفت لحظى وإصغائى
أحسها وأناجيها وأعرفها كأنما هى من ذاتى وأعضائى
ياخادم المسرح العالى بسيرته هذى رواياتك العصماء للرائى
قد خلدت فى المرائى ، فهى نابضة بين الورى ، والمرائى مثل أحياء
من عاصروك استقلوا فى مشاعرهم عن عرضها ، فهى لن تنسى لنساء
ومن يجيئون حيث الضاد مكرمة سيكرمونك إكرام الألبـــاء
فن كفنك لن يفنى وإن بعدت به السنون كبعد للأحباء
لم ندر أيهما أولى بتكرمة تأليفك الحر فى نقد وإيصاء
أم عبقرية تمثيل خصصت به حتى تعدد فى ألوان إيحاء
يا مصلحاً كل ما أهدى لنا مثل للمصلحين ودستور الأطباء

---

(١) الحرب الروسية اليابانية فى مطلع القرن العشرين .

تخذت بعد أبيك(١) الشهم سيرته | شعارك الحى فى تنوير دهماء
وفى التسامى بمن هانوا ومن قبعوا | فى اللهو حتى غدوا أدنى الأذلاء
إنا افتقدناك فى وقت أحق به | من كان مثلك يحمى كل علياء
من كان دون شبيه فى مناقبه | حلو الفكاهة حتى للألداء
ويمزج الجد طى المزح تحسبه | يلهو ، وفيه أفانين لإغراء
نم فى ضريحك نوم الأنس فى سرد | من الضياء وفى ألوان أشذاء
واقبل دموعى رثائى فهو من مهج | شتى ، وإن كن أزهارى وأندائى(٢)

ذكرى نسيب عريضة(٣) :

نقلوا رفاتك للضريح الأفخم | يا رابضاً فى اللحد لم يتكلم
إن العرين هو العرين ، وإن يكن | فى حفرة ، أو إن يكن فى مأزم
إن نام صاحبه فليس بنائم | وإذا سلاه الناس لم يتظلم
لولا مدى سقمى وشدة نكبتى | لهرعت نحوك فى وفاء متيم
لم ينسك الناسون ، لكن قد نسوا | معنى الكرامة كالأسير المرغم
أين الهداة الشاعرون لينشدوا | أسمى الملاحم للرسول الأعظم ؟
الشاعر الفنان ، من أخلاقه | وفنونه وحى النبى الملهم
لبس الدثار الآدمى أمامنا | ونهاه من كون أغر ملثم
هز الرواسى شعره بزئيره | ولو آنه المهموس رق على الفم
وتجاوبت معه الشموس كأنه | ما فاتها يوماً ليهدى من عمى
تليت قصائده رثاء نبوغه | والخلد لا يرثى وإن يستلهم
إن كنت قد أهرقت قبل مدامعى | فلكى أبر بمهجتى وبمرقمى

---

(١) الزعيم الشاعر مصطفى نجيب . (٢) توفى سليمان نجيب فى يناير ١٩٥٥ .
(٣) قيلت لمناسبة نقل رفاته إلى ضريح جديد فى بروكلن فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ وقد كانت بين الشاعرين صلات ود قديمة ، واشترك صاحب هذه القصيدة فى حفلة تأبين الفقيد النابغة سنة ١٩٤٦ بنزل سانت جورج فى بروكلن .

لاكى أؤبن من طيوف حياته ... أبقى على الزمن الغشوم المبهم
المسعف الأحرار من آياته ... نبضت — وما زالت — بقدسى الدم
والفيلسوف رأى الوجود بنظرة ... نفاذة ، وبحكمة لم يهزم
والناظم المثل الرفيعة نفحة ... من روحه وجواهراً من منجم
والمبدع الألحان لم يسمع بها ... شاد ولا فى حلمه المستلهم
والثائر الهدام من تحطيمه ... غرس وإنشاء لنا لم يهدم
والمنشىء الأدب الرصين كأنه ... ســـور بهرن لملة لم تعلم
ذاق التخاذل والشقاء لرأيه ... ومضى ولم يجزع ولم يتندم
ألمثل هذا يحتفى بضريحه ... والكون بعض ضريحه المتوسم ؟
هو فكرة فيها عزاء للورى ... عزت كأحكام القضاء المبرم
حق لها التهليل ، حتى إن تكن ... فى ظلمة أو إن تكن فى مأتم !

خبريني :

ليست هذه القصيدة من خيال أبى شادى ، ومع هذا فكأنها من خياله لأن روحها تنسجم والروح الشائعة فى ديوانيه الانجليزيين الموسومين (أغانى العدم) و (أغانى السرور والحزن) اللذين صدرا فى طبعة خاصة عن دار أورنيتاليا للنشر فى نيويورك سنة ١٩٥٣ ، وإنما هى أصلا من نظم الشاعر المهجرى المطبوع عيسى خليل صباغ ، صاغها بالإنجليزية وعربها أبو شادى تعريبا أمينا ، وبين الشاعرين إعجاب متبادل ، فقال :

خبريني عن صدق حالك أنت ... خبريني عمن به تغرمين
ليس يجدى عتاب مثلى الغبين ... خبريني عن صدق حالك أنت !
أترى تجهليني ماسوف ألقى ... حينما الصحب فى سؤالى عنك
وأنا عاجز . وهيهات أحكى ؟ ... خبريني عن صدق حالك أنت !
خبريني ولو تمنيت وهما ... إن يكن بعض ذكرياتى ورائى
عل فى قلبك الصدى من غنائى : ... « خبريني عن صدق حالك أنت ! »
لى بكاء وإنما جف دمعى ... كل ليل أرنو أسى للسماء
غير أن النجوم عافت ندائى ... « خبريني عن صدق حالك أنت ! »

ياسلم !

ياسلم خير أن نراك مزعزعا ... من أن نرى للحرب سوقا بيننا
ياجاعل النيران جنـات لنـا ... ومطهر الإنسـان حتى آمنـا
لاتلقنا يأساً وصبراً ، ربمـا ... علمتنـا وصقلتنا نخلقتنـا
إن كنت ترجونا الفداء فكن لنا ... بعض الفدى ، فنرى السعادة والغنى
ياأنفحة الأرباب حين تجاوبوا ... والفن فابتدعوا سناك فهيمنا
إن تبق حارسنا رفعت نفوسنا ... وإلى الحضيض نزل إما فتنا
ولئن تعـادى الأشقـاء بغبننا ... فكن الملاذ ولا تسوغ غبننا
إن نحن ضعنا ضعت أنت وإن تصن ... آمالنا صـانتك كنزا يقتنى
ويجىء يوم للحيـاة مقدس ... فتكون معبود الحياة المعلنـا
لولاك كانت مثل أشباح الردى ... بجهنم ، لا مثل أطياف المنى
فأجب دعاء للبرية شامـلا ... من قد أساء لنا ومن قد أحسنا

ماذا تمنحين :

أجل ، وأجل ، لقد أغليت فنى ... بدنيا لم تلب ولم تسعنى
فمـالى والدمامة ، ليس خلق ... دميا ، لا وليس علو سنى
ترى والشباب دمى وروحى ... فما ولى الشباب الحلو عنى
فمـاذا تمنحين لجسـد مثلى ... إذا أنا قد منحتك كل فنى ؟
نعم ، وعواطـفى اللهفى كأنى ... خيالك ، لو جمالك ضاع منى ؟
نعم ، وأبر إيمـانى فانى ... تبيعك فى وفاء المطمئن ؟
نعم ، وصبابتى ومراح نفسى ... وعذب فكاهتى ورحيق دنى ؟
وحلماً لايحـدده خيـالى ... ونجوى كالصلاة بما أغنى ؟
يرفرف حول عطرك لى فؤاد ... ويبسم حول نورك نور ذهنى
وأبتدع السعـادة كابتداعى ... ملاحم فى سناك لكل أذن
وألوان العبادة لم ينلهـا ... إله قبل ، أو عرفت بكون
أكل غناك أنك دون سنى ... وكل حلاك أضغاث التمنى ؟!

هيئة الأمم(١):

من هموم الإنسان ثم أمانيه تألفت هيكلا لا ينام
يتوالى الإشعاع منه على الرغم من اليأس واحتشاد الظلام
كلمــا أدجن الظلام تلألأت كما شع فرقد مستهام
أنت أم الجميع لو يعقل الناس ولو يدركون ويل الخصام
لا ثم بعد لاثم لك منهم وعلى الرغم تنشرين الوئام
كم أياد بذلتها وهى قد ضاعت ضياع الإحسان بين اللئام
إن تبـالى بهم وإن لا تبالى فهو برٌ بهم لأم تلام
كل ما أسلفوا ذنوبا تناسوها وحطتها كارث مقـام
عيدى وانصرى الحقيقة لاتخشى سواها ولو يسل الحسام
عيدى فالأنام موئلهم أنت وإن لج جلهم بالخصام
عيدى فالشعوب نحوك مازالت شخوصا نواشد الإلهام
عيدى للأنام فى كل يوم كيفما كنت ، لا لعام وعام
عيدى فالنجاح والفشل العارض سيان إن خلقت السلام

الوصية المقدسة :

عرفت افريقيا السوداء حضارة فنية قديمة لا تزال موضع تقدير أهل العلم والفن والجامعيين ، وقد اقتبس منها كثيرون من أعلام الفنانين ، فى مقدمة المعاصرين منهم الفنان الأسبانى العالمى الشهرة بالبوبيكاسو ، وإن جهل هذه الحضارة الأفريقية التليدة عامة الناس ، ولـكن أمريكا الحرة . الواعية لم تجهلها . ولئن تذبذب بيكاسو أخيرا وناقض نفسه بنفسه فى سلوكه فان الفن والفكر الأمريكيين الحرين السلمين بقيا كما هما . ويحكى أنه منذ أجيال حاول الاستعمار أن يستولى على أراضى قبيلة من تلك القبائل الأفريقية العريقة ، فتمكن بالحيلة والحديد والنار من الظفر بها ، وعقد مع زعيمها معاهدة وصفت بأنها معاهدة ودية . ثم مرت السنوات والاستعمار يتوغل شيئاً فشيئا وينشب أظفاره فى المستعمرين ، وأخيراً

---

(١) عن ديوان إيزيس — مخطوط — من دواين أبى شادى .

صمم على ابتلاعهم ابتلاعاً . وطالب زعيم القبيلة بأن يوقع صك التبعية الكاملة . وكان ذلك الزعيم قد شاخ وضعف ، فكان من المرتقب موافقته بارتياح على تلك التبعية الكاملة . وفعلا عقد اجتماع عظيم للحفاوة بهذا الحادث الخطير ، وحضر على رأس الاجتماع زعيم القبيلة وممثل الدولة الحامية . فلما عرض على الزعيم مشروع المعاهدة الجديدة لتوقيعه إياه ، وشرحه له المفسرون والمترجمون فاجأ هذا الجمع العالى الحاشد بالرفض البات ، وخطب فيهم خطاباً حماسيا أثار دهشتهم . ونفى ذلك الزعيم الوطنى الشيخ إلى الجبال القصية ، فكتب بدمه لأبناء قبيلته وصية سرية جمعت بين القصة والعظة وما تزال محتفظة بقداستها وإلهامها ، يعيها الخلف عن السلف ، وماتزال جذوتها مشتعلة تحت الرماد فى افريقيالم يطفئها تعاقب الأجيال ، ولا يعرف أحد مبلغ امتدادها وحدود تغلغلها وعاقبتها :

من عذاب النفى من قلبى المذاب	أكتب العهد لآلى وصحابى
أكتب العهد شهيدا بدمى	قبل أن أمسى من بعض التراب
لا لشرق أو لغرب نسبتى	إنما للالق الحر انتسابى ؟
ماعداه رغوة ساخرة	بعقول الناس أو لغو الحباب
إن أكن عوقبت قد كرمت فى	هذه السن وأحيانى عقابى
إنما الأحرار كانوا دائما	لكفاح أو فداء أو عذاب
عيشهم كالشمس فى حرقتها	فاذا ماتوا مضوا خلف الضباب
ضل من قال بأنى أحمق	مثلما قال غراب عن عقاب
رب مجد كله لى غصص	وجلال صوروه مثل عاب
إن أرادوا النفى لى فى عزلة	فشريف الخلق جم فى ركابى
أو أكن جردت من مالى فما	نالنى الفقر ، ولا شق وطابى
بل لعلى الآن أقوى حجة	ولعلى حاكم فوق الرقاب
كلما سدوا لذكرى بابهم	فتح (الحق) لذكرى ألف باب
سيرة الحر حياة جاوزت	كل عيش من نفوذ وضراب
قد يموت الضوء ، لكن عمرها	دائم التجديد ، حى ، غير خابى
لم أضيع حق أهلى ، إنما	خاننى الحظ كما خان حسابى
كنت قد صدقت عهداً كاذباً	بات فى التغرير أقسى من سراب
إن (الاستعمار) ذئب خادع	ضاع من يأمن عهدا للذئاب !

كنت آمنت به ، حتى غدا ... كل إيمانى ضبابا فى ضباب
أصدق الأقوال فعل صادق، ... لا طنين كطنين للذباب !
فاحفظوا عنى ميثاقاً له ... حرمة التقديس واستبقوا حرابى
إن خصصتم بى عتابا فاعلموا ... أننى من قبل جرعت عتابى
كل ما حولى يبكى جازعا ... لمصابى ، حين لا أبكى مصابى!
إنما أبكى لأوطانى التى ... لا أفديها ببؤسى وانتحابى
ليتنى أستجمع الماضى لها ... وأضحى مرة أخرى شبابى !
يا بنى قومى ! دعوا أوهامكم ... ومواعيـــد مداج كرابى !
إنه - رغم دعاوى حلوة - ... لم يزل كالوحش فى ظفر وناب!
جانبوه ! جانبوه ! إنما ... كل ما أتى به شرع لغاب !
واطلبوا الأحرار أنى وجدوا ... وانبذوا من مجدهم مجد انتهاب
واحذروا من زوقوا الدنيا لكم ... حينما غاياتهم نشر الخراب
فى رؤى الغيب أراهم فأحذروا ... واذكروا أنى قريب فى غيابى
ربما زاد اغترابى قربكم ... من فؤادى ، فاغترابى كاقتراب
وارقبوا فى (الغرب) نجاهاديا(١) ... سوف يرقى بشعوب وشعاب
أرقبوه كنبى قادم ... يقهر الحرب ، فيغنى عن إيابى
واصبروا قرنا، وما القرن سوى ... ومضة النجم على موج العباب
لم أجد لى فى اغترابى شاهدا ... لاحتمالى غير صبرى واغترابى
لم أجد لى ضامنا يشهد لى ... غير هذا الدم أو زهر الروابى(٢)
إن يضع أو لم يصل نصحى لكم ... فاسألوا عنـه دموعا للسحاب !

إمامنا عرفة :

قالها الشاعر فى الانقلاب الاستعمارى بمراكش ليلة عيد الأضحى سنة ١٣٧٣ هـ

كم زعيم مسخر شرفه ... بات أقصى خلاصه تلفه

---

(١) روح الحرية المتألق فى العالم الجديد .

(٢) كأنما هذا الزهر نبت لدم الفداء الوطنى .

لم تخنه سلامة مثـــل ما خانتـه طباع بالغدر مؤتلفه
لا تقولوا "تزين عشنونه الطيبة بل خبروه من نتفه !
لا تقولوا الأعمال رائدها النيات يا من مدحتمو خرفه
من يخن قومه لنفع يرجيـه فقـــد باع خاسراً شرفه
من يقل « بربر وعرب » لتفريق يخن عهـــد مسلم حلفه
لا تقولوا لم يعرف الحق إذ ذل ، فهذا إمامنا (عرفه)
يعرف العد « للحمير »حواليه ، كما عد فاخراً « أكفه »(١)
جاسباً ســـتر عورته المـال الذى فى جوعه خصفه (٢)
الذى يذبح الخراف ضحايا وهو أولى بذبح من عرفه (٣)
أى عيد هذا الذى يرجع الشعب قرونا فيقتدى تحفه ؟
أى عهد هذا الذى يجعل (الإسلام) إثما يخص من كشفه ؟
أى حكم هذا الذى نصره (الإقطاع) يوحى لخبثه صلفه ؟
أى معنى لصيحة الناس (بالتمدين) حين البلاء ما خلفه ؟
أى فخر ترجو (فرنسا) التى ثارت على الظلم إن تعد هدفه ؟
أى حق يخص من يهضم الحق مصراً ويدعى دنفه ؟
أى صدق هذا الذى أعلن الكذب تبنيه واشتهى طرفه (٤) ؟
أى رق هـذا الذى غالب الرق ، وقد مد خبثكم سفهه ؟
أى عسف هذا الذى يدعى التقوى وما زال فجره لطفه ؟
أى بؤس يبذ بؤسا عميم الإثم فيما بغى وما اقترفه ؟
أى حمد يصاغ من بعـــد للعاهر يشقى ولم يسغ أسفه ؟
قد أباح التعذيب شرعا ، فإن قلت ضحاياه زادنا لهفه ؟
قيل : « هنىء بالعيد والهجرة الشعب وذكره ليقتفى سلفه :

---

(١) الأكف (لغة) بمعنى البرادع ، والاستعمال هنا رمزى
(٢) إشارة إلى قوله تعالى عن آدم وحواء : (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما .
(٣) أى أنه أولى بأن يذبحه من يعرفه .
(٤) طرفه : منتهاه .

الذى دوخ (الجزيرة) واعتز كما اعتز شاعر وصفه
الذى لم يزل (بأندلس) الخضراء نشيد لمجده عزفه
الذى أجفل (البرينز) إذ أوشك كالبرق يعتلى الشعفه (١)
الذى نسله يزين (إسبانيا) كما زان لؤلؤ صدفه
الذى ذكره أساطير للمجد إذا ضاع لم يضع أنفه
الذى تفخر (الفنون) بما زان كما ترتجى حمى كنفه
الذى قد بنى وشاد ، وكم جاد ، وما عاب منصف سرفه (٢)
الذى وزع العدالة والنعمة كالعلم فاغتدت شغفه
الذى خيره يكفر فى التاريخ عن شر كل من قذفه
الذى لم تزل قرونا لديه نادمات الأحداث معترفه
الذى لم تزل حضارته سحراً وسراً قد فات مكتشفه
الذى وحيه رحيق من الخلد ينال الجنان من رشفه
الذى فى خرائب ساهمات من على (الأطلس) الذى انتصفه
الذى أنجبت به (موديانيا) حرة من أشاوس طرفه (٣)
الذى إن يغب ببطن الصحارى لم يغيب خفاؤها صحفه
الذى يستعد بالصبر واليقظة كالنور ماحيا سدفه ! » (٤)
قلت : « حسبى ، والعيد ينضح بالمأساة ، لعنى مغامراً كسفه
ذاك أدنى من أن يلطف أو ينعت حتى بشر ما اقترفه
ثم تهليلة لأزكى الدم الجارى الذى صان كل من نزفه
(عرفات) يميد لو أنه يدرى وقبر (بيثرب) جنفه (٥)
جنبونا الأقوال فى موقف ضاع به كل غافل وقفه
ليس إلا تطويح شر رؤوس يشعر البغى كونها خزفه
ليس غير السلاح ما يفهم الغاصب سكران عابداً ترفه
ليس غير الكفاح فى مهمه الظلم صديقا لبالغ النصفه

---

(١) الشعفة : رأس الجبل
(٢) السرف : التعجل والاسراف
(٣) طرفه : طائفة منه
(٤) السدف . الظلمة (٥) الجنف : الاثم

ليس غير الثورات مايرهق المستعمر حتى يرى بها جدفه(١)
قد سئمنا منه دموع التماسيح فأدموه قدر ما ذرفـه ! ،
أيها الغاصب الغشوم رويداً ! رب سيل يخون من جرفه
مضحكات جملت ما أرخص الدمع وصورت بؤسهم غطفه(٢)
والجحيم الذى تلظى سلاما ومجارى دمائهم طرفـه(٣)
إن يوم الحساب غير بعيد ! لا تحقر من يومهم عجفه(٤)
سيصح المريض ، ثم يهز السيف فى وجـه آثم شعفه(٥)
سنة الدهر أيها الأحمق المجنون ، يا من جنونه احترفـه
ليس قتل الشعوب سهلا ، وكم شعب غبين أدال من خسفه
ينجب الشعب فى الملمات قرناً مستميتاً يهد من جزفـه(٦)
ساخراً بالدعى يحسب الاستقلال يهوى إذا الهوى حذفه
وسيوف الأنصار تلمع فى الشمس بلاء لسارق خطفه
ورصاص الأتباع يزأر كالرعد وقد مد (طـارق) زحفه
ابتدره إن شئت أولا ، فختم مصرع الظلم فوق ما سلفه !

أعياد حزيران :

فى شهر حزيران من سنة ١٨٦٨ عرض على الكونجوس التعديل الخامس عشر للدستور الأميركى ضمانا نهائيا للحرية والمساواة الشعبية الشاملة ، وفى ١٨ حزيران من سنة ١٩٥٣ أعلنت الجمهورية المصرية :

طوبى ومرحى إذا الأحرار جمعهم عيد ، وألفهم تحرير إنسان
لا مجد للأرض إن دب العبيد بها وإن تسخر لأصنام وأوثان

---

(١) الجدف : القبر . (٢) الغطف : سعة العيش .
(٣) الطرف : الملح . (٤) عجفه : هزاله .
(٥) شعفه : أمرضه .
(٦) من جزفه : من نهبه جزافا ، وأصل الكلمة من الفارسية ،

إن أطلع الورد هذا الشهر مزدهياً فان أجمله تحرير عبدان
العالم الحر حياه ومجده وحفه بتراتيل وقربان
فاقت بإخلاصها الواعي ورهبتها آى التبتل فى تسبيح رهبان
إن الأخوة للانسان حليته قبل التضلع من دين وعرفان
إن التحرر للانسان عزته قبل الجلالة من ملك وسلطان
إن المساواة للانسان قيمته قبل انتساب لأجداد وأوطان
فى مثل ذا اليوم ثار (الحق) ثورته شرقا وغربا لفك اليائس العانى
فأصبح (الحق) بالجمهور مندمجا من بعدما كان إرث الباطش الجانى
فأى نجوى إذن تزجى لروعته أجل من شكر أرواح وأبدان
ومن إطاعته، لا طوع عميان بل طوع ذى بصر حر وإيمان
فى كل عام نحيي عيده شغفا كالغيض فى شوق أنهار وغدران
لدن يجدد أرواحا لنا فنيت من الكفاح ومن ظلم وبهتان
أنسيت (نيسان) إذ مات (الربيع) به لما تمت الأمانى فى (حزيران)
كأنما خلقت من نوح أفئدة كالنور يخلق من تسعير نيران
أو أنها بعد جدب شبه فاكهة تألقت طفلة فى حضن بستان
نحنو عليها ونرجو أن تزاملنا مع الحياة لأزمان وأزمان
وأن تعم شعوب الناس قاطبة مثل الهواء ومثل النور فى آن
بوركت ياعيد، ما أحياك أحيانى ودمت ياعيد ذكرى كل إنسان!

عيد النيروز :

النيروز هو بداية السنة المصرية القديمة التى ما تزال معمولا بها لدى جمهرة الشعب المصرى أى الفلاحين، وتعد أول تقويم شمسى دقيق فى تاريخ العالم، وكانت متبعة حتى بعد عهد محمد على إلى أن حلت فى مصر الرقابة الأجنبية. وفى سنة ٢٨٣ للميلاد وقت أن كانت مصر تحت حكم الرومانيين وكانوا لا يزالون وثنيين، بينما كان المصريون قد اعتنقوا الديانة المسيحية، اضطهدهم الامبراطور (اقلديانوس) وسامهم العذاب والقتل واستشهد منهم عدد كبير جداً، ولذلك

اعتبرت هذه السنة سنة تاريخية ، وصاروا يؤرخون حوادثهم من ذلك الوقت وسموه « سنة الشهداء » . وفى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥٤ تبدأ سنة ١٦٧١ للشهداء ، ويكون دائماً الفرق ٢٨٤ سنة بين الميلادية والشهداء . ويتفق النيروز أو يكاد مع وفاء النيل ، ولذلك استوحاهما الشاعر ، كما استوحى أرواح الشهداء فى هذه القصيدة الوطنية التى حيا بها هذا العيد القومى :

ذكرى الأباة ومطلع الشهداء   هــذا دعاء المفلحين دعائى
عبرت عن أحرار (مصر) بغربتى   ولرب ناء كان غير النائى
وجعلت تبريكى مشاطرة لها   بعواطفى ومدامعى ورجائى
فى فرحة (النيل) هلل مثلنا   لسنائها واختصها « بوفاء »
أوفى و « حوض النيل » أصبح كله   خزاً ففاض بحبه المعطاء
الحسن فى نظراته كالخصب فى   خطراته ، كالوحى للشعراء
مرت عهود الحاكمين بأمرهم   واليوم بعث الحق والشهداء
من لم يصدقنى فذلك حوله   جم من الآيات والآلاء
الشعب مجدها ، وهذا جيشه   قد حاطها بمناعة وعلاء
أنى نظرت ترى مواكب نسقت   للحب بين ترنم وضياء
وترى النخيل على السماء زواهيا   (فالنيل) فاق جمال كل سماء
تتألق الآمال فوق نضاره   كتألق الأحلام فى الصحراء
وترى جموع الفالحين تعرفوا   أقدارهم ، فغدوا من الأمراء
الفأس فى يد كل فرد ماثل   كالصولجان ، وشامخ للرائى
ياليتنى فى (مصر) ألثم تربها   (كالنيل) يلثم شطها بولاء
حتى أجدد من غنى إكسيره   عمرى وأرشف نعمتى وروائى
فرحان كالطفل الصغير تجمعت   كل الكنوز لصفوه فى الماء
لم لا و (للنيروز) روعة ساحر   قد جال بين عواطف ومرائى ؟
أبناء (مصر) المخلصين تسابقوا   لأبيكمو المعتز بالأبناء
وخذوا هدية عيده ما نلتمو   من نصفة وتحرر وإخاء

حتى يباركها مباركة الهــدى　　فنزيد بين سماحة ونقـاء
وتصير (كالنيل) العزيز أبيكمو　　قدساً تنزه عن هوى ورياء
العيد هذا عيد (مصر) بأسرها　　لاعيد طائفة ولا أهــواء
غنى به الفلاح مثل زروعه　　ودموعه فى الحقل والأنداء
يا ليت لى فى كل عام وقفة　　كالحج بينكمو، وليت ثوائى
حتى أنافس كل حر مولع　　(بالنيل)، مبتدعا فنون غنائى
وألقن الأحفاد مالقنته　　من قبل من سر لفرط إبائى
لايعرف الأحرار إلامسهم　　فى التضحيات وقانع بعناء
فلتحى يا وطنى الأصيل منعما　　بتتابع الأعياد كالأضواء
ولتحى جمهورية أحرزتها　　كالبعث بعد تبدد وفناء
ترقى الشعوب على سواعد أهلها　　وتهون تحت سنابك الدخلاء -

إلى إيطاليا(١):

إلى (إيطاليا) خفوا وطيروا　　هنالك، لاهنا، لكمو المصير
إلى (فاروق) حيث خصصتمو　　ه بتسبيح هو النبل الكبير
شقينا منكمو عمراً طويلا　　فروحوا، عمركم عمر قصير
ولا تتواضعوا بالطهر دعوى　　فإن الطهر عنوان حقير
لكم حاربتمو مثلى كأنى　　أنا الجانى وكلكمو الطهور
وكم من غصة من بعد أخرى　　تحملنا وكلكمو نخور
تنافستم بألوان الدنايا　　كأنكمو السواقى إذ تدور
وسودتم معالمنا سفاها　　وقلتم: هكذا تزهو البدور
وعاقبتم لنا حسا طليقا　　كأن أخس مانجنى الشعور
ولم ترضوا لنا رزقا حلالا　　ورزقكمو الغواية والفجور
ولم نبذل (لمصر) الخير إلا　　وأجمعكم بنقمته يثور

---

(١) من شعر السخرية الوطنى، من ديوان أبى شادى المخطوط: «من أناشيد الحياة».

إذا اعترفت الأباعد والأعادى بقيمتنا فقد هوت النسور
أبعد جميع ما أسلفتموه يقال الآن : مولانا الوزير ؟
ومولانا الأديب الحر حقا ومن آياته كيد وزور ؟
ومولانا الذى وهب البرايا مآثره وأجمعها غرور ؟
ومولانا الذى لم يجن ذنبا فليس لمثله ذنب صغير ؟
ومولانا الذى يرجى مثالا لأمته ، ومولانا الجسور ؟
ومولانا الذى جعل المعالى تحج إليه إذ هو لا يزور ؟
لعمرى لست أدرى أى حظ يداعبنا ، ومالرأى الأخير :
أعين العدل يحكمنا الثعالى أم الإنصاف يحكمنا الحمير ؟ !

عيد الشكر :

فى سنة عشرين وستمائة بعد الألف الميلاد وفد إلى أمريكا على السفينة «زهرة أيار» عدد من المهاجرين — عرفوا فى التاريخ الأمريكى باسم « الآباء الحجاج » — تحدوهم الرغبة فى الخلاص من الاضطهاد . دون أن يبالوا بالمشقات التى قد تعترضهم فى العالم الجديد ثمنا للحرية التى شغفوا بها . وفعلا عانوا فى البداية مخاطر جمة وصعوبات هائلة ، حتى إذا حال الحول وحان الحصاد وتنعموا بخيرات الوطن الجديد سجدوا لله شكرا على نعمتى الحرية ورغد العيش ، وجعلوا تقليديا فى كل سنة من الخميس الرابع من شهر نوفمبر عيداً للشكر ، لا لحاكم ولا لزعيم ، فقد اشترك الجميع فيه وبينهم الحاكم نفسه ، وإنما كان شكراً موجها لله ثم للوطن الذى بدل خوفهم أمنا .

ومن نيف وثلاثة قرون وهذا التعييد التقليدى يحرص عليه فى هذا اليوم ، فيقترن بالولائم رمزاً للخيرات المشتركة ، كما يقترن بألوان الفرحة ابتهاجا بالحريات السابغة الوطيدة النامية — حرية العبادة ، وحرية الفكر ، والتحرر من الفقر والتحرر من الخوف — وهى الحريات الأربع التى اشتهر الرئيس روزفلت بالدعوة العالمية إليها ، وبالعمل من أجلها فى هذا الوطن الذى فتن بها وقدسها وبشر بها دائما قولا وعونا . .

(الشكر) يجدر أن يمثل عيدا فرحا بأحلام الجدود جديدا
وبكل إرث لا يجرر ذيله زهواً ، ولكن يستقل مزيدا
يحصى لنا النعم الجسام وإن تكن منا ، ويفرض حقها التمجيدا
حرية الإنسان فى إيمانه وشعوره ، لا يائسا عديدا(١)
يمشى على الخوف الأثيم مظفراً والفوز ، يهتف للحياة سعيدا
كل الصعاب حياله ما جاوزت شوكا لزهر يستعز نضيدا
يا أمنا (الأرض) العزيزة طاولى كل الكواكب ، وامرحى تعييدا
لن يسقط (الإنسان) من عليائه فالسير كان على الجبال وئيدا
يكفيك فى هذى الربوع سموه كبداية حتى يسير مديدا
ولمن تضمخ بالمبادىء والمنى والنبل حتى قد يعد فريدا
وتطل منه التضحيات شواهداً تومى ، فتعلن رائداً وشهيدا
العيد ليس له خصيصا وحده ولو ان فى الدنيا وغى وعبيدا
ما كان عن نقد النظام مبرأ لكنه مثل سما وأجيدا
مثل الحكومة من صميم الشعب لم تعرف سواه مسوداً(٢) معدودا
ولمن حبته يد العناية كل ما يهوى ، فآثر أن يفى ويجودا
ببنيه بر وبالشعوب جميعها لو مكنته ، ولوجزته جحودا !
أهلا (بيوم الشكر) يغمرنا رضى حتى الفقير أعز فيه العيدا
رقت بشاشته كأن بيومه رقص (الربيع) ممازحا غريدا
ساوى الفقير به الغنى طلاقة والغيم رقرق فى الدموع قصيدا
هى فرحة عمت ، ومظهر نعمة شملت ، فلم نر سيداً ومسودا
لم يحص أنفاسا عليه مسلط يوما ، ولا هو سامه تحديدا
فرص الحياة أمامه موفورة وتكافأت كالنور فاض وحيدا
أهلا (بيوم الشكر) ، من نعمائه نهب الحياة ولاءنا المعدودا
نهب الحياة عواطفا ومساعيا حتى يحس جميعنا التعييدا
ونبادل الأنخاب بين موائد حملت لعرفان الجميل شهودا

---

(١) الرعديد : الجبان الكثير الارتعاد
(٢) مسدداً . مصوراً للسيادة

وصلاتنا البر العميم ، وحظنا حظ الجميع ، نزيده تجـديدا
أهلا به للناس مظهر رحمة ووفاء افئـدة أبين جودا
أهلا به عنوان كل كريمـة نذر المناعة فى الوجود نشيدا !

لـكن :

يا ابن الخصاصة حين تحسب عزة وابن الكفاح على المدى قهارا
فى ظلمة الكوخ الحقير تشربت روح لك النور النبيل مرارا
فنشأت كالراعى الشفيق على الورى تستلهم الآلام والأكدارا
وكدحت طفلا فى الحقول وبعدها فى الليل تكدح دارسا صبارا
فإذا نبوغك فى الطفولة ساطع مثل الضحى نوراً أغر ونارا
وإذا شبابك فى فصاحة مدره بهر الكبار وملك الإكبارا
وبعثت مندوبا لندوة أمة قدرت نبوغا فيك لا يتوارى
دافعت فيها عن كرامة من هووا فى الرق واعتنقوا الأذى والعارا
ناديت : لن تبقى الغداة حكومة ما لم يكن أشياعها أحرارا
هيهات غير الحق يخلق قوة هيهات مهما يخلب الأنظارا
فلنطلق الأسرى وهم إخواننا فى الرق، قد وجدوا الحياة بوارا
وبلغت أعلى منصب قد زدته فخرا ، وزدت جلاله أعمارا
لولا التعصب فى (الجنوب) أثاره زعماؤه فى حمقهم إعصارا
وأبوا سوى الحرب الأثيمة وحدها
ردا ، وغـير جموحهم أنصارا
فجعلت تحرير العبيد سياسة وتخذت توحيد البلاد منارا
حتى إذا انتصرت جيوشك لم تعد إلا زعيم بلادك الغفـارا
وأخذت تبنى من جديد حظها كالغيث يطلع فى الربى النوارا
وبدا الرجاء من الرماد كأنه بعث أعاد خـلائقا وديارا
فإذا القضاء مهيىء لك مصرعا ـ واها له ـ والنصر صار معارا
كلا ، وكلا ، ماقتلت لميتة بل للخلود مكررا وجهارا

عطرت بالدم أيها الفادى لنا   مثلا على الأدهار سوف تجارى
ما أن مظلوم ، وضحى ماجد   إلا وكنت له لظى وشرارا
ورآك فى أحلامه ويقينه   أدآ . فهم يصارع الجبارا !

يوم العلم :

الرابع عشر من يونية منذ سنة ١٨٩٧ هو يوم العلم فى أميركا ، يوم الذكريات الوطنية الجديدة دفاعا عن الحريات العامة وحقوق الإنسان :

حييت يا يوم العلم   يامن تألق بالشمم
يا مستعزاً بالنجوم   تبسمت لمن ابتسم
يامن تدفق بالحياة   كأنها السيل العرم
يامن يذكرنا بأنواع البطولة والكرم
كيف الشجاعة والنظام؟ تآلفا بأسا أتم
كيف السماحة بالنفوس؟ أخص ما يبنى الأمم
كيف التحرر والإخاء؟ هما ذراعا من حكم
يامن ترفرف فيه آمال تغذى من حلم
يامن تسير به المواكب كالقصائد والنغم
يامن حديث شعاره فوق المواعظ والقلم
يامن تنال رموزه من كل جبار ظلم
يامن به التاريخ يشمخ فوق مبناه الأشم
يامن تضمخ بالدموع وبالدماء بلا ندم
يامن حبته التضحيات بكل مجد يغتنم
يامن تساوت فيه أفراح البرية والألم
يامن تقدس كل ما فيه ونور والتأم
أشرق على الدنيا شعار غد أبى لم ينم
يسمو به (الانسان) فوق صغاره ، فوق العدم
ويرى الحقيقة كنزه والسلم أشرف مغتنم
لا أن يزال لترهات هن نقمة من وهم

ما اجدر (الانسان) باستعلائه فوق الرمم
إن التنازع والحروب مماته مهما اعتصم
والموت لايحيي ولا يجدي ولو سكن الهرم

فـــدم المذكر للأمم   وانشر عظاتك ياعلم !

بنو معروف :

(بني معروف) جاحدكم جحود   لآيات تسامت فوق عرف
بكم تزهي (العروبة) إذ تراكم   أعز خصالهـــا للمستشف
فما برحت شهامتكم تغني   مـــلاحم للتتبع والتقفي
وما انفكت مكارمكم شعاعا   من الألق الإلهي الأعف
وما زالت شجاعتكم ملاذا   وحصنا يوم إرهاق وعسف
وإن التضحيات لكم شعار   وأعظمها يبالغ في التخفي
كذاك الشمس كم فاضت حياة   وما منت، وتعطي وهي تخفي
وهل (جبل الدروز) سوى منار   سليل الشمس في وحي وعطف؟
تقبله فتمنحه حياة   ويلثمها وفيا خلف شف
وحين تبادلا حبا بحب   وحين تمازجا وشفا برشف
تمخض بالحياة حياة شعب   أبي عزفي جبل وشعف
فدوت في العصور مزمجرات   دوي السيل للسهل المسف
وخلتنا على الأيام نغني   بسيرته برغم المستخف
ذكرت رجاله الأخيار حولي   عزاء لي ومثلي شبه منفي
فزادوني بسيرتهم ولوعا   بإقدامي وبأسا رغم ضعفي
كذلك نخوة الأبطال منهم   فكل مفرد بمكان الف
وأما دينهم فندى ونبل   وجم مروءة وجفاء خلف
وحرياتهم قدس معلي   وقد ثاروا على غل ورسف
وهم في قلة أغلى تراثا   وأروع من جحافل لاتوفي

(وما ســـل المهند للتوقى   كسل المشرفية للتشفى)
(أباغى حظه بقنا وخيل   كباغيه بمنوال وحف)
(وما الجبل الوقور لجاذبيه   على العلات كالجزء الأخف)(١)

رسولا العيد :

تحية الأستاذين سامى الشوا ومحمد البكار عند زيارتهما « صوت أمريكا » بنيويورك ، فى نهاية سنة ١٩٥٢ :

من عطر (مصر) ومن حنان الوادى   أحملتما لهواى وحى فؤادى ؟
ياشاعرين تخطيـــا بنهاهما   والفن حقبة لوعتى وبعادى
واستصغرا الأبعاد حتى أشرفا   بالفن فوق منازل الأبعاد
أهلا ، وهذا العام أوشك ينتهى   بالقادمين لنا مع « الميلاد » !
هزجين بالألحان دغدغ روحها   روحى ، وزودها بأجمل زاد
وكسا مشاعرى الحزينة بهجة   حتى رفلت بمشرق الأبراد
من ذا يقسم مثل (سامى) معجزا   أومن شأى (البكار) فى الأنداد ؟
علمان ينتسب الربيع إليهما   لابل ربيع الفن والأعياد
إذ أنطقانى فى ارتجالى محسنا   قد أنطقا من قبل كل جماد
هذا مع « العبرات (٢) » يبدع ساميا   عجبا . وذاك يذوب فى الأعواد
تترنح الألباب ممـــا أنجبا   كالزهر فى سرر النسيم الصادى
وتولد الأحـــلام فيما نضرا   كالحب يولد فى حديث وداد
والعطر تنجبه اللحون رشيقة   والنور للأنغام فى الأولاد
والنجم يخلق فى الدجى ، وكأنما   عصر الوجود بنوره الوقاد

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة مضمنة من المعرى فى (لزومياته) — والقصيدة عن ديوان « من أناشيد الحياة » لأبى شادى — مخطوط .

(٢) العبرات : الأوبرات

أهلا بمن جاءا رسولى نعمة ... من مجد (مصر) ترف الآباد
قدسية كالراح خبء دنها ... وأطل فى التقسيم والإنشاد
قال الرفاق : ألا ترحب منشداً ... ماشئت ؟، قلت : محبتى إنشادى
فدعوا اليراع أو اللسان يصوغها ... موجا كموج الجدول المتهادى
أو مثل ثرثرة الخرير أثاره ... جم الحنين إلى هوى وبلاد
فاذا عجزت فذاك فرط محبتى ... وإذا أجدت فذاك فرط ودادى

باقة حب :

ياقاصدا (مصر) فى زهو وفى جذل ... هنئت ،ما (مصر) إلا أم أوطان
أم الحضارة ، ماكانت طفولتها ... إلا مفاخر فنان وإنسان
لكل فرد بلاد يستعز بها ... و(مصر)-مهما استقل-الموطن الثانى
لها عهود على الدنيا موثقة ... فطالما حبت الدنيا بإحسان
أنت ابنها البر لاتنسيك منزلة ... حقا عليك ، ولا كر لأزمان
ومن يعد «عمادا» فى تخصصه ... وخالقا لمزايا جيلها البانى
علم ،وعلم ، فلا خير لأمتنا ... إلا من العلم ، إن العلم نورانى
والثم ثرى (مصر) عنى راكعا شغفا ... وخذ فؤادى عنى بعض قربانى
عـلم كعلمك غذانى وأحيانى ... كذاك خلقك يوم اليأس أحيانى
وما أقول «وداعا» بل أقول «علا ... فى موطن الشمس ناجانى ونادانى
يامن تواضعه عنوان حكمته ... وقدره فوق تقدير وعنوان
ومن شغلت طويلا عن مجالسه ... لأنت أدنى إلى قلبى من الدانى
عهد عليك:شباب (النيل) ترشدهم ... للحق إن خانهم تدجيل شيطان
إن الشجاعة أسمى ما اتصفت به ... فاصدع بها الباطل المستأسد الجانى
لاخير فى العلم صار الجبن سيده ... فالعلم بالعلم يرقى دون سلطان
هذى تحية مهجور ومغترب ... وباقة من أحاسيسى وألحانى
لم ألق غيرك موهوبا ليرفعها ... (لمصر) حين «وفاء» النيل ناجانى
ولم أجد نابغا أولى بتكرمتى ... ولا مثالية أولى بإيمانى
فعش لقومك ،بل للناس أجمعهم ... وعد لقومك ذخرا ليس بالفانى

أمير السلام[١] :

(الله) فى الحب ألحان وأضواء و(الله) فى السلم أزهار وأنداء
حييت ياسلم ! هذا يوم سيده فلتخجل الحرب ، ولتهتز ورقاء
وليفرح العالم المنكوب عن سفه فقد تعالت على الضوضاء أشذاء
إنى أشم عطوراً لا أكيفها لكن يكيفها للنفس إيحاء
فأين مبعثها الروحى يشملنى فليس تدركه عين وإصغاء ؟
لعل فى الجامع المبرور تذكرة فها هو الجامع المبرور وضاء
من وضع (أمجد)[٢] عن بر بملته وكذاك يصطحب الأكفاء أكفاء
بلاد (إقبال)[٣] لافاتتك فلسفة تعلى السلام ، ولا نالتك ضراء
إن السلام هو (الاسلام) من قدم كما رآه الألباء الأجلاء
وليس أليق رمزاً فى رسالته من جامع حوله الإيمان أضواء
فى جادة أسهمت فى غرسها أمم وبوركت ، فاذا الظلماء لألاء
ما بال (مصر) تناست ثم مغرسها وفى ثرى (مصر) للجنات أفياء ؟
كأنما ما مشى نور (المسيح) بها ونوره فى جميع الأرض مشاء
كأنما (مريم العذراء) ماسكنت بأرضها ، وكأن الأرض جرداء
وأين ماوهب (الأردن) من شجر وفى بساتينه الأدواح غناء ؟
وأين قدسى أرضيه التى سطعت أمالها اليوم فى الإسراء إسراء ؟
يا ليتنى (المتنبى) الآن ، صولته تهز من أذنه للحق صماء

---

(١) لمناسبة عيد الميلاد فى سنة ١٩٥٤ غرست على جانبى «جادة السلام» فى وشنطن العاصمة الأمريكية أشجار مهداة من أقطار شتى ، وتخلف عدد من الأقطار الإسلامية ، وأما الباكستان فوضعت فى المكان المخصص لها رمز جامع صغيراً على اعتبار أن الجامع هو عنوان السلام فى الاسلام .

(٢) السيد أمجد على ، سفير الباكستان فى أمريكا .

(٣) الفيلسوف محمد إقبال المتوفى عام ١٩٣٨ .

حتى أعلم قومى فى توجسهم   أن العروبة كالإسلام زهراء
إن التسامح أسنى ما يشاد به   وما عداه فللاسلام أعداء
شدا السلام وأنفاس (المسيح) به   فكل ما رف أنغام وأصداء
وإن تكن قد تناهت فى مشاعرنا   من العواطف أطهار وعذراء
فهلى يا بروجاً طالما هتفت   كما هتفت ، وناجاها الأرقاء
وحررينا من الأحزان قاهرة   كما تحرر من أسداده الماء !

الفارس المغترب :

فى ذكرى مرور عام على وفاة الصحافى الماهد سلوم مكرزل صاحب جريدة « الهدى » اليومية ورئيس « جمعية النهضة اللبنانية » فى نيويورك :

ذكراك ذكر أسى وذكر سلام   غمرت مشاعرنا من الإلهام
العام مر بخيره وبشره   وبقيت أنت لنا المثال السامى
كالشمس غيبها الغروب ، وإنما   بقيت مع الأحلام والأفهام
يهتز فى زهر الحدائق نفحها   ويمور – رغم الليل – فى الآجام
ونشيمها فى كل حسن رائع   فذ ، وإن خفيت عن المتعامى
فى الضوء ، فى الألوان ، فى الأنغام فى الـ   أطياف ، فى هذا السحاب الهامى
لم نفتقدها حين فقدان لها   ولئن عددنا نحن كالأيتام
هذى الحقيقة للحياة ، فانها   صور لمعنى خالد ومرام
معنى التسامى بالوجود ، وهكذا   لم يبق غير المحسن المتسامى
رب الهدى ! هذا مكانك فى (الهدى)   باق برغم مواكب وزحام
(لبنان) عشت له نجياً راعيا   وتعيش بعد بأرزه البسام
تحنو على استقلاله ، وكأنما   كان الرضيع لديك غب فطام
وتغص إن دب الفساد حياله   أو زوقوه بحليــة ونظام
هيهات أن أنسى لديك محافلا   كانت معارك همــة لهمام
إنى العليم بها ، فليس بمقنعى   زعم الصغار وعاثرى الأحلام

قد كنت تنزلنى المكانة من أخ ... بر ، وها أنا جئت فى إلمـــامى
إن كنت شخت ولم تلب مفاصلى ... عند الصعود ، ولم تبر عظامى
فلقد جنيت من اقترابى فوق ما ... ضيعت فى شيخوختى وسقامى
ولمحت وجهك فى بشاشة (مريم[1]) ... وحجاك فى هـذا الذكاء أمامى
إن أنس لا أنس احتفاءك ، مكرما ... أدبى ، ومطفىء لوعتى وأوامى
سبع من السنوات مرت مثلما ... مرت رؤى المنكوب فى الأحلام
إن كنت أطردها كأضغاث مضت ... هيهات أبعد ـ إن بعدت ـ مقامى
مازلت أستوحى حديثك ، زائراً ... فى وحشتى ، فينـال من آلامى
وأرى السكينة حيث كنت مطمئنا ... قلبى ، وحيث ضحكت من أوهامى
ياليتها كذبت وعشت مكرما ... فى العمر ، نفديه مدى الأعـوام
إن الفجيعة فى الصديق رهيبـة ... والود لم يجحده غير لئام !
هذا اغترابك كاغترابى فى الورى ... لاينتهى ، بل لايزال النامى
ولئن صدحت فى المرارة والاسى ... نغمى ، ومن لهب الأسى أنغامى
ولئن فرحت ففرحتى ثمن لهـا ... عمرى ، وقد عبثت بقلبى الدامى
ولئن ضحكت فكالممثل ضحكتى ... وكأنما أرثى بهـا أيامى
ناجيت قلبك كلمـا جن الدجى ... وبصرت بالحراس جد نيـام
ورأيت أهل الشرق فى غمراتهم ... متضامنين بعشق كل حرام
وبلوت ألوان التفكك والهوى ... ما بين « متبوع » وبين « إمام »
حتى تساوى الصالحون وغيرهم ... فى الرجس ، أو بعبادة الأصنام
إن كان ثار البعض ثورة راشد ... فالأغلبية سرن كالأنعام
من لى بمـا حملت يمينك معولا ... أو مبضعا من قبل يوم حمـامى

---

(١) الآنسة مريم مكرزل ابنة الفقيد ورئيسة تحرير جريدة (الهـدى) من بعده .

حتى أرد الشرق حراً قادراً حربا على الطاغوت والظلام
الساحقين الشعب ، تاهوا بالخطى فوق الرؤوس كرافعى الأهرام !
قد عشت تأبى أن تساوم بجرهم أو أن تعدهمو من الأخصام
واليوم نشعر بافتقادك حينما نجد الشعوب مطية الحكام
واليوم نذكر كيف دمت مكافحا ترمى الطغاة بأسهم وضرام
واليوم نذكر كيف كنت مشجعا للشانئين ، مرحبـــا بالذام
واليوم نذكر أن ما أسلفته حى ، ومن عاداه بين رغام
فنراك أقرب من تكون مبعداً عنا ، وأكرم منعم بسلام !

نوار الكرز فى وشنطن :

تحتفى وشطن العاصمة الأميريكية فى أواخر آذار من كل عام بتفتح أكمام شجر الكرز اليابانى ، وقد أوحى منظره الشائق هذه القصيدة إلى الشاعر :

تمهل أمام الماء حين ابتسامه على الكرز البسام غير مرائى !
تولى صقيع كاد يودى بحسنه وجمد حتى دمعه كرجائى
تخيلته فى الحلم ميتـــا بجرحا ففاء ، ولكن عالقا بدمـــاء
وقد نفض الأكفان بيضا تبعثرت وبدل منهـا حالمات ضيـــاء
بنات الهوى والفن تشرق بالمنى كما تشرق الأطياف للشعراء
نماها (القصى الشرق) ثم أتى بها شعور إخاء أو شعور ولاء
فرفت حنينا كالأشعة عندما تحن إلى أصل لهـا وسمـــاء
ورفت وفاء للديار التى احتفت بهـــا ، وأعزتها على النظراء
وقد أشعلوا (المصباح)(١) رمزاً لعيدها
كأن به للعيد كنز ضيـــاء

---

(١) المصباح الذى أوقده سفير اليابان بوشنطن إيذانا بافتتاح هذا العيد.

لأن سكنت هذى البحيرة(١) لم يكن
سكون لها إلا سكون حياء
وفيها ضروب من عواطف لم تكن لتسكن بل جاشت بغير نداء
أتسمعها ؟ إنى لأسمع شعرها أغانى من حب لآخر ناء
أتبصرها ؟ إنى لأبصر بعضها مرائى تجلوها فنون مرائى
وقد عسكت فى الماء فاهتاجه الغنى فكان لهيبا أو مذاب (ذكاء)
لئن زارها العشاق من كل بقعة فكم عاشق فى غربة بعنائى(٢)
وأما العصافير اللواهى بقربها فهن معانى رفقة وإخاء
تلاهت تلاهى النحل غنت لطامه على زمر الأزهار دون عناء(٣)
فأخجلنى أنى المقصر بينها وأن غنائى ليس فيه غنائى !

---

(١) البحيرة الاصطناعية فى وشنطن التى غرست على حافتها أشجار الكرز اليابانى .
(٢) بعنائى : بأسرى ، ومنه العانى بمعنى الأسير .
(٣) عناء : مشقة .

حسن كامل الصيرفى

شاعر من المدرسة الرومانسية الحديثة فى مصر ، ومن أعلام شعراء مدرسة أبولو ، ظهر له عام ١٩٣٤ ديوان « الألحان » ، وطبع له عام ١٩٤٨ ديوان الشروق ، وله دواوين مخطوطة منها : حول النور ، رجع الصدى ، قطرات الندى ، دموع وأزهار .

وقد ولد فى ٦ سبتمبر عام ١٩٠٨ ، وبدأ ينظم الشعر فى الخامسة عشرة من عمره ، وترك المدرسة عام ١٩٢٥ ليفرغ للشعر ، وبدأ منذ عام ١٩٢٧ ينشر شعره فى مجلة العصور ، ويعد من الشعراء ذوى المواهب الأصيلة والموسيقى العذبة ، وقد ترجمت له فى كتابى « مذاهب الأدب » ترجمة مستفيضة ، وليس هنا مجال الحديث عنه ، إنما نعرض قصيدة جديدة له نظمها عام ١٩٥٥ ، وألقاها فى حفل تأبين الشاعر أحمد زكى أبى شادى بدار الحكمة بالقاهرة فى ١٦ - ٦ - ١٩٥٥ ، وكانت قد أقامتها رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، وعنوان القصيدة « الشاعر الثائر » :

رحل الأحبة عن حماك وبانوا   فابك الزمان فلن يعود زمان
ناديت قلبي يوم بدد شملنا :   يا قلب جف النبع والبستان !
ومضى المغرد والجراح تؤوده   واستسلمت لحريفها الافنان
وتساقطت أوراقنا وتقصفت   أغصاننا وتناعب الغربان
ومشى على ألق الخميلة عاصف   جزعت له الأطيار والأغصان
كانت جنان أزاهر فتانة   لم يغف عن تنسيقها الجنان
ناجت بها الفجر الوسيم بلابل   أين البلابل رحن والألحان ؟
لهفى على الماضى الجميل تباعدت   ذكراته ، لا رامها النسيان
وموسد فى الغرب بعد تألق   فى الشرق تطوى الكوكب الأكفان
لم يرض عيش الضيم فى أوطانه   فتلقفته تعزه أوطان
والحر إن جارت عليه بلاده   ضاقت أمام خياله الأكوان
عابوه حين نأى وقالوا : هارب   وبقاؤهم ذل لهم وهوان
كم قدسوا عهد الفساد ومجدوا
رأس الضلال ، وألهوه وهانوا

وأبى عليه إباؤه أن ينضوى ... تحت اللواء — الفكر والوجدان
والشاعر الحر الأبى يملك ... يأبى عليه الذلة السلطان
والضعف موت للنفوس ولن يرى ... اهلا لأنفاس الحياة جبان
هذا الموسد أمة منسية ... أمجاده لم يحصها حسبان
الشاعر الإنسان فى أقواله ... وفعاله والعالم الفنان
سبق الزمان بفكره حتى انطوى ... فى فكره الأكوان والأزمان
كالنحل عاش لغيره ما اشتاره ... من شهده ، وبكأسه الأحزان
مترفع حتى على آلامه ... كالطود هابت بأسه الوديان
أغنى الذين عرفتهم بشموخه ... لا يزدهيه الأصفر الرنان
يسمو على نشب الحياة وجاهها ... زهداً ، ويصقل روحه الحرمان
كانت رسالته العطاء مبرءاً ... لله لا من ولا إحسان
وأرى نفوس الأكثرين شعارها ... لى ما أخذت وبعدى الطوفان
يا ساكناً بعد الحراك وهامداً ... بعد الكفاح ، أيهدأ البركان؟!
ويقر من هز الطغاة لسانه ... ويظل ينعم فى النفاق لسان
كانت حياتك ثورة لا ينتهى ... فورانها ، أو يسكن الثوران
فى عالم الشعر المشيب شببتها ... فتأى الشيوخ وآمن الشبان
أحييت سوق عكاظ حين أقمتها ... علما يحج اضوئه الركبان
لك فى حياة الشاعرين إذا نسوا ... فضل يقل ازاءه الشكران
ومشيت تحمل مشعلا متأججا ... تهوى على جنباته الأوثان
فى كل ناحية شققت مشارعا ... يهفو إليها الوارد الظمآن
ورفعت ألوية مذاهبها بدت ... شتى ووحد بينها عرفان
فى عالم الأدب الصميم وعالم ... الطب الرحيم تجاوب وأمان
فى عالم النحل الوديع وعالم ... الفن الرفيع تآلف وحنان
ذهن تبارك من جلاه أمامنا ... لغزاً تحار بكنهه الأذهان!
يا راقداً خلف المحيط معانقاً ... قيثارة لم يؤذها العدوان
حاربت رأس الظلم فى جبروته ... فى حين صلى خلفه البهتان
حر العقيدة لا تهاب ومؤمناً ... بالحق لا يتزعزع الإيمان
وصببت نقدك لا تبالى غضبة ... فى حين كان يكال الاستحسان

يتهافتون على رضاه وحسبهم … نخر لهم أن ينعم الشيطان
سهران فى الماخور يجرع كأسه … ويقال : هذا الصالح السهران !
ووصفته بالكركدن مقامراً … بالعرش ، قوتل ذلك الحيوان !
لما يئست من النجاة وزمجر … الموج الغضوب ونودى الربان
وأحيط بالأحرار ضقت بعيشة … ضاقت على انفاسها القضبان
إن قيل : أين النور ؟ داعب قيده … مترنما بصليله السجان
لحملت فوق الموج قلباً خافقاً … مزجت به الآمال والأشجان
وحملت صبيتك الثلاثة رادة … لم يعلموا ما تخبىء الشطآن
وسعدت بالمنفى حياة حرة … لن يستطيع بلوغها الطغيان
كافحت فيها للحياة بعزة … ما مسها وهن ولا خذلان
نسيتك مصر وأنت فى شيخوخة … يحتاج فيها الراحة التعبان
ضنت عليك ، لو استرحت بتربها … عجبا أيحرم تربه الجثمان !
هل ينصف الأحرار شاعر ثورة … غنى فأصغت للصدى الآذان ؟
أخى وصفوة من عرفت وذاكرى … إن عقنى فى المحنة الإخوان
إن يعصنى حزنى عليك فلا ادعت … نفسى الوفاء ولا أنا إنسان
هذا رثائى فيك كنت أوده … لو صيغ فرحة عودة تزدان
ذهب الردى بالأمنيات فلم يعد … إلا الأسى يتجرع الثكلان
الركب أسرع فى المسير ولم يزل … هذا الحزين الآسف اللهفان



الشاعرة جليلة رضا

أخرجت الشاعرة جليلة رضا ديوانها الأول « اللحن الباكى » عام ١٩٥٤ ، فلاقى تقديرا عاما من النقاد والأدباء ، وهذه قصائد متفرقة ، أذيعت لها بعد ظهور ديوانها الأول :

عتاب :

علام الحزن يا قلبي علام الضيق والملل ؟
وتلك الزفرة الحرى وهذا الخوف والوجل؟
تود تحمل الخالق عبء وجودك الظالم
كأن الله لم يخلق سواك بكونه القائم
ألا أغلق عليك الباب والشباك والدارا
وطل ، فبعدك الآفاق لن تحجب أنوارا
تمرد كيفما تقوى ، وثر متخبط الياس
وته فى كونك المسحور مبتعداً عن الناس
ولكنك لن توقف دورة هذه الدنيا
ولن تبعث طيف الرعب فى أحشائها العليا
ولكنك لن تبتر كف الغى فى البشر
ولن يبقى لهذا العاصف المجنون من أثر
ولن توقظ من حولك غير عيون كلبتك
وقد نامت على قدميك فى هذيان ثورتك
ستبقى فى صراع الليل تنعى همك الحائر
وتخشى الغد والمجهول واللاشيء والحاضر
ستبقى أنت فى حربك تطوى الليل والوقتا
وخلفك عمرك الضائع يهوى ساكنا ميتا

أمنيات :

ليت لى مرفأ يحتمى به حسى — إذا ثار أو أفاض عبابه
ليت لى خبرة بكل لغات الأرض — أتلو بها الورى وكتابه

فأكـــون العروس من راح — يجلو الليل عن وجهها المضىء نقابه
وأرى حلم زهرة تتخـــفى — وأرى عـين نرجس مرتابه
وتصير الجبال والبحر والآفاق — يوما لنـاظرى أهــدابه
ليت للقلب بين ألف صديق — مخلصـاً واحدا يواسى عذابه
ليت عبد النفاق يصبح حرا — وأسير الغرور يحطم بابه
والخفافيش تستجيب لمرأى — الفجر والغاب يسترد ذئابه
ليت قلب الإنسان لا يفزع — البوم بمـا فيه من دجى وكآبه
ليت لا يهزأ الحمار بنا — حين يرانا بلاهة ودعابه
ليت للعـين أن تقاوم سحر — العين . للقلب أن يحد رغابه
وتوابيت حقدنا تتهاوى — وأزاهير حبنا تتشابه
ليت هذى البيوت من شعرى — الثر بيوت على الثرى منسابه
كل دور بها يضم شريدا — تعشق الفن روحه الوثابه
ليت قلب الفراغ يمـلأه — الله بحب لذاته ومهابه

عيد الأم :

سلوا قلب الأمومة إذ تجلى — يرفرف بالأمانى مستظلا
أذلك ضوءه أم ذا شذاه — أم العيد الذى وافى وهلا
فتى الأوطان ! هذا اليوم عيد — لأمك . أوف للميزان كيلا
وكن رمز الوفاء وكن نبيلا — ولا تنـكر لها فعلا وفضلا
وحسبك أنها ربتك طفلا — وأفنت فى هواك العمر بذلا
هى الأم الرؤوم سراج هدى — وربان السفينة أن تضلا
تنام وملء جنبيك الأمانى — بأجواء من الأحلام جذلى
ويثنيها الحنان عليك يقظى — فتسهد لن تمل ولن تكلا
على المهــد الحبيب تمد كفا — وتبسط كالشراع عليك ظلا
إذا ناديت لبت فى خشوع — ولم تر فى هواك الذل ذلا
فإن ملكت كنوز الأرض طرا — فما ضمت كأغلى منك حمـلا
بدونك تستوى الدنيا لديها — وتغدو شمسها فى العين ليلا
ولو قدرت لخبأت المنايا — مخافة أن تضام وأن تذلا

فيا قلب الأمومة يا جبالا من الأعباء . أنت . ولست تبلى
ويا نبع الحنان ويا غديرا ترقرق بالشذا طهرا ونبلا
خطرت على قلوب من وفاء فأهلا يوم عيد الأم ، أهلا

نفسى :

بحثت عنها عندما يغفو ويحلم النـــدم
وحين تقذف الدجى دخان حرقة الألم
وعندما تجأر أفواه القبور والعدم

فتشت فى الوديان . فى المغاور المجهوله
فتشت فى الوجود . فى العوالم المأهوله
وطرت فى مركبة بنورهـــا محموله

سبحت فى بحيرة بغير رأس أو ذنب
مياهها من فضة وأرضها من الذهب
وفوق أفقها على صدر الدنى وشم اللهب

بحثت عند ربتى من أشرقت فى ظلمتى
من أغلقت على بابى ألف ألف مرة
وبعثرت كنوزها على بساط فكرتى

فتشت فى أماكنى القريبة المعدوده
وقلت هم أهلى وهم قد أسكنوا نفسى الشريده
فإذ بهم لا يعرفون أنها موجوده

هجوم الربيع :

مزقوا الظلم وذودوا عن حمانا إن يوم الفتك بالأعداء حانا
يا أباة الضيم هبوا إننـــا قد سئمنا اليوم إغضاء ، كفانا
واجهوا الواقع حرا واضحا إن يكن فى الواقع الحر أسانا
وابعثوا الحق وفكوا قيده واملأوا بالعزم روحا وكيانا

عصبة الصهيون يا مهزلة مجها القلب وعافتها رؤانا
هددى ما شئت هل خلت الذى ذاق ماء النيل يرتد جبانا ؟
قد سكتنا وسكتنا أترى تحسبين الصمت ذلا وهوانا
نحن شعب السلم لا نؤذى سوى من تولى الغدر فى البدء وخانا
سنريك اليـــوم أنا ثورة فى سبيل الحق لا تثنى العنانا
موعد الثأر أتى فلتعلمى إن نكن إنسا ففى الهيجاء جانا

الذكرى الثالثة للمرحوم الدكتور ناجى :

أو بين الأمس واليوم :

بالأمس حين دعاك خالقنــا فأجبته ورضيت بالأمر
وهناك فى أرض مقدسة ضوأت قبراً من سنا الطهر
بالأمس جئت إليك غاضبة والثورة الهوجاء فى صدرى
وهمست أستجديك ذاكرة لك صنع كون دائم النكر
نم يا أبى النفس مغتبطا ماذا استفدت على مدى العمر
عانيت ما عانيت من ألم لم تجن غير المكر والغدر
ياكم وكم أبرأت من سقم وشددت من جهد ومن أزر
وسهرت والأحياء نائمة لم ترع حق الجسم والفكر
تجتاحك الأقدار ســـاخرة فتضج كالمسجون فى الأسر
والنفس تشق من مشاعرها مهما بدت موفورة البشر
قد كنت حيـا فى الدنا يقظا والمجد غاف فى دجى السر
أرخصت شدوك للأنام وقد أفرغته فى مسمع الصخر
كحلتهم بالنور فانصرفوا كالعمى بين مهامه القفر
لم يبصروك وكنت كوكبهم عبثا يقدر معدن التـــبر
حتى إذا أغفيت منهزما وطويت صفحة ذلك السفر
جاءوا على عجل ومغفرة ليقدموا لك أجمد النصر
نم يا أبى النفس مغتبطا لا تحسد الأحياء فى الشر
فالشهب إن تسقط تشع سنـا وكذاك حال الشاعر الحر
الموت للفنان مكرمة تحميه من ظلم ومن قهر

فالمجـــد لا تمتد دوحته إلا بأرض من ثرى القبر
بالأمس كنت أقول صادقة واليوم قد غيرت من فكرى
اليوم يفتح عينه زمنى ويهب من إغفائه عصرى
فجر الرجاء بدت معالمه قم . حي مطلع ذلك الفجر
انظر فإن العدل تغمرنا بسناه أيدى القادة الغر
بعث سرى فى مصر مؤتلقاً يا ليت بعثك من دجى القبر
حتى ترى ما صغت من درر وسقيت من ورد ومن زهر
طلابك الشعراء واعجبى صاروا نجوما فى الدجى تسرى
هم يذكرونك فى قرارتهم بالخير . يحتفلون بالذكر
فلقد بذرت بمخصب نضر وبنيت فوق البر لا البحر
وكفاك ما علمتنى زمناً فجعلتنى أرثيك بالشعر

الرحيل :

عندما أرحل عن هـــذا الوجود فتعـالوا
واملأوا قبرى ضجيجا ورعود لا تبالوا
اتركوا الريح وأنواء شتائى تتصبب
إن تغب عنى وعن أفق سمائى أين تذهب ؟
وابعدوا الخضرة عنى والزهورا والنسيم
ربما أصحو إذا ذقت السرورا وأقوم
لا تقولوا إنها كانت . . وكانت كالروايه
ها أنا مت وها روحى استكانت فى النهاية
إنما النسيان للأموات أفضل وأمان
ربمـــا يزلف عقل فى التخيل ولســـان
ربما ذكراى تذوى بالإعاده وتمل
مثلما يسرف قس فى العباده فيضل
لا تبالوا . لم أخف ظلمة قبرى وسكونى
السما والشمس والبحر بشعرى غمرونى

دعاء :

إلهي لاتدعني اليوم وحدي أعاني حرب أفكاري وحسي
فما أنا غير مخلوق ضعيف تغشيني كآباتي وبؤسي
على درب الهوى البشري أمضي وأصبح في دجنته وأمسي
فهب قلبي عيونا من ضياء لكي تحميه من عثرات يأسي
ودعني لا أرى إلا سمائي تناديني على جهر وهمس
وزد مقدار حبك في فؤادي لأملأ ما استطعت فراغ كأسي
لأني إذ أحبك يا إلهي أحب الناس والدنيا ونفسي
لأني إذ أحبك سوف أبقى بغير خطيئة وبغير رجس

الجبال وحبي :

كشف الفجر من وجوه الجبال وطوى غيمه الدجى والظلال
فتراءت مديدة ذكرتني طول بعدي عن مأربي ونوالي
يا لهذي الجبال تشبه حبي عاليات كطيفه المتعالي
قمم فوقهن قلبي أسرى وتلاقت رغائبي ونضالي
وأصول من الوفاء تبدت ثابتات على مدى الأجيال
وسهول بها الينابيع تجري صافيات كدمعي السيال
إن هذي الرياح أنفاسي اللهثى وهذا الأنين لحن الليالي
إن هذي السفوح مرعى خصيب وشقائي يقتات عشب خيالي
أين منها الزهور لاعطر يندى وتعريت من شذا آمالي
هكذا غابت الفوارق عنا غير فرق مهما تضاءل غال
هو أن الثلوج تطفو عليها وانصباب السعير في أوصالي

لسان حال الفتاة المصرية :

مصر يا أخي ويا أغلى مناي أنت يا أعذب ضوء في المقل
أنت يا أعمق نبض في دماي أنت أم لي ستبقى للأزل
كنت يامصر سابق عالة قبل أن يشرق فجر ويهل

كانت الرجعية النكراء تأبى   أن ترى المرأة عقلا مكتمل
فمحت شخصيتى من كونها   تحت ظــل مستبد كالجبل
باسم من ؟ باسم التقاليد التى   أنزل الجهل عليهم وأحل
قــد تحررت ومن حريتى   كان تحريرك يا مصر أجل !
كان الاستعمار يبغى قيدنا   ويرى المصرى ان سار وصل
ويخاف العــلم لو فزنا به   ربما ضوأ عقلا فاشتعل
غير أنى اليوم أثبت وجودى   وطرحت الخوف عنى والخجل
ها أنا حطمت يامصر قيودى   لى عقل ناضج مثل الرجل
فافخرى يامصر إنا أمــة   تأنف الظلم وتأبى أن تضل
قــد تحررت ومن حريتى   كان تحريرك يامصر . أجل
قادة الفكر وأرباب النهى   شجعوا فينا ارتقاء متصل
ورأوا تعليمنا كسبا لهم   قبل أن يغدو حقا مستقل
إنهم قد أدركوا يامصر أنا   مصدر الإرشاد والوعى المطل
إننى سوف أربى طفلهم   أنشر النور عليه والأمل
وأبث العزم فى أعماقه   وهواك الخالد الحر الأجل
هكذا الثورة فينــا علمتنا   وكذا ابنى سيغدل ويظل
قــد تحررت ومن حريتى   كان تحريرك يا مصر أجل
ها أنا يامصر أثبت اقتدارى   واشتركت اليوم فى كل عمل
لم أعد ألزم كالدمية دارى   وأعانى الضيق فيه والملل
وأرى الناس ولا يدرون بى   من خلال الشرفة العليا أطل
صار لى حق ورأى مرشد   وكيان ثابت بين الدول
فافخرى يامصر إنا أمة   تأنف الظلم وتأبى أن تضل
قد تحررت ومن حريتى   كان تحريرك يامصر أجل



جميـلة العلايلى

شاعرة مصرية أصيـلة موهوبة ، تعمل فى حقل الأدب والشعر والصحافة منذ ربع قرن من الزمان ، ولها مجلتها « الأهداف » الشهرية ، ولها كتب عديدة قيمة مطبوعة ، وهذه قصيدة لها عنوانها « إلى ابنتى » :

إيه حبيبة ! أنت عنوان الطهارة والسناء
تهدين أحلى البرء للقلب المضرج بالشقاء
أخشى عليك من الزمان وأنت فى وكر أمين
بين الرفاق وبين أهلك والأقارب تنعمين !
أخشى عليك إذا تلوثت القلوب الراحمة
أخشى عليك من الأحبة والنفوس الظالمة
كم من صديق سوف يرجو ثم يغدر ذا الصديق
من بعد أن تهبى الوفاء كريمة طول الطريق
قد يعلن الدهر خفاياه فيضحى فى افتضاح
من بعد أن أودعت سرك فى حماه المستباح
إن الحيـاة ضنينة بالخير يا رمز الفتاة
بحر تعكر بالخلائق رجع لجتـه الشكاة
وعلى شواطئه القلوب تئن من جرح أليم
تبكى العيون بكاء قلب خانه الحظ الوسيم
بعض يفتش عن رفيق كى يعيش مع الرفيق
والبعض يمضى فوق سطح الأرض فى لهو طليق
البعض يهزج عند زهر الروض باللحن الجميل
والبعض لا يرجو سوى رى يميت به الغليل
وإذا السحاب وقد تلبد بالغيوم وبالرعود
والقدر يفتح جوفه والبنت تقذف للوقود
والدهر يسخر والرجال كأنهم رسل الحمام
والمد يطغى فوق شطآن الحياة والانتقام

يادهر رفقا بابنتي واعطف على ذات الجمال
تلك التي تهب الحياة من الملاحة والكمال
سيكون شأنك كل صب عند بابك ينحني
ولسوف أخشى بعد حين عن سناك تنثني
سيكون وجهك فى الصباح كأنك الرب الجديد
رب المباهج والمفاتن والعواطف والقصيد
هـــذا الإله لسوف ينكره غشوم ملحد
بعد التهافت والتوسل عليهم يتزودوا
وتكاتفوا حول الإله وقد ترنمت الشفاه
حتى إذا منه ارتووا تركوا الضراعة والصلاه
يارب حصن روحها فلروحها سر الفنون
واقهر بها كل الخلائق إنهم أهل الجنون
يارب واحفظ قلبها فى أعلا أبراج السماء
كيلا ترى دنس الحياة وما يولده الدهاء
لتظلى عمرك فى حراسة ذى القلوب الراحمة
وتحاربين الظلم فى هذى النفوس الغاشمة
وتظل تدوى فى المعالم والحياة الخاوية
نغمات موسيقى تذوب لها القلوب القاسية
وتدوم أطياف الأنوثة فى بهاء السؤدد
فتهيء الجو المعطر بالأريج المسعد

ومن قصيدة أخرى لها بعنوان « من وحى الفجر » :

هات اسق قلبي رشفة من نور   فالماء لا يطفى لهيب شعورى
إنى ظمئت إلى حنان دافق   هات الهوى من نورك المأثور
هات اعطنى النور الطهور فانه   يشفى فؤاد البائس المغمور
امنحن ، امنح لا أمل ضياءه   قلبي مجاوب نورك المبرور
قل لى رفيق أنت مؤنس وحشتى   ماذا وراء العـــالم المسحور
قم نادنى ، نادى الهوى متحرراً   اطلق ضميرك شاكيا لضميرى

فأنا التي عذبت من أجل الورى — وأعيش فى الأضداد عيش أسير
الناس تجهلني وقلبك وحده — يدرى أساى ويستبين شعورى
أنا كالغريب وإن تكاثر رفقتى — وربابها أهلي وزاد عشيرى
شع الضياء وضمني بشعاعه — وتلاشت الأوهام طي عبير
ما كل حب يا رفيق صادق — حبي يعبر عن صفاء غدير
حبي كحلمى مثل تحنانى صدى — لهوى الفؤاد السادر المفطور
حبي كنبع الماء يجرى فيضه — فيهيج إحساسى ووحى شعورى
نور على نور ، ولا ليل يرى — حب أراه الضوء فى الديجور
أو كلما قلت اكتفيت من الضنى — يأبى ضياؤك أن يديم فتورى
فإذا تخوفت المآسى فى الملا — عفت المنى ولو ان فيها سرورى
ليل وكم من ليال عشتها — لا أستجيب لغير دمع شعورى
أستاف من أضوائه نور المنى — وأراك قربى ملهمى وسميرى
وأراقب النجم البعيد لعلنى — أحظى بنجم يستجيب لنورى
فإذا تجسم فى الخيال وجوده — نسى الفؤاد مخاوف الديجور
وإذا تفيأنا أفانين الربى — طارت بنا الآمال خلف دهور
فترى العوالم قد تلاشى طيفها — لم يبق فيها غير لحن شعورى
فأود لو نبقى دواما هكذا — قلبا يحن لنصفه المشطور

املأ الأرض نورا

للشاعر الكبير أحمد محرم صاحب الالياذة الإسلامية :

املأ الأرض يا (محمد) نورا واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد فى كل واد فتدفق عليـــه حتى يغورا
جئت ترمى عبـــابه بعباب راح يطوى سيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى أمم الأرض أن تذوق الثبورا
زاخر يشمل البسيطة مدا ويعم السبع الطباق هديرا
ولدتك الكواكب الزهر فجراً هاشمى السنا ، وصبحا منيرا
يصدع الغيهب المجلل بالوحـــى الملق ويكشف الديجورا
أنكر الناس ربهم وتولوا يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس جعلوا البغى شرعة والفجورا ؟
تلك أربابهم ، أتملك أن تنـــفع مثقال ذرة أو تضيرا ؟
قهروها صناعة ، أعجب الأر باب ما كان عاجزاً مقهورا
ما لدى (اللات) أو (مناة) أو (العـــزى) غناء لمن يقيس الأمورا
جاء دين الهدى وهب (رسول الله) يحمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته فتداعى ، وكان خطبا عسيرا
جثمت حوله الحصون وظن الـــقوم ظن الغباء أن لن تطيرا
هدها ذو الجلال حصنا فحصنا بالحصون العلى ، وسورا فسورا
بالرسول الهادى وبالصفوة الأم جاد يقضون حقه الموفورا
يهرقون النفوس ، تلقى الردى المه راق مثل الغدير يلقى الغديرا
إن فى القتل للشعوب حياة وارفا ظلها ، وخيرا كثيرا
ليس من يركب الدنية يخشى موكب الموت بالحياة جديرا
أمن الحق أن تصد قريش عن فتاها وأن تطيل النكيرا ؟
سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم فاستجابوا جهالة وغرورا ؟
أولعوا بالأذى فألفوا رسول الله جلداً على البـــلاء صبورا

كلما أحدثوا الذنوب كباراً وجدوه لكل ذنب غفورا
مابه نفسه فيغضب يرضيها وترضيه ناعما مسروراً
إنه الله لاسواه ، ودين ملك النفس ، واسترق الشعورا
يجد الناس والمقادير فيه ويرى ماعداه شيئا يسيرا
أجمعوا أمرهم وقالوا هو القتل يميط الأذى ويشفى الصدورا
كذبوا ، مادم الهزبر أماذى مهازير يكثرون الهريرا
إن نفس الرسول أمنع جارا من طواغيتهم وأقوى مجيرا
رب آتيته على القوم نصراً فتباركت حافظا ونصيرا
أنت نجيته فهاجر يقضى الحق لا خائفا ولا مذعورا
يوم ضجت جبال (مكة) ذعرا وتمنت هضابها أن تمورا
تتنزى أسى وتمسكها تمنعها من ورائه أن تسيرا
هى لولاك لارتمت تقذف الصخر وتزجى هباءها المنثورا
هاجها من جوى الفراق وحر الوجد ماهاج بيتك المعمورا
كاد يهفو فزدته منك روحا فانثنى راجح الجلال وقورا
يالها من (محمد) نظرات زخرت رحمة وجاشت سعيرا
نظرات شجية لاتعد الأهل أهلا ولاترى الدوردورا
قال : مافى البلاد أكرم من مكة أرضاً ولا أحب عشيرا
فاسكنى ياهموم نفسى إن الله أمضى قضاءه المقدورا
وتولى وللأمور مصير يشترى ربه ، ويرجو المصيرا
يوم يمشى (الصديق) فى نوره الزاهى ، يوالى رواحه والبكورا
لايرى دونه حياة ولا يرهب فى الله لائما أو نذيرا
ينصر الحق ثائرا يمنع الباطل أن يستقر أو أن يثورا
دائم الكر والصراع ملحا لايطيق القرار حتى يبورا
أقبل القوم يسألون : أتحت الأرض أم جاور الطريد النسورا
ويح (أسماء) إذ يشد (أبوجهل) على خدرها المصون مغيرا
صاح : أسماء أين غاب (أبو بكر) أجيبى ، فقد سألنا الخبيرا
قالت : العلم عنده ، ماعهدنا أجم الأسد تستثير الخدورا
فرماها بلطمة تعرض الأجيال عن ذكرها صوادف صورا

قذفت قرطها بعيداً ، ورضت من وجوه النبي وجها نضيرا
(غار ثور) أعطاك ربك مالم يعط من روعة الجلال القصورا
أنت أطلعت للممالك دنيا ساطعا نورها ، ودينا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا كان من قبل عنده مذخورا
مخفر الحق لاجئا يتوقى قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفت حوله الشعوب حيارى من وراء العصور تدعو العصورا
اهدئي أيها الشعوب فإن ال حق أعلى يداً وأقوى ظهيرا
لا تراعى فتلك دولته العظم ى تناديك أن أعدى السريرا
(صاحب القائم) المتوج بالعر فان : بوركت صاحبا ووزيرا
أنت واليته وعاديت فيه من توخى الأذى وأبدى النفورا
ليت شعرى : أصبت حية واد تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟
نفثت سمها فما هز (رضوى) من وقار ، ولا استخف (ثبيرا)
خفت أن توقظ النبي فما ير ضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك لقد أع طاك سبحانه فأعطى شكورا
أي رأس حملت ياحامل الإي مان سمحا والبر صفوا طهورا
اتق الله يا (سراقة) وانظر إنما الرأى أن تكون بصيرا
أتظن الجواد قد خرق الأر ض يحابيك أم تظنه مسحورا
أم هو الله ذو الجلال رماه يمسك الشر راكضا مستطيرا
غرك القوم فانطلقت ترجيـ ـه خسيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين حظا وفيرا
فزت بالعهد فاغتنمه وأبشر (بسوارى كسرى) فديت (البشيرا)
قل لأهل (النياق) أوتيت أجرى جللا ، فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء مثل من رام ناقة أو بعيرا

شوقى يرثى نفسه

نفسى . . ومثل الشمس أنت أشعة ... فى عامر ، وأشعة فى بلقع
لما نعيت إلى المنازل غودرت ... دكا . . ومثلك فى المنازل من نعى
فإذا طوى الله النهار تراجعت ... شتى الأشعة فالتقت فى المرجع
ضجت عليك معالم ومعاهد ... وبكت فراقك بالدموع الهمع
ورداء جثمان لبست مرقم ... بيد الشباب على المشيب مرقع
أسئمت فى ديباجه فنزعته ... والخز أكفان إذا لم ينزع !
فزعت وما خفيت عليها غاية ... لكن من يرد القيامة يفزع
أنت الوفية ، لا الذمام لديك مذ ... موم ، ولا عهد الهوى بمضيع
بان الأحبة يوم بينك كلهم ... وذهبت بالماضى و بالمتوقع

العــودة

للشـــاعر إبراهيم ناجى ، وهى من أشهر القصائد فى الشعر المصرى المعاصر :

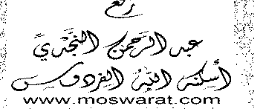
هذه الكعبة كنا طائفيها   والمصلين صباحا ومسـاء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها   كيف بالله رجعنا غرباء
دار أحلامى وحبى لقيتنـا   فى جمود مثلما تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت إن رأتنا   يضحك النور إلينا من بعيد
رفرف القلب بجنبى كالذبيح   وأنا أهتف يا قلبى اتئـد
فيجيب الدمع والماضى الجريح   لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد
لم عدنا أو لم نطو الغرام   وفرغنا من حنـين وألم ؟
ورضينا بسـكون وظلام   وانتهينا لفـراغ كالعدم ؟
أيها الوكر إذا طار الأليف   لا يرى الآخر معنى للهنـاء
ويرى الأيام صفرا كالخريف   نائمات كرياح الصحراء
آه مما صنع الدهر بنـا   أو هذا الطلل العابث أنت
والخيال المطرق الرأس أنا   شد ما بتنا على الضنك وبت
أين ناديك وأين السـمر   أين أهلوك بساطا وندامى
كلما أرسـلت طرفى ينظر   وثب الدمع إلى عينى وغاما
موطن الحسن ثوى فيه السأم   وسرت أنفاسه فى جوه
وأناخ الليل فيـه وجثم   وجرت أشباحه فى بهوه
والبلى أبصرته رأى العيان   ويداه تنسجان العنكبوت
صحت يا ويحك تبدو فى مكان   كل شىء فيه حى لا يموت
كل شىء من سرور وحزن   والليـالى من بهيج وشجى
وأنا أسمع أقـدام الزمن   وخطى الوحدة فوق الدرج

ركنى الحانى ومغناى الشفيق   وظلال الخلد للعانى الطليح
علم الله لقد طال الطريق   وأنا جئتك كيما أستريح
وعلى بابك ألقى جعبتى   كغريب آب من وادى المحن
فيك كف الله عنى غربتى   ورسا رحلى على أرض الوطن
وطنى أنت ولكنى طريد   أبدى النفى فى عالم بؤسى
فإذا عدت فللنجوى أعود   ثم أمضى بعدما أفرغ كأسى

الثغر

قصيدة للشاعر إبراهيم ناجى بهذا العنوان :

تعال نزف للثغر السلاما ... ألست ترى على الثغر ابتساما
ألم تشعر كأن يدى عزيز ... مسحن لك المواجع والسقاما ؟
كأن خطى العباب خطى حبيب ... كأن الموج أقدام ترامى
سلاما يا عروس الماء إنى ... أحبك لا أمل بك المقاما
أسير إلى لقائك نضو شوق ... وأرجع عن ربوعك مستهاما
وإن طال الزمان فنصب عينى ... عليك خيال أحبابى القدامى
وإن طاح الزمان بكأس حبى ... فلا الساقى نسيت ولا الندامى
بربك أيها الأنوار ماذا ... تركت لساهر ألف الظلاما ؟
بربك أيها الأمواج ظلت ... على الشطئان ترتطم ارتطاما
عبابك فى دمى وشذاك باق ... وهذا الصوت أسمعه دواما
عرفتك والمصيف عليك زاه ... كقرن الشمس يضطرم اضطراما
عرفتك والشتاء يمد ظلا ... وينشر فى جوانبك القتاما
عرفتك والعباب عليك غاف ... كأن الفجر وسده فناما
فؤادى قم بنا نشكو شجانا ... لصخر فى جوار البحر قاما
تعال ولا تقل هـــذا جماد ... وكيف تروم بالصخر اعتصاما
فكم فى الحى من قلب أصم ... تجاهل أو تنكر أو تعامى
وكم صخر أحس بما عنانا ... وما عرف الحديث ولا الكلاما



من ملحمة الأطلال

للشاعر الدكتور إبراهيم ناجى :

أين للعين حبيب ساهر فيه نبل وجلال وحياء
واثق الخطوة يمشى ملكا ظالم الحسن شهى الكبرياء
عبق السحر كأنفاس الربى ساهم الطرف كأحلام المساء
مشرق الطلعة فى منطقه لغة النور وتعبير السماء
أين منى مجلس أنت به فتنة تمت سناء وسنا
وأنا حب وقلب ودم وفراشى حائم منك دنا
ومن الشوق رسول بيننا ونديم قدم الكأس لنا
وسقانا فانتفضنا لحظة لغبار آدمى مسنا
قل عرفنا صولة الجسم التى تحكم الحى وتطغى فى دماه
وسمعنا صرخة فى رعدها سوط جلاد وتعذيب إله
أمرتنا فعصينا أمرها وأبينا الذل أن يغشى الجباه
حكم الطاغى مكنا فى العصاه وطردنا خلف أسوار الحياه

دار الامام

كان الشاعر الحاج محمد الهراوى يزور عين شمس فشاهد أطلال دار الإمام محمد عبده بها، فرثاه ورثاها بهذه القصيدة التى احتذى فيها حذو البحترى فى سينيته :

أطلالا وأنت فى عين شمس ... وعبوسا من بعد صفو وأنس؟
كيف أصبحت يامثابة غاد ؟ ... كيف امسيت يامنارة ممسى ؟
كنت والعهد منك غير بعيد ... بيت ملك بغير تاج وكرسى
كنت للفضل والمكارم والنبـ ... ـل جميعا ، للناس من كل جنس
كنت للعلم ، والمعلم ، والطا ... لب ، مجلى نهى ، ومعهد درس
عطلت هذه الدروس وكانت ... ملء أهل الزمان فى كل حس
وانطوت ثم لا يزال صداها ... بين صدر يرن فيه وطرس
فانظر الدار وهى قفر خلاء ... بعد أهل، فهل ترى من محس؟
واسأل الرسم إن أصبت جوابا ... فى كلام أو فى إشارة خرس
هيه يادار بعد أنس أجيبى ... كيف أوحشت بين يوم وأمس؟
لا تراك العيون من دمعها المسـ ... ـبل حزنا ، إلا بنظرة خلس
نظرات تعيد ذكرى إمام ... كاد ينسى ، وصنعه غير منسى
حسدت مجدك الليالى فمالت ... بعد لين عليك ميلة بأس
اقفرت هذه الربوع وأقوت ... واستحالت إلى معالم درس
لا يكاد البناء يقوى على الأر ... ض ولا يثبت الجدار بلمس
ما بناك الذى بناك لزهى ... بالذى شاد من قباب وأس
وهو لو شاء شاد عرشا وفرشا ... من لجين ومن حرير الدمقس
إنما آثر التواضع حكما ... للذى فيه من تواضع نفس
ليس يعنى بزخرف العيش حر ... قطع العيش بين نفى وحبس
فأقام البناء من لبنات ... خشنات أطرافها غير ملس
لا يبالى وكل شىء سيبلى ... أن يطوف البلى عليه بطمس
أنكر النفس ثم باع هواها ... فى سبيل الأوطان بيعة بخس
ومضى يحمل الكريهة فردا ... مستهينا بكل بأس وبؤس

مستعينا بالله والحزم والعز ... م ووحى الحجى وتدبير رأس
نفس حر تجملت بخـــلال ... يتجافين عن صغار ورجس
خصه الله بالمواهب والرأ ... ى بعيد المرام صلب المجس
رجل كان حين يقطع أمرا ... يتقاضاه من مخالب يأس
ليس يثنيه عن أياديه قوم ... يصبغون الجميل صبغة ورس
فلقد عاش (عبده) فى زمان ... جل من فيه أهل كيدودس
حســدوا فيه نعمة الله فيهم ... ورموه بكل منكر حدس
فاذا مات أيقنوا أى ركن ... هدمته يد الضلال بفأس
قل لشعب حظ النوابغ منه ... حظ سقراط حين أودى بكأس
تقتلون النبوغ حيا وتمضو ... ن بكيا عليه فى بطن رمس
أيها الناس، ههنا قام بيت ... فوق آثار خفرع وكيوبس
لم يكن من صروح هامان فرعو ... ن ولا كان من حصون الفرس
فاذا ذل فالذى قد بناه ... ليس من طينة الذليل الأخس
آه لو كان شكسبير بناه ... أو بناه أخوه «هيجو» الفرنسى
لرأى الناس أى دار تجلت ... واستحالت إلى حظيرة قدس
أثر النابغين فى كل شعب ... هو ميراث كل جيل وحرس
أيها الناس ههنا سر مجد ... قبست منه نورها عين شمس
وهنا ههنا أشعة ذكرى ... تستضىء العقول منها بقبس
فأقيموا البناء من قبل أن يأ ... تى يوم يحول فيه للبس
واجمعوا فيه ما تشتت منه ... بيد الدهر من متاع ولبس
واجعلوه للعلم داراً وللد ... ين مناراً، أو مرجعا للتأسى
ينبرى للوفود منه خطيب ... صامت القول فى بلاغة قس
يوعظ العقل للحياة ويمضى ... يفتح العين من عماء ونعس
ذاك من جانب الوفاء إلى الشعـ ... ب نداء لصاحب غير نكس

وا أماه

وهى قصيدة من عيون الشعر ، للحاج محمد الهراوى :

تكشفت للأحداث بعدك يا أمى فيا طول ما ألقى من الحزن والهم
لى الله يا أمـــاه ما أنا بالذى تعود أن يقوى على الحادث الجهم
تلمست حزمى فى المصاب فعزنى لقد غاب عنى فى الثرى مصدر الحزم
فقدت التى كانت إذا شط بى النوى تسائل عنى فى الدجى سارى النجم
وإن ترمنى الأقدار منها بحادث تلقفه عنى على الروح والجسم
وإن تربت كفى تجود بروحها مخافة ما لم أحتمله من العدم
وإن مسنى سقم ثوت عند مرقدى لزاما فلم تبرحه إلا مع السقم
على أنها والسقم يبرى عظامها تحاول أن تخفيه عنى بالكتم
ولو أنها اسطاعت لأخفت حمامها وقد حم ، إشفاقا على من الضيم
فيا رحمتا للفاقدى أمهـــاتهم من الناس مثلى أو من الطير والبهم
فإن الحنان الحق فى الأم وحدها وغير حنان الأم ضرب من الوهم
هى الأم سر لست تعرف كنهه وإن خلتها فى صورة الدم واللحم
يقولون فانظر رسمها بعد موتها فقلت لهم فى الرمس أمى لا الرسم
فإن فاتنى ذاك الحنان التمسته على حسرة من ذلك القبر باللثم
دفنت به من لا ينى إن دعوته إلى معشر صم إذا ما دعوا بكم
فإن قلت يا أماه أغنانى اسمها عن الأب والأبناء والخال والعم
عصامية كانت على حين أنها لها نسب فوق النقيصة والذم
وأمية كانت ولكن رأيها لدى معضلات الأمر فوق ذوى العلم
فقدت أبى طفلا فلم أدر ما الأسى وأفقدتها كهلا فهد الأسى عزمى
سلونى أحدثكم عن اليتم بعدها فإن اليتيم الكهل أعرف باليتم
فيا ليت أيام الحياة وقفن بى لدى موضعى منها من اللثم والضم

ويا ليت لم يقطع بنا الدهر شوطه   فإن خطاه للقطيعة والصرم

سرى لى يا أماه طيفك فى الكرى
    فغاب خيال الأم عن زورة الأم

وأنى لى السلوى وقد حال دونها   مثالك فى عينى وطيفك فى حلمى ؟

سأخضع يا أمى لقلبى ومدمعى
    على رغم ما أسديت من نصحك الجم

وأبكيك بالقلب الذى تعرفينه   وللدمع شأن غير ذلك فى الحكم

ليلة حوراء

للشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى :

رق الظلام بليلة ... حوراء كالطرف الكحيل
سحر العيون كسحرها ... بين الشواهد والشكول
هى فتنة الحدق الملا ... ح ونعسة الطرف العليل
رق الظلام كأنه ... متفيأ الظل الظليل
فى روضة فينانة ... هجر الهجير بها المقيل
وصفا الدجا فكأنما ... مزج النهار به الأصيل
فتمازجا كتمازج الـ ... ماء المصفى والشمول
فى جنحها وصفائها ... قرن الجليل إلى الجميل
وتصالحا من بعد ما افـ ... ترق السبيل عن السبيل
تحنو علينا مثلما ... يحنو الخليل على الخليل
وتخالها حلما بسعـ ... د جل عن قيد العقول
ولرب ليل فاحم ... فيكاد يقطع أو يسيل
لا مثل ليلتى التى ... تندى على الوجد الدخيل
فى سحرها وصفائها ... ونجومها برء الغليل
صم السكون كأنه ... ملك على الدنيا نزيل
فكأنها رسم بدا ... وكأنها حلم مخيل
فى مثلها من هدأة ... سكن القضاء فلا يصول
وكهدأة فى معبد ... للخاشعين به مثول
وكأنما أغفى الهوا ... ء كغفضة الطرف الكليل
والبدر طيف فى المنا ... م يطيف كالحب الوصول
فى مثلها من ليلة ... عبد الدنى أهل الحلول
ورأوا تجلى الله فى ... كون عراه له ذهول

والزهر كالمسحور وسـ نان المحاسن فى ذبول
والنهر غاف واكد نسى الترقرق والمسيل
وسنان يحلم بالريا ض وظلها فيه الظليل
فى مثلها من ليلة تقف الزمان فلا يحول
يصغى إلى نجوى القلو ب وذكرها العهد المحيل
كوقوف نجم سمائها يثنيه من سحر ذهول
كذهول مسحور بما تجلو من الحلم الجميل
يا ليل بل يا سحر بل يا حلم ليتك لا تزول

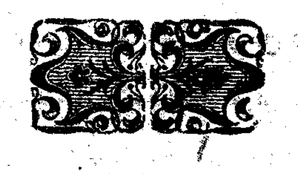
على هامة الدنيا

للشاعر الكاتب الأديب الأستاذ عبد الفتاح بدوي، وقد كان أستاذا فى كلية اللغة العربية وتوفى رحمه الله عام ١٩٤٤ م

على هامة الدنيا يطول به الفخر ... وتخلد ذكراه ويستشرف القدر
وماذا كميلاد النبي محمـد ... إذا طاب فى الناس الأحاديث والذكر؟
نبى إذا ما الصالحات تقدمت ... إلى الأرض كانت عن يديه لها صدر
أضاء به الحق الصريح على الورى ... وبادت عن العقل الغياهب والأسر
لك الله مولودا لك الله يافعا ... لك الله فى الشبان تحلو إذا مروا
يتيم أعز الله فى الناس يتمه ... فلا عابه يتم ولا شانه فقر
يشب فلا الدنيـا تميل بقلبه ... ولا فعله ذام ولا قوله هجر
ولكن رسول الله ينهض فى الحجا ... فتيا ويمشى ملء أثوابه طهر
إلى « جبل النور » المنيف ثواؤه ... وفى «جبل النور» الطرائف والذخر
يحدثنا منهـا « حراء » وغاره ... و«زمزم» و«البيت المقدس» و«الحجر»
مشاهد فيها الحق ثاو وفارع ... وفى كل ربع من مرابعها سر
أطاف به روح من الله مرسل ... وفى يده الآى الحكيمة والذكر
فقام خفيف الصدر يأوى لبيته ... لينظر ماهذا؟ وما هو ذا الأمر
يبث إلى الزوج الصديق فؤاده ... وعند ذوات الخدر قد يودع السر
«خديجة» ماهذا الذى أنا واجد ... وما مثله سر ولا مثله جهر؟
أرى رجلا لا كالرجال وسيدا ... صبيح المحيا مثله بيننا نزر
يقول هلم اقرأ وما أنا قارئا ... ولكن أمرا نافذا ذلك الأمر
قرأت كلاما كالأمانى حلاوة ... ولكنه كالنور ليس له ستر
تبارك ربى ما أجـل كلامه ... من الصدق والحق والبطائن والظهر
أجل: ليس يخزيك الإله فإنما ... لأنت قليل فى الرجال وهم كثر
فإنك تقرى الضيف والضيف طارق ... وتحمل فينا الكل أثقله الدهر
ويقصدك المكروب فاماع كربه ... ويمرح فى جدواك عاف ومعتر
على بأن نلقى «ابن نوفل» إننى ... أرى الخير يأتينا وليس بنا ضير

ألا يا ابن عم انظر فإنك عالم ... يكن عندنا عن ذلك الخبر الخبر
فقال وقد ألقى وأنعم سائلا ... لأنت رسول الله تم لك الأمر
فما زال يدعو ليــله ونهاره ... إلى الله ترعاه العناية والصبر
وكم حــزبوه والأسنة شرع ... وكم ألجئوه والخطوب لها إصر
فصــابرهم والله غالب أمره ... وجاوبهم والحق صولته قهر:
لـئن كانت الشمس البهية فى يدى ... يمينى فى اليسرى الكواكب والبدر
لأترك هـذا الأمر ما أنا تاركا ... الى الموت أو ألقى وفى يدى النصر
وفى الحق عن كل اللذائذ غنية ... لمن كان ذا قلب وكان له ذكر
ومن كان فى الله مناه وهمــه ... تدين له الدنيا ويطامن الصخر
فأبلغ موفور الكرامة شرعة ... يفيض الهدى فى الناس وهى له نهر
وكفل الدنيا سعادة أهلها ... حنيفية غراء منبتها اليسر
يصوغ من الأيام ـ والشر ماؤها ... رياض العلا فى جوها عبق الزهر
من البر والتقوى حياة وطيدة ... الى الخلد لا تبلى وليس بها عسر
وغير وجه الأرض إى فى ثلاثة ... وعشرين عاما لا يقاس بها عمر
فلو زرع الزيتون ما طاب غرسه ... ولا جادنا زيتا ولا حسن العصر
ولكن رسول الله أنشأ أمة ... هى المثل الأعلى هى السادة الغر
فأعجز حتى المرسلين بعزمه ... ومن ذا سواهم أن يكون له ذكر؟
أرونى ضلالا حال هديا وحكمة ... وفوضى على آكامها ينبت الخير
وقوما يرون الرجس دينا وشرعة ... حياتهم بغى ومعروفهم نكر
يبدلهم خلقا جديدا مبدلا ... ويفرغهم فى قالب كله بر
ويزجى بهم فى كل واد ومنزل ... مضابيح سود الأرض من نورها قمر
سقاهم من الاسلام روحا روية ... فأعمالهم صدق وأخلاقهم در
مشوا فى فجاج الأرض كالغيث كلما ... أناف على واد فأثوابه خضر
وبين يديهم للكتاب منائر ... يضىء على أنوارها البر والبحر
تنوء الى «دار السلام» وتنتهى ... إلى الخلد لا برد هناك ولا حر
الى الملأ الأعلى إلى «الله» وحده ... فيا ظلمة الإشراك قد طلع الفجر
رويد بنى الدنيا رويد غلاتها ... فشأنكمو شأن وأمركمو أمر
ملأتم حياة الناس إثما وفتنة ... وصيرتم الدنيا هى الظلم والضر

وسعرتموها كالجحيم مؤججا فأولها نار وآخرها جمر
وألهبتم الشهوات فى كل جانب من الجسم حتى لا يصان لها سر
ملأتم طباق الأرض بهجة ناظر ولكن صدور العالمين هى القبر
تمزقها الأهواء كل ممزق ويفسدها الإلحاد والغل والمكر
لقد جاءكم فى كل شىء رشاده فليس لغاو بعده أبدا عذر
هدايتكم لله فى الدين فاعلموا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فالكفر
سلام رسول الله لست ببالغ قليلا ولو أوفى وطاوعنى الشعر
سلام رسول الله صفو مبارك تردده الدنيا وينشره الحشر



نفثـــــة

يقول عباس محمود العقاد(١) من قصيدة بهذا العنوان :

ظمآن ظمآن لا صوب الغمام ولا عذب المدام ولا الأنداء ترويني
حيران حيران لا نجم السماء ولا معالم الأرض فى الغماء تهديني
يقظان يقظان لا طيب الرقاد يدا نيني ولا سمر السمار يلهيني
غصان غصان لا الأوجاع تبليني ولا الكوارث والأشجان تبكيني
شعرى دموعى وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها جفن محزون
ياسوء ما أبقت الدنيا لمغتبط على المدامع أجفان المساكين

---

(١) ١٥٤ جـ ٢ ديوان العقاد .

الشعر والشاعر

للدكتور عبد الوهاب عزام ، وهو لايعرف بالشعر ، ولاينظمه إلا نادرا :

هو وحى فى شعاع القمر   يملأ القلب ضياء وسلاما
أوحديث فى حفيف الشجر   أفشت الريح له سراً فهاما
أو بكاء فى حنين الوتر   ملأ الأنفس وجداً وغراما
هو طل الفجر فوق الزهر   يملأ الروض دموعاوا بتساما
ثم يبدو مثل قدح الشرر   بين خفق القلب والهم صداما
أو تراه كالوصايا العشر   بين ومض البرق والرعد كلاما
ذلك الشعر إذا ما ترجما   عن خفايا وحيه اللفظ المبين
رب شعر وحيه قد كتما   أبلغ الأشعار ما لا يستبين
يخلق الشاعر خلقاً آخراً   من خيال حائر فيه المدى
يجعل الليل غرابا طائراً   خاف نسر الصبح لما أن غدا
ويرى النجم شريداً حائراً   هام يبغى فى الدياجى موردا
ويفيق الناس عنه ثائراً   فيرى القصة خلقا مسعداً
يبرأ الأبطال فيها ساحراً   فتراهم فى البرايا خلدا
مثلا فى السير يبقى سائراً   أو حليف اللعن يبقى أبداً
كم هدى الشاعر قبلا أمما   وحدا فيها إلى العز المكين
وبنى للمجد فيهم سلما   فاستقاموا للمعالى صاعدين
وجه من يهواه روض ناضر   ألفت فيه من السحر معانى
ومن الطرة ليل كافر   ضللت فيه دموع وأمانى
دولة الحسن ، عليها ساهر   نابل من طرفه والحاجبان
ومن البحر جحيم ساجر   ومن الوصل فراديس الجنان
غضبة الشاعر ليل زافر   جلل الأرض بنار ودخان

ورضا الشاعر صبح سافر ملأ الأرض بنور وأمان
يصبغ العالم ما شاء كما لعبت باللون أيدى الراسمين
فإذا شاء أراه مأتمـا وإذا شاء فعرس الفرحين
ويلف السحب من نيرانها فى إهاب الغيظ والحقد المكين
ويسيل البرق من أجفانها سيف ثأر مصلتا للظالمين
ويقود المزن من أرسانها بيد الريح شمالا أو يمين
ويعد الرعد من تحنانها حين يروى الأرض بالغيث الهتون
أو يرى فيه صدى طغيانها رددته رهبة للسامعين

شعر وخمر

هذه قصيدة للشاعر خليل شيبوب ، جاء فيها :

أحب الخمر للخمر   وأهوى الشعر للشعر
ففى هذين تعزيتى   من الأحزان فى العمر
يدب الشعر فى نفسى   دبيب الخمر فى صدرى
فتجلو صدأ القلب   ويجلو صدأ الفكر
تزيد صبابتى سكراً   يساعدنى على سكرى
فأنسى أننى حى   أسير فى يد الدهر
كأنى قد خلصت من الزمان فلا أسى يجرى
ولا ليل ولا صبح   سوى الأحلام لو تدرى
مضيئات دجى نفسى   ضياء الأنجم الزهر
خيالات حسان كلها فى خاطرى يسرى
مموجة أشعتها   نظير أشعة الفجر
إذا اضطرب الفؤاد بها اضطراب الموج فى البحر
وسوت نشوة الكاسا   ت بين السر والجهر
ومالت بى وملت بها   وصار العرف كالنكر
وقام الشعر ينشدنى   أهازيج من النصر
مقفاة بها ضرب   من الإلهام والسحر
يخيل لى ولو حيناً   بأنى شاعر العصر
أحبك يا منى زالت   وأبقت حسرة الذكر
فقلبى بعدها قفر   من الآمال فى قفر
إذا بسم الشعاع بها   تبسم ذلك الثغر
وذكر وجه من أهوى   وكان كطلعة البدر
أعاد اليأس فى نفسى   إليه نافذ الأمر

حبيب لم أفز منه بغير الحب والغدر
وما علمني حبيه غير الشوق والقهر
فوطنت الفؤاد على أسى أذكى من الجمر
ووطدت الحياة على جمود البعد والهجر
كأني قد بنيت له بها صخراً على صخر
تلوميني على شربي ألا لومي على صبري
وتلحيني على نظمي ألا فالحي على نثري
أأعطى الدهر آمالي فيأخذها بلا شكر
أما عندي من يأسي ولو شيء من العذر ؟
فلولا نشوة الشعر ولولا سورة الخمر
لما امتدت حياتي بي وكنت اليوم في قبري
فوالهفي على حبي ووا أسفي على عمري

لفتة إلى الثلاثين

للشاعر السيد « حسن القاياتي » قصيدة عنوانها « لفتة إلى الثلاثين »

طالما عاتبت دهري ولشد — أترى ينصفني منه أحد
إن في جنبي للدهـر أسى — لو عداه ماء صبري لاتقد
ويح دهر غض مني سيداً — إنه استل حساما فاغتمد
أين عني في الثلاثين الردى — ياالشباب البدر جاوزت الأمد
إن حتفا يتصدى غبطة — كان خيرا من حياة في كمد
كم أمني للأماني غـدا — قلما يكبر من شأني غد
بعض ما أشكو وما أكثره — إن حرا ليس يشكو ماوجد
ما لدر خاطري معـدنه — لا أراه زان جيدا ذا جيد
ما بشمسي من خفاء ساعة — إن في أعين قوم لرمد
ليس ما ألقى شديداً وحده — إن ما يلقى مضيعي لأشد
سوف يدمي كفه من لوعة — تارك اللؤلؤ نهبـا للبدد
كيف أسدي من قريضي فتنة — وإذا عد فتاه لا أعد ؟
جن بالنابه عهد ربمـا — لقب النابه بالفرد الصمد
نابه غني فاثنت فتيـة — عند شعب يصطفيه فاعتقد
أي غر من تظني أن من — نال صيتا فات في الشعر الأمد
رتل الوحي فلم يسجد له — وانبرى هزل فلان فسجد
حي من تهوى بما كان ادعى — ثم قدره بمـا كان اجتهد
ربما أطلع قـوم انجما — إن ليل الجهل أرسى بل خلد
فتنت مصر بشيئـين هما : — بعد صيت وطلاء فوق خد
لا تخل أن خمـولا سبة — جل ما يخفى على الناس الرشد
عزة الحق بمن كان اجتلى — كيف يهدي لا بمن كان احتشد
اقرنوا بي خيرهم قافيـة — تبصروه كان جمـرا فخمد
واملئوا باسمي أذني نابه — تنظروا اصدر الفتى حينا اتقد

هاب أن يملأ مني عينــه مالىء كفيه من ناب الأسد
كلمـا غنى سرى شعبه عطل الشعب المثانى بل جحد
لا اكتسى من شق عنه ثوبه واهن الشعر سوى عار الأبد
كلما قد سخيف درعــه من سخيف خلت أحشائى تقد
رب بيت مستجاد حــله رب بيت واهن لم يستجد
نحن بالشعر انفردنا دونه وانتحى بالحمد عنـا فانفرد
من تغنى بالمثـانى فاستبى لم يرعه من تجنى فانتقــــد
لا أقال الله عثرات امرىء قام بالخدعة يزهى أو قعد
كل سام سوف يعلى بجـده ليس تبنى للسموات العمد
نوهوا بالحزم فيكم حاكمـا إن للحزم لحكما لا يرد



حنـــــين

للشاعر عزيز أباظة :

خميلة فى حواشى النيل مونقة   يلفها الضاحكان : الروض والماء
منضورة طلقة الأعطاف راوحها   بالضم صبح وبالتقبيل إمساء
كأنما من شعاع الراح نمنمها   مجودا عبقرى الفن وشاء
تمسى وتضحى بها سمراء لاعبة   كأنها فتنة يقظى وإغراء
تمسى تهادى دلالا خطو مترفة   لفاء وهى هضيم الكشح هيفاء
إذا انتشت فى صدور الليل فهى رشا   وحين تهفو هواديه فرقطاء
وإن سكبت رجائى فاحتست عللا   فالعقل مستيقظ والعين سجواء
تلق الحديث خفيف الجرس منخزلا   كأنما يعتريها فيه إغفاء !!
وقد تساعف عيناها فتكمله   إن البلاغة تكسير وإيماء
ياجارة النيل فى عليا « زمالكه »   حيث الضحى ذهب والليل لألاء
أبثك الشوق مشبوبا تساقطه   على مغانيك أرواح وأنداء
ترى أعهدى مرعى أم انبعثت   تعطو إلى لذة التغيير حواء ؟ !
وأن حـــواء والدنيا بفتنتها   سحر وعزف وأنغام وصهباء
طلسم دهر ، فلن تجلى له سجف   ونحن للضعف والأهواء أنضاء
إليك أشكوك ، والشكوى لذى جنف   ضراعة يتحاماها الأعزاء
لم تهف لى منك مذ بنا محبرة   كأنها من نشيد الخلد أجزاء
مخمورة الشوق جالت فى رقائقها   يد مقبلة القفاز بيضاء
مسكية الرقم تسنى فى غلالتها   كأن أحرفها السوداء أضواء
أطالع الصبح مطويا على شجن   فإن دجا الليل فالظلماء رمضاء
وأسأل البرق ، هل وافت نوابضه   والطائرات أفيها عنك أنباء ؟
حتى إذا الليل لفت بى جواشنه   قلت الصباح ، فإن الصبح جياء

وكم أهبت بقلبي أن يكف ، وأن يسلو ، فأعرض عني وهو أباء
وقال ، ما القلب إلا رحمة وهوى فإن خلا منهما ، فالقلب أشلاء
وقال فاختر . فقلت الصبر أجمل بي وربما حمد الرق الأرقاء
يا أبخل الناس بالحسنى وأن أسيت بها جراح وآلام وأدواء
أمعنت في الجور . شر الجور ما عملت ثقال أعبائه الصحب الأحباء
لمن خلائق أطلاع سطوت بها وقد نمتك المساميح الأجلاء ؟
زيدي جفاء ، وحسبي أنني رجل أنت الهواء له والشمس والماء
وأن عيني ترى الأيام محسنة إذا تراءتك ، والأيام أعداء
وأن قلبي وإن صارمت مثله وأن أذني إذا تلحين صماء



طرابلس

كان الشاعر محمود غنيم فى بعثة وزارة التربية والتعليم للإشراف على الامتحانات فى ليبيا ، فأوحى اليه كرم الوفادة بهذه القصيدة تحية لطرابلس والشعب الليبي الشقيق » :

قالوا : الجمال هنا والمجد فاقتبس ... فقلت : كل المعالى فى « طرابلس »
لما نزلت بها باتت تذكرنى ... أمجاد مصر وبغداد وأندلس
فحركت شجنى رغم السرور بها ... فاعجب لمبتهج فى ثوب مبتئس
يا أمة ورثت مجد العروبة لو ... قست النجوم بها فى المجد لم تقس
لاضيف أكرم من ضيف يجاوركم ... بالدار والأهل والأحباب مؤتنس
ماذا لقينا لديكم من مؤانسة ... دلت على كرم فى النفس منغرس ؟
فيكم من البدو أخلاق مبرأة ... من كل ما حوت الأمصار من دنس
هب النسيم على أحيائكم سحراً ... من جانب البحر رطبا عاطر النفس
ماست غصونكم من تيهها بكمو ... بين الرياض ولولا التيه لم تمس
إن لم تكن جنة المأوى دياركمو ... فما دياركمو منها سوى قبس
أنتم بنو العرب الأمجاد زانكمو ... حسن المحيا وسحر المنطق السلس
المترعون كئوسا غير آثمة ... من كل نبع من الصحراء منبجس
الثائرون على الطغيان من قدم ... بكل حر يبيع النفس بالبخس
أشبال « ليبيا » كأنى إذ نزلت بكم ... نزلت بالقبلتين : الحجر والقدس
كأن عاهلكم عدله عمر ... كفاكم الله شر الحاكم الشرس
أبناء يعرب هبوا من سباتكمو ... دوى الأذان ورنت صيحة الجرس
خطوا على العلم والأخلاق دولتكم ... وشيدوها من الشورى على أسس
وحصنوا أرضكم من كل مغتصب ... بكل مدرع فى الحرب مترس
باتت تنازعنا أوطاننا أمم ... مدت إلينا قديما كف ملتمس
جاست خلال مغانينا ولو لمحت ... طيف الحديد وطيف النار لم تجس
طال السكوت على شعب يضام بلا ... ذنب وحر رهين البحر محتبس
والله ما نسيت مصر جراحهمو ... وإن تكن فى جلاء الظلم فى عرس

أين الذين على حق الشعوب بكت … عيونهم؟ هل أصيب القوم بالخرس
قالوا : السلام وصالوا فى مخاتلة … صيال وحش حديد الناب مفترس
قل للألى بسلاح الذرة افتخروا … العرب سادوا الورى بالسيف والفرس
الفاتحون بجند من مبادئهم … والعاصفون بملك الروم والفرس
جابت مواخرهم ظهر العباب ولم … تترك خيولهمو شـبرا من اليبس
أبناء يعرب طال الليل فانتظروا … شعاع فجر يجلى ظلمة الغلس
إن العروبة لا تفنى ولو فنيت … شم الجبال فناء الأربع الدرس
محروسة بجنود الله ظافرة … أما كفى بجنود الله من حرس؟
بنى أمية فروا من مضاجعكم … فما نسيتم ولا المجد القديم نسى



الشاعر

وهي قصيدة للشاعر محمد عبد الغنى حسن شاعر الأهرام ، يرثى بها الشاعر على محمود طه :

الروض بعدك عابس متجهم ... مذ غاب عنه الصادح المترنم
يغشى خمائله السكوت كأنما ... صفرت جوانبه وجف البرعم
لا وحى فيه على منازل وحيه ... يرجى ، ولا فيه خيال يلهم
تعلو مراتعه الأنيسة وحشة ... ويسوده الحزن الكئيب المؤلم
لا الفرحة الكبرى تشيع بجوه ... طربا ، ولا أزهاره تتبسم
لعب الشتاء بصفحتيه ودمدمت ... فى عوده الريح التى لا تهزم
نفضته أوراقا تبعثر جمعها ... لله ما تذرو الرياح وتحطم
آهان لو تدرى الرياح بما درت ... وبأى أزهار الخميل تدمدم
جهلت مقامك وهو أرفع موطنا ... مما يحيط به القضاء المبرم
أتحيط عاتية الرياح بشاعر ... يعلو على الإعصار حين يحوم ؟
أتحيط قاسية الهبوب بشاعر ... أنفاسه النسمات حين ينغم ؟
أتحيط حامية اللهيب بشاعر ... فى ظله سكن لمن يتضرم ؟
أتحيط عاصفة المغيب بشاعر ... هو من عتيات العواصف أعظم ؟
لو أنها علمت مقامك لاستحت ... لكنها حمقاء ليست تعلم ....
مجنونة اللفحات ، تخبط ، مانجا ... متأخر منها ولا متقدم ....
لا تسلم الأزهار من لفحاتها ... والشوك تخطئه هناك فيسلم
هى حكمة خفيت على أفهامنا ... كم حكمة لله ليست تفهم
أيعيش شوك جردت أعطافه ... ويموت ورد بالعواطف مفعم
يا أيها الملاح مالك لم تعد ... الشاطىء المهجور بعدك مظلم
وقف الندامى فيه لم تهتف بهم ... شفة ، ولم يضحك بسامرهم فم
يترقبون هناك عودة شاعر ... قد لفه البحر الخضم الأعظم
وضعوا الأكف على العيون ليرقبوا ... وتنظروك على الرمال . . وخيموا
لكنما طال المدى بوقوفهم ... فاستوحشوا من يأسهم واستسلموا

قل للرفاق الحالمين تيقظوا ... ودعوا الأمانى الكواذب عنكمو
حلم من الأحلام عودة ذاهب ... لا تحلموا بمجيئه . . لاتحلموا
إنى أرى خلف العباب بقيـة ... منشورة من زورق يتهشم
مجداف صاحبكم وهت ضرباته ... وشراعه متخرق متثلم
عصفت به الموج التى لا تنثنى ... وقست به الريح التى لا ترحم . .
بالله لا تضعوه طى نعوشكم ... فضلوعه فى النعش قـد تتألم
وضعوه فوق حطام زورقه . . كما ... قد كان يهوى فى الحياة ويحلم
لفـوه فى مزق الشراع فانه ... لأعز من نشر الشراع وأكرم
لا تنسجوا أكفانه بخيوطكم ... فشراعه أقوى الخيوط وأحكم
يا أيها الملاح عدت مظفراً ... من قال إنك لم تعـد متوهم
قد عدت للشط الأمين وكلنا ... مترقب فى شاطىء لا يعصم
شتان بين الشاطئين . . فشاطىء ... فيه شقاوتنا ، وآخر ينعم
قل للمغرد فوق كل خميلة ... ما بال صوتك لم يعـد يترنم
أكذاك يحجبك الفناء فتنطوى ... وكذاك يلجمك القضاء فتلجم
أكذاك تسكت والزمان مجلجل ... وكذاك تصمت والهوى يتكلم؟
سمار مجلسك الرقيق تفرقوا ... وانفض سامرهم وضاع الموسم
جف الرحيق على الشفاه ولم يعد ... للبابلية أن تدار عليهمو
دفنوك فى أرض تضمخ تربهـا ... بالخالدين وأنت أخـلد منهمو
أرض نمتك وأنبتتك ولم تزل ... تلد الفريد من الرجال وتتئم
ما أنت إلا حفنة من تربها ... وعبيرها وهواؤها المتنسم
وخرير جدولها وموجة نيلها ... ونسيمها الفواح حين يهينم
رئمتك فى المهد الحبيب وإنها ... لأبر فى اللحد الكئيب وأرأم
تسع الكثير . . فلاتضيق بنازل ... فيها ، ولا تشكو ولا تتبرم . . .
هى أرض مولدك التى قد أكرمت ... واليوم حين تضم جسمك تكرم . .

وداع

للشاعر الوجدانى الرقيق أحمد رامى :

أيها الفلك على وشك الرحيل إن لى فى ركبك السارى خليل
رقرقت عيناى لما قال لى حان الوداع
وبكى قلبى مما ذاع فى الكون وشاع
غابت الشمس وراء الأفق ثم ذابت فى مسيل الشفق
لهف نفسى ! كاد يخبو رمق
حين حيانى حبيبى وتبادلنا الوداع
وانطوى منه نصيبى عند تصفيق الشراع
أيها الفلك على وشك المغيب قف ، تمهل ! إن لى فيك حبيب
لا أذوق النوم حتى نلتقى والضحى يغمر وجه المشرق
فأحييه بقلب شيق
شارحا وجدى شاكياً سهدى فى الدجى وحدى
وأناجيه بحبى بين ضم واعتناق
ناسياً آلام قلبى طول أيام الفراق

بطاقة العيد

للشاعر خليل جرجس خليل موجهة إلى المؤلف : فى عيـــد الفطر عام ١٣٧٥ هـ :

يا سيدى تحيتى ، تهنئتى ، دعائى
العيد وافى بالسنا ، بالبشر ، بالرجاء
أنعم به . أنعم بكم .. فى صحبة ووفاء
وكابر وكابر ندان فى العلياء
حييت عيد الفطر بالتكبير والثناء
بشير خير وسلام ومنى وضاء
يا سيدى الأستاذ فاهنأ غاية الهناء

من وحى القرآن

للشاعر حسن جاد :

يا ساقى الأرواح من كاساته ... نفسى فداؤك هات كأسك هاته
رتله ياغرد السماء مفصلا ... تتراقص الأرواح من سجعاته
يامن نداماه القلوب وراحه ... من كرمة البارى ومن جناته
أزلية تهدى العقول، وغيرها ... قد ضل منها العقل فى سكراته
أنا من طلاها فى مدارج نشوة ... أسمو بها للبدر فى هالاته
عطر به الدنيا ، فأية نفحة ... أندى من القرآن فى نفحاته
واشج القلوب به ، فأية نغمة ... أشجى من القرآن فى نغماته ؟
واجل النفوس به ، فأية جلوة ... أبهى من القرآن فى كلماته ؟
افتح مغالقها تعد صوفية ... سكرى المشاعر من طلا آياته
إن تسقها من كرمه تفتح لها ... حجب السماء عن الإله وذاته
قبس من الرحمن يهدى من سرى ... فى ظلمة الدنيا سنا مشكاته
يحيا به ميت القلوب بشاشة ... كالجدب أحيا الغيث ميت نباته
ومشارع للحق والأخلاق فى ... آدابه تحميه من عثراته
تفنى دساتير العباد ، وإنما ... دستوره ماض إلى غاياته
جل المشرع ، كل شرع غيره ... تتعثر الأزمان فى غلطاته
من كل بالغ حكمة أصغى لها ... سمع الزمان وزفها لرواته
أو كل رائع قصة تأثيرها ... راع الجحود وهز صلب قناته
أو كل موعظة بكى من وقعها ... طرف العصى ولج فى عبراته
يا باعثا روح السلام بهديه ... ضل الأنام عن السلام فهاته
غنى به القديس فى محرابه ... وشدا به العربيد فى حاناته
الكون مضطرب الخواطر حائر ... تتعثر الآمال فى خطواته
صدفت عن النور البهى عيونه ... فتخبطت فى الوهم من ظلماته
وإذا استبدت بالسلام مطامع ... دوى نعيب البوم فى بوقاته

فهرست الكتاب

كتب جديدة للمؤلف

١ - قصة الأدب فى مصر - ٥ أجزاء
٢ - قصة الأدب فى الأندلس - ٥ أجزاء
٣ - قصة الأدب المعاصر - ٤ أجزاء
٤ - دراسات فى الأدب والنقد - ٣٠٠ صفحة
٥ - مع الشعراء المعاصرين - ٢٠٨ صفحة
٦ - رائد الشعر الحديث - جزءان
٧ - نداء الحياة
٨ - فصول فى الدين والأدب
٩ - صور من الأدب الحديث - ٤ أجزاء
١٠ - التصوف المصرى منذ الفتح الاسلامى حتى اليوم



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com